تحرير

وليام ساندرز و أليكس كريجر

ترجمة

صالح بن علي الهذلول

١٤٣١ /٢٠١٠

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نشأة و تطورّ
التصميم العمراني

١٩٥٦- ٢٠٠٦ م

مجلة التصميم ، جامعة هارفارد

عدد الربيع و الصيف ٢٠٠٦م

ترجمة

صالح بن علي الهذلول

١٤٣١هـ/٢٠١٠م

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(ح) الجمعيه السعوديه لعلوم العمران ، ١٤٣١هـ ، ٢٠١٠م
(للترجمة العربية ، الطبعة الأولى)

(ح) رئيس ومنسوبو جامعة هارفارد ٢٠٠٦م .
الطبعة الأولى بالانجليزية ٢٠٠٦م.
جميع حقوق الطبع محفوظة لرئيس ومنسوبي جامعة هارفارد .
لا يسمح بطبع أي جزء من هذا الكتاب أو خزنه في أي نظام لخزن المعلومات واسترجاعها ، أو نقله على أية هيئة أو بأية وسيلة سواء كانت اليكترونية أو شرائط ممغنطة أو ميكانيكية ، أو استنساخا، أو تسجيلا ، أو غيرها الا بإذن كتابي من المترجم .

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

ساندرز ، وليام
نشأة وتطور التصميم العمراني ١٩٥٦-٢٠٠٦م/ وليام ساندرز ؛ اليكس كريجر ؛ صالح علي الهذلول – الرياض، ١٤٣١هـ

٢٣٢ ص ، ١٧سم×٢٤سم

ردمك : ١-١-٩٤٢٧-٩٩٦٠-٩٧٨

١- التصميم العمراني أ- كريجر ، اليكس (مؤلف مشارك)
ب- الهذلول ، صالح علي (مترجم) ج- العنوان
ديوي : ٧٢٩ ١٤٣١/٢٤٩٩

رقم الإيداع:١٤٣١/٢٤٩٩
ردمك:١-١-٩٤٢٧-٩٩٦٠-٩٧٨

التوزيع : الجمعيه السعوديه لعلوم العمران
ص.ب ١٧٠٢٥ ، الرياض١١٤٨٤
المملكة العربية السعودية
فاكس : ٩٦٦١٢٩٣١٦٤٩

تم تمويل طباعة هذا الكتاب من الجمعية السعودية لعلوم العمران ونشر ضمن سلسلة علوم العمران وهي سلسلة علميه في مجالات العمران.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المحتويـــــات

رقم الصفحة

مقدمة المترجم ٧

نحو إطار ذهني عمراني ٩
اليكس كريجر

مقتطفات من المؤتمر الأول للتصميم العمراني ١٥

ظهور التصميم العمراني مع إنحلال مجموعة سيام ٣١
إيريك ممفورد

حيرة التصميم العمراني : الإشكالية الأزلية في تعريفه وتحديد دوره..... ٧١
ريتشارد مارشال

التصميم العمراني في عامه الخمسين ونظرة للمستقبل ١٠١
دينيس سكوت براون

التفتيت والإختلاف (في وجهات النظر) كتهديدات عمرانية ١٤٥
فوميهيكو ماكي

تخفيف أثر الأعمال الطائشة في فترة الشباب ١٦٥
أندري داوني

عالم عمراني لم يكن متوقعاً : ظاهرة مابعد ١٩٥٦ ..... ١٦٧
بيتر جي رو

كيف كنّا وكيف أصبحنا؟ النظرية والممارسة في تصميم المدن منذ..... ١٩١
عام ١٩٥٦
جوناثان بارنت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أين وكيف يحدث التصميم العمراني ٢٠٣
اليكس كريجر
نبذة عن المشاركين ٢٢٩

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مقدمة المترجم

ظهرت مفردة " تصـــميم عمرانـــي Urban Design " وبـــدأ تـــداولها باللغـــه الأنجليزيه مع بداية الخمسينيات من القرن العشرين الميلادي ؛ وعقـــد المـــؤتمر الأول للتصميم العمراني عام ١٩٥٦ بالمدرسة العليا للتصميم بجامعة هارفـــارد ، كما بدأ أيضاً في نفس العام برنامج للماجستير في التصميم العمراني في جامعـــة هارفارد . ومجموعة الأبحاث الواردة في هذا الكتاب تؤرخ لهذا التصميم العمراني منذ ظهوره عام ١٩٥٦ وحتى عام ٢٠٠٦ ، وذلك بمناسبة مرور خمسين عامـــاً على إقامة المؤتمر الأول وانطلاقة البرنامج بجامعة هارفارد.

عام ١٩٧٣ إلتحقت ببرنامج الماجستير في التصميم العمراني بجامعـــة هارفـــارد، ومن هنا تأتي علاقتي وارتباطي بهذا الموضوع ، فقد اتجهـــت حينهـــا لدراســـة العمران بمفهومه الشمولي والتصميم العمراني على وجـــه الخصـــوص. وبحكـــم ارتباطي بالموضوع فقد وجدت في هذا السفر مادة غنية تستحق أن يطلع عليهـــا القرّاء باللغة العربية ، وشعرت أنني بترجمتها سوف أسهم في تطوير هذا المجال في مجتمعنا العربي .

إيضاح : لقد بذلت قصارى جهدي في نقل فكر الكتَّاب للقارئ العربي دون التـــدخل أو الإضافة إلا فيما ندر، وحينما يتم ذلك يكون ضمن النص محصوراً بين قوســـين (.....). وبالنسبة للصور والأشكال الموجودة في النسخة الأصليه ضمِّنت منهـــا بالنسخة العربيه ما يمكن نشره ضمن حقوق وضوابط النشر المسموح بها وتركت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تلك التي لم أتمكن من الحصول على إذن بنشرها ويمكن للقارئ الإطــلاع عليهــا بالنسخة الأصلية بالانجليزيه.

شكر وتقدير : أود هنا أن أشكر رئيس ومنسوبي جامعة هارفارد على إذنهم لــي بترجمة ونشر هذه الأبحاث باللغة العربيه وأخص بالشكر الأستاذ/ وليام ســاندرز، محرر مجلة هارفارد للتصميم ومساعد عميد المدرسة العليــا للتصــميم بجامعــة هارفارد للعلاقات الخارجيه على دعمه ومتابعته للحصول علــى الإذن بالترجمــة والنشر .

وأشكر كذلك كلا من السيد/ فتحي سهاونه الذي قام بمراجعة كامل النص وإدخــال العديد من التعديلات عليه ليصل إلى القارئ بالصورة التي هو عليها الآن.

والسيد/ تامر خطاب الذي قام بإدخال النصوص ومسح الصور وإعدادها للطباعة النهائيه .

كما أتقدم بجزيل الشكر للجمعيه السعوديه لعلوم العمران لتبنيّهم نشر هذا الكتــاب ضمن السلسلة العلميه في مجالات العمران الموسومة بــ: سلسلة علوم العمران؛ وإنه ليشرفني أن يكون هذا الكتاب فاتحة أعمالها وباكورة منشوراتها .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

رسالة المحرر

نحو إطار ذهني عمراني

أليكس كريجر

ضيف شارك في تحرير الموضوع الرئيس

التجمع الاستثنائي الذي جرى في هارفارد قبل خمسين سنة خلت يستحق التوقف والقراءة ، ما دعا مجلة هارفارد للتصميم إلى أن تتناول في هذا العدد تاريخ وحيثيات ذلك التجمع . ففي العام ١٩٥٦، قام خوزيه لوي سيرت بتنظيم عقد مؤتمر كوسيلة لإثارة اهتمام مهني وفكري أكثر بموضوع المدن والتحضر ، واستمرارا لتحول المناقشات حول التخطيط والتصميم الحديث من أوروبا ومجموعة سيام ، التي كانت توشك على الانتهاء ، إلى أمريكا وجامعة هارفارد . اجتمع المؤتمرون لمناقشة الحالة المتأزمة للمدن بهدف (من سيرت على الأقل) المصادقة على مجال بدأ يظهر في هارفارد تحت مسمى " تصميم عمراني " وهو مجال يركز على إحياء وتحسين المدن، وبخاصة مراكزها المهددة بالأفول .

بالرغم من أن التغيرات في مجال التحضر العالمي منذ منتصف القرن العشرين قد تعدت كثيراً ما تخيله المشاركون في مؤتمر ١٩٥٦م ، إلا أن قراءة ملخص ما قدم في المؤتمر يبقي مهماً لنا اليوم ، فالمرء يلحظ فيها عزماً أكيداً من قبل المختصين على التعامل مع الأوضاع العمرانية ، وتأكيد الحاجة للتعاون بين التخصصات المختلفة للتعامل مع هذه الأوضاع ، وإيجاد وسيلة أو تخصص يمكن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من خلاله المضي قدماً في هذا السبيل. ولقد جاء برنامج هارفارد للتصميم العمراني – الذي شكل بداية و نموذجاً لمعظم البرامج المماثلة حول العالم – نتيجة لذلك العزم والجهد الذي بذله المشاركون في مؤتمر١٩٥٦م . وفيما لا تزال طبيعة عمل المصمـــــم العمراني غير واضحة تماماً ، إلا أن قلائل يمكن أن يشكّوا بوجود التخصص ذاته .

وتتناول المقالات الثمان التالية موضوع التصميم العمراني بطريقة عكسيه ؛ فكل منها يبحث في تأثير مؤتمر١٩٥٦ في ممارسة التصميم العمراني حالياً مع مراعاة الحالات والعوامل التي لم تكن في ذهن المؤتمرين حينئذ. يتقصى إريك ممفورد الارتباط الوثيق بين المناقشات حول المدينة الحديثة التي أفضت إلى عقد مؤتمر ١٩٥٦ والسجالات التي دارت فيه والأخرى التي أعقبته ، وكذا التحول عن سيام إلى فريق العشرة . وفي مناقشته لمؤتمرات هارفارد التسعة التي تلت ، يبدي ريتشارد مارشال تعجبه من البساطة التي تخيل بها المؤتمرون المدينة في ذلك الوقت . ويرى من موقعه في شنغهاي الحاجة إلى نقل النقاش حول التحضر مرة أخرى ، ولكن هذه المرة من أمريكا إلى آسيا .

يورد بيتر رو القواعد الأساسية المختلفة لـــ " منطق التحضر" كما يراها اليوم، لكنه ينبِّه من ناحية ثانية إلى ثلاثة أمور مقلقة : تدهور المستوى الجمالي والعمراني للمدن وانتشارها ، التأثير المتنامي للقطاع الخاص بالتوازي مع انخفاض الاستثمارات العامة في المدن ، وأزمة الثقة المستمرة بين المعماريين والمخططين حول ما يجب عمله ، وهو ما هدف مؤتمر ٥٦ لإزالته وحلـــِّه . وفي إثر ذلك تقارن دينيس سكوت براون تطور برنامجي كل من هارفارد وجامعة بنسلفانيا ، فتجادل في هذا السياق بأن جامعة بنسلفانيا تحركت أكثر في إتجاه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التقريب بين التخطيط والعمارة وتنسيق المواقع فيما يخدم الاحتياجات الاجتماعية، بينما نحت هارفارد – على حد قولها – إلى صيغة معمارية من التصميم العمراني .

يكشف جوناثان بارنت عن اختلافات صارخة بين الوضع عام ١٩٥٦ ووضعنا الحاضر عام ٢٠٠٦ من حيث تحسين وزيادة التفاعل الاجتماعي ، وبناء صورة عامه جيدة للمدينه ، والتعاطي المستنير مع البيئة . ويعتقد بارنت أن المناقشات النظرية لهذه المهام في ١٩٥٦ قد جرى استبدالها اليوم بسياسات تصميم وتخطيط براجماتيه وفاعلة إلى حد كبير . ولعله بذلك يشيد بطريقة غير مباشرة بالتحضر الجديد . ولكن أندري داوني ، كبير منظـِّري التحضر الجديد ، لا يعطي قيمة تذكر لمناقشات ١٩٥٦ ، حيث يرى أن المؤتمرين ونظراءهم في مجموعة سيام قد تجنبوا الخوض في التحضّر مفضلين ذلك على السعي لمعالجة شرور وآثام المدينة الحديثة . أما فوميهيكو ، وهو الوحيد من الكتَّاب الذي حضر المؤتمر ، فيصف تأثيره في حياته العملية ، حيث يكشف متابعته عن التزامه الدائم حيال تطلعات مؤتمر١٩٥٦ المتمثلة في خلق تكوينات عمرانية تساعد على التفاعل والتواصل الاجتماعي بين الناس وتبهجهم عبر أرجائها المختلفة بفراغاتها و مبانيها .

لقد اجتهد الكتاب كل على طريقته في التعاطي مع المعضلة الاساسيه التي يواجهها التصميم العمراني منذ ظهوره : وهي الاعتراف باستحالة تصميم العمران . مع واجب الاستمرار بالمحاولة ! وتأتي مقالتي ربما كنقلة للعدد التالي من مجلة تصميم هارفارد ، التي ستتطرق لمستقبل التصميم العمراني ، وتحدد المساحات أوالمساقات الواضحة في مجال ممارسة التصميم العمراني والتي لم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يكن الكثير منها في بال المشاركين في مؤتمر١٩٥٦. إنني أقولها دونما موارية أن التصميم العمراني لم يبرز ويتطور كتخصص فني بقدر بروزه وتطوره كإطار ذهني مشترك بين العديد من المختصين في مجالات مختلفة ، يجمع بينهم إلتزامهم نحو خير وصلاح المدن . إن نشر هذا الهدف المشترك وتعزيزه ــ بدل الاستغراق في البحث عن وسيلة محيرة وخادعة لتصميم المدن ــ يشكل جوهر التصميم العمراني .. وفي هذا تكمن قيمته الحقيقية !

أود أن أشكر جليانا جامبل ، ماجستير العمارة ٢٠٠٧ ، ماجستير التخطيط ٢٠٠٧ ، لدورها الأساسي منذ بدأ التكليف بكتابة هذه المقالات ، وبالطبع ، بل ساندرز، محرر المجلة لتوجيهاته ورؤاه الثاقبه. لقد كان نجاح المجلة منذ تأسيسها نتيجة لرؤية بل وقدراته .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مركز هوليوك ، تصميم خوزيه لوي سيرت ، ويبدو جزء من ميدان هارفارد (مركز مدينة كيمبريدج، ماساشوستس). الصوره : صالح الهذلول ٢٠٠٨م.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التصميم العمراني

مقتطفات من المؤتمر الأول للتصميم العمراني المنعقد في مدرسة الدراسات العليا للتصميم بجامعه هارفارد ١٩٥٦م كما نشرت و اختير منها في مجلة بروجرسيف آركتيكتشر ، أغسطس ١٩٥٦

خوزيه لوي سيرت (عميد كلية الدراسات العليا للتصميم)

بعد فترة من النمو السريع والانتشار في الضواحي عادت مدننا الأمريكية لسابق عهدها وأخذت مسئوليتها التي لم تعرفها مدن الماضي المزدهرة مطلقاً . وفي وقتنا الحالي تطور تخطيط المدن كعلم جديد ، فمخططوا المدن اليوم معنيون بهيكل المدينة وبعملية نموها وانحطاطها وبدراسة كافه العوامل الجغرافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي شكلت المدينة. إننا نعرف الآن أكثر عن مشاكل مدننا مما كنا نعرفه في أي وقت مضى ، وذلك قبل الأخذ بوسائل وطرق التحليل في هذا المجال . وفي السنوات الأخيرة بدأ التركيز على الجزء العلمي أكثر منه على الجزء الفني . وربما يعود ذلك لرد الفعل الطبيعي ضد الممارسات الماضية حينما كان تخطيط المدن يعتمد على التوجه السطحي لحركة "المدينه الجميلة" الذي كان يُعنى فقط بتحسين المظهر الخارجي للمدن وإغفال المشاكل الجذرية فيها.

التصميم العمراني هو ذلك الجزء من تخطيط المدن الذي يتعامل مع التكوينات العمرانية للمدينة ــ إنه المرحلة الخلاقة من التخطيط التي يلعب فيها الخيال والقدرات الفنية دوراً بارزاً وهاماً . كما أنه يمثل المرحلة الصعبة والشائكة من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التخطيط ، لذلك وبسبب كل هذه العوامل فقد ظل أقل بحثاً وتطويراً من المراحل الأخرى . ومع التوجه الجديد للعمارة وتنسيق المواقع وهندسة الطرق وتخطيط المدن يجب أن نضع طرق وقواعد عملنا المتعارف عليها على المحك . انه لمن المنطقي أن تكون التغيُّرات في هذه المجالات قد تطور كل منها بشكل مستقل عن الآخر حيث تحاول كل مجموعه إنشاء مبادئ وأسس وتكوينات جديدة لها . لذلك فان من المنطقي الآن أن نعمل على تقريب ما حصل من تقدم في المهن المختلفة بحيث يمكن جمعها وبلورتها في مجال التصميم العمراني . إنني لأعتقد بأننا الآن، وبعد كل هذه السنوات من العمل المنفرد المعزول ، متجهون منطقياً لحقبة العمل الجماعي . وكالآلات في مجموعة الأوركسترا ، فإن لكل عنصر من عناصر التصميم العمراني دوره في العرض أو الأداء العام الذي يجب أن يكون متسقا حيث لا يمكن الوصول إلى التناغم المنشود بالمنافسة الفردية . أعتقد أننا الآن واعون أن مخططي المدن ومنسقي المواقع والمعماريين لابد أن يكونوا جزءاً في فريق أكبر من المتخصصين الذين نحتاجهم لحل مشاكل التصميم العمراني ، ولكني أيضاً أعتقد أن مهننا الثلاث قريبة جداً من بعضها ، وربما يكون من الأسهل في البداية أن نصل إلى اتفاق بيننا ، ومن ثمَّ نناقش مشاركة وعلاقة المختصين الأخرين الذين يجب أن يكملوا الفريق. فعلى المصمم العمراني أولاً أن يؤمن بضرورة وجود المدن ، وبأهميتها وقيمتها للتقدم الإنساني وللحضارة بشكل عام . علينا أن نكون حضريين في تفكيرنا . لقد سمعنا الكثير في السنوات الأخيرة عن آثام وشرور المدينة – كمرتع لتفشِّي الجريمة وجنوح الأحداث والمراهقين والبغاء والمرض والازدحام المروري . واصبح الهاجس المسيطر ، لا بل الهدف ترك المدينة والعيش خارجها ، وأصبح كل ما هو جيد وصحي ملازماً للضواحي .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وليحلوا إشكاليات ومعضلات المدينة أدار المخططون الأوائل ظهورهم لها . لذلك أود أن أجادل لصالح المدينة . إننا لا نستطيع إنكار وجود مجتمع أمريكي مديني ومتحضِّر ، فازدهار إنجلترا الجديـــدة (الولايات الست في الشمال الشرقي للولايات المتحدة) لا يمكن تصوره دون وجود مدينـــــــــة بوسطن كمركز لها . ولو لم تكن مدن فيلادلفيا وشيكاجو وسان فرانسيسكو مدنا حقيقية كبيرة – مراكز حضارية وتعليمية ومراكز للأعمال – لما كانت أمريكا على ما هي عليه اليوم من عظمة وتألق وامتياز . ومع ما ورثناه من أحياء فقيرة مزدحمة ومضاربة صارخة بالأراضي ، فقد ورثنا أيضاً مراكز تعليمية مميزه ومتاحف ومراكز طبية ومراكز ترفيهية .. وكلها نتاج مجتمع متحضر .

إن الأجيال الشابة في هذا البلد (ربما يشبهون أجدادهم وليس آباءهم) أقل توجها واعتقادا بالضواحي من آبائهم ، حيث بدأوا يشعرون بأن الانتشار الأفقي غير المحدود إنما يفاقم من مشاكلهم ، وأن الحل يكمن في إعادة تشكيل المدينة بأكملها ، فالعملية الضرورية لنا ليست باللامركزيه والانتشار وإنما بإعادة التجمع والتمركز . أتوقع أن تكون لدينا توجهات معاكسة في السنوات المقبلة مع تنامي الاهتمام بمشاكل المدينة.

فان كنا سننسق كافة جهودنا ونعمل باتجاه حل تلك الإشكاليات التي تجعل المدينة فضاءات يستطاب فيها العيش ويحلو فيها المقام ، وان كنا لا نرغب في جعل المدينة المركزية مجرد مكان للأعمال أو التجارة أو لحركة السيارات ، فعلينا أن نجد في الإنسان واحتياجاته الروحية والمادية المقياس والدليل لتصاميمنا . لا بد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أن أوصي كل المهتمين منا بإشكالية التصميم العمراني أن يجعلوا الإنسان محور هذه الإشكالية ، وأن يكون الايقاع الانساني هو الدليل والمرشد لنا والمصدر لأفكارنا وأعمالنا . أعتقد أننا اليوم نركز بشكل كبير على الأسماء والشخصيات بينما نقلل من أهمية الجانب الآخر – الإمكانات والمكاسب التي يمكن أن نجنيها من العمـــل كمجموعـــة أو فريق . ومع ترحيبنا جميعا بالعديد من الانجازات العبقرية المميزة ، علينا أن نعمل على رفع المستوى العام لأعمالنا ، فالسمة الأبرز في أكثر المدن بهاءا وتألقاً امتلاكها لتناغم كبير ووحدة مميزة في مقياسها واستمرارية عظيمة في روحها ، فالمتعة الخالصة هنا ليست في أن تنظر إلى نصب معماري معزول باحث عن فردية محضة وإنما إلى نسيج متناغم وفاعل كالشجرة بدءاً من الوريقات : المباني ، حتى كامل الشجرة : المدينة .. التي أجادل لصالحها !

لويد رودوين

... إن احتياج وسعي المستهلك للخصوصية وللفراغات المفتوحة والمدارس الجيدة ، وللبيئة المناسبة قد أوجدت له الضواحي ، وهي ذات معالم فقيرة وغير ذات بال بالنسبة للتصميم العمراني المعاصر ، كما هو الحال بالنسبة لمعظم أماكن التسوق والمناطق الصناعية الحالية . لقد أهمل منتجوا البيئة العمرانية معظم مسئولياتهم تجاهها محتجين دوماً بقوى السوق . ولكن من هم الذين لديهم القدرة على تحديد الأفضل في مجال التصميم العمراني ، أو من يجب أن يكونوا ؟ أعتقد أننا لا بد أن نجدهم ضمن ممارسي المهن المتعلقة بالتصميم العمراني ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولكن من ذا الذي يثبت أن لدى هذه المهن الكثير الذي يمكن أن تسهم به اليوم لمجال التصميم العمراني ؟ ما الأعمال التي يقومون بها اليوم التي تبرر الدور الذي يرغبون توليه مستقبلاً ؟ إنني لأتساءل فيما إذا كان تخلف التصميم العمراني يعود لضحالة موارده الفكرية والفنية. والمسئولية في ذلك تقع جزئياً على الجامعات ومهن التصميم المختلفة . ففي وقتنا الحاضر ، من النادر أن يرد موضوع التصميم العمراني ضمن خط الرؤية للطالب الجامعي ، كما أن قلائل من خريجي الدراســـات العليا من مدارس العمارة والتخطيط لا أقول قد تفاعلوا ، ولكن تعرضوا ولو بشكل بسيط لمثل هذه المسائل .

إننا نعيش في فترة غير معتادة : فما نريده يمكن أن نجعله يحدث . فإذا ما تمكنت مهنه التصميم من أن تشعل بين ممارسيها ذات الحماس و الرؤية الثاقبة المُغدَقـــة على العمارة المعاصرة أو العملية التخطيطية وتوجيه ذلك نحو التصاميم العمرانيـــة الجيدة والجذابة فسيكون ذا قوة محركة في تحويل مدننا لمراكز متألقة و مبهجة . إن الحل في جعبتنا ولا حاجه للبحث عن كبش فداء ....

تشارلز آبرامز

... مُلقىً بهم في هذا العالم الكئيب يأتي خريج العمارة بسنوات دراسية ست والمخطط بسنتين إضافيتين ولكن بمعلومات لا علاقة لها بالمدن ، وكلاهما ليس لديه معرفة بالتمويل أو الممارسة المتشعبة للسلطة الحكومية . ومن ضمن تبعات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المحددات الأربع التي ذكرتها هناك : النظم القديمة والمحددات على التمويل وقوانين الاستعمال المتحكمة فعليا بمصير المدينة . فالعمارة المقننة والممولون المستبدون والمحظورات الاجتماعية والسياسية (هذه العوامل) هي التي تصمم بيوتنا وتحدد مواقع صناعاتنا وتقسّي شرايين مواصلاتنا . إن كان هناك من شخص يشك في ذلك ، فأنني أسأله إلى أي مدى يستطيع المعماري أن يبدع (أو ما مساحة الإبداع المتاحة لديه) تحت نظام دليل هيئة الإسكان الاتحادية ؟ أيمكن لفرانك لويد رايت بناء مشروع إسكان عام على أرض تكلفة القدم المربع فيها خمسة دولارات وتكلفة الغرفة ألفان وخمسمائة دولار وتكون مختلفة عن مشاريـــع الإسكان من حولنا ؟ ... هل كانت منطقة ستيفسانت من خطأ المعماري أو أنها نتيجة طبيعية لحسابات الحياة الحضرية التي تمنح ، على غرار مدينه نيويورك ، إعفاءات ضريبية كلما زادت نسبة تغطية البناء للأرض ؟ وهل يتوقع من المطورين بناء معالم حضارية أم تعظيم أرباحهم ؟ وهل يمكن للمستثمر الساعي دوما وراء جني الأرباح أن يتحول إلى الاستثمار المظهري والتفاخري ؟

يورجي كيبس

... كلنا نتحدث اليوم عن افتقادنا للمقياس الإنساني في العالم من حولنا – فالأشياء تتحرك بسرعة تفوق قدرتنا على الاستيعاب ، والمشاريع أصبحت اكبر حجماً وأكثر تعقيداً مما لا نستطيع معه فهمها واستيعابها ومن ثم تنظيمها . بطريقه ما لم يعد القديم من المبادئ الإنشائية والصور الذهنية وطرق الرؤية إلى الأمور قادراً على التعامل مع هذه المقاييس الكبيرة ....

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لاديسلاس سيجو

... انفجرت المدن السابقة المتراصَّة ، لا بل والمزدحمة أيضا وانتشرت في الريف . ولكن التخفيف القليل الذي حصل لتلك المراكز كثيفة التطور من خلال الانتشار في الضواحي سرعان ما تلاشى بفعل الازدحام المروري والحاجة للمواقف الناتج عن السيارة نفسها...

جين جيكوبز

المخططون والمعماريون معتادون إلى النظر إلى الدكاكين ، بطريقة ممنهجة ، على أنها لا تعدو عن كونها مجرد أمور عرض بضائع وخدمات – فراغ تجاري ، ولكن الدكاكين في أحياء المدينة عبارة عن كائنات أكثر تعقيداً وذات وظائف عديـــــــدة مركبه ، فهي مكوِّن كبير في صلب القوة التي تُحيل المجاورة السكنية في المدينة ألى مجتمع ينبض بالحياة وليس مجرد مهجع للنوم فقط . فالدكان يعني أيضاً صاحب الدكان . وكما أوضح أحد مخططي هيئة الإسكان من أن سوقاً كبيراً واحداً يمكن أن يحل محل ثلاثين دكاناً لبيع الأطعمة الجاهزة وأكشاك الفاكهة والخضار ومحلات الجزارين ، ولكنه لا يمكن أن يحل محل ثلاثين أو حتى واحداً من أصحاب تلك الدكاكين ، فالدكاكين نفسها عبارة عن مراكز اجتماعيه – خاصة الحانات (تتحدث هنا عن المجتمع الأمريكي والغربي بصفة عامه) ودكاكين الحلوى والمطاعم الصغيرة . وقد يكون الدكان في الغالب على هيئة فضاء ليس به معروضات مطل على واجهات الدكاكين المحيطة به وتزاول فيه الكثير من أنشطة سكان الحي كالعبادات واجتماعات الأندية والمنظمات التي تعنى بتحسين مستوى السكان اجتماعياً وأخلاقياً ، فمثل هذه الأنشطة ذات قيمه لا تقدر بثمن .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إنها المؤسسات التي يوجدها ويقوم عليها السكان أنفسهم . فإذا كنت شخصاً غير معروف ، ولا تعرف أحداً من ذوى النفوذ، فان الطريقة الوحيدة لإسماع رأيك للآخرين في مدينه كبيره تمر عبر قنوات محددة جميعها تبدأ من دكاكين صغيرة متواضعة ، بدءا من محل مايك للحلاقة أو مكتب متواضع لرجل يسمى " قاضي" .. وهكذا دواليك إلى أن تدلف إلى نادى توماس جيفرسون الديمقراطي حيث يعقد السيد فافيني عضو المجلس المحلي مجلسه ، وبذلك تكون قد بدأت بالصعود ولكن عبر كمٍّ هائل من أحاديث السمر والدردشة . وكل ذلك بالطبع يتمبشكل غيررسمي. هناك أشياء عديدة مختلفة يمكن أن تحدث باختفاء تلك الدكاكين الصغيرة المتواضعة مـــن على خارطة المدينة . فإذا ما نظرت إلى حي ستفسانت في نيويورك يمكنك رؤية نتيجة واحدة بوضوح . فقد أحيطت منطقة الحي بحزام عشوائي غير مخطط ولكن مزدهر من الدكاكين التي تعمل في خدمة ثكنات ستيفسانت، والمخطـــّط الجيد هنا يمكنه معالجه هذا الحزام ، لكن خلف هذ الحزام تقبع منطقه أخرى(حزام آخر)أكثر عشوائية تضم دار حضانة للأطفال وتعليم رقص الباليه وورش الأعمال الخفيفة التي يقوم بها السكان أنفسهم والدكاكين الصغيرة التي تعرض أشياءغريبة،وكلها عناصر تحقق للمدينة جاذبيتها المؤثرة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

قارن ساحة جامعة هارفارد مع ميدان هارفارد. في الساحه نجد المباني متسقه ومتناغمه وذات علاقه صحيحه ومقبولة مع الفراغات التي تحتويها وتحددها هذه المباني ، أما خارج بوابات الساحه فليس هناك سوى الضوضاء ، وإنعدام الإتساق أو التناغم . – خوزيه لوي سيرت ، أغسطس ١٩٥٦ . من مجلة : بروجرسيف أركتكتشر ، أغسطس ١٩٥٦ (من الأصل بالإنجليزية ، ص٨)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هذه العملية (ظهور الأحزمة المتتابعة) نفسها تحدث سواء كان السكان من ذوى الدخل المتوسط كما في منطقة ستيفسانت ، أو المنخفض كما في شرق هارلم .. ترى ماذا يعني هذا ؟ بعض الجوانب المهمة في حياة المدينة ، معظم سحرها وجاذبيتها ، نشاطاتها الاجتماعية الخلاقة ، قدرتها على العيش والنمو تنتقل إلى المناطق القديمة التي لم تعد موجودة نظراً لعدم وجود مكان لهذه الأنشطة في تخطيط المشروعات الجديدة .. وهو وضع يُسخر منه ، ولا بد أنه يُرجف المخططين . وهناك درجات من السؤ والجودة لما يمكن أن تكون عليه مثل كل هذه الأعمال . فإقامه مراكز التسوق ، وتحديد وحدات الأحياء بمقياس جغرافي وسكاني مناسب ، وجمع خليط من ذوى الدخول وأنواع المساكن المختلفة ، والحرص الفائق في استخدامنا لأسلوب الهدم والإزالة من الأساسيات في عمل المخططين . هناك تفكير متعمق في هذه الأمور لكنه غير مصحوب باجراءات عملية كافية . وأود هنا أن أضيف أربعة اقتراحات . أولاً : أن نتفحص أحد الأجزاء القديمة التي لا زالت حية من المدينة ، وننظر إلى المساكن والأروقة وممرات المشاة والأرصفة ودورها في حياة السكان لنجد بأنه لا يمكن الإستعاضة عنها بغرفة معيشة داخل المنزل ، فهذه مرافق ذات طبيعة مختلفة . ثانياً : لا بد أن يعتني المخططون بشكـــل أكثر بالنواحي الاجتماعية عند تحديدهم للاستعمالات كالمتاجر والدكاكين وما شابها . ومن حسن الحظ أن العوامل الاجتماعيه والاقتصادية يمكنها أن تعمل مع بعضها البعض في مبيعات التجزئة . ثالثاً : يجب أن يهتم المعماريون بالأنشطة التي يتجمع حولها الناس كمغاسل الملابس وصناديق البريد وملاعب الأطفال ، حيث يمكن استثمار هذه العناصر اجتماعياً بشكل جيد إذا ما أحسن تصميمها . رابعاً : نحتاج إلى عناية فائقة في تعاملنا مع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفراغات الخارجية . يجب أن لا نعاملها على أنها مناور للأضاءة والتهوية ، أو مجرد فراغات تحيط بالمبني يمكن مشاهدة جماله من خلالها ، فالفراغات غير المبنية في معظم المخططات العمرانية عبارة عن فتحات مملة وخاليه من أي نشاط فاعل . وما مخطط جراتيوت لديترويت (الذي لم ينفذ) من إعداد ستونوروف و جروين و يماساكي ، ومخطط جنوب غرب واشنطن من إعداد أي ام بي ، وبعض الأعمال في فيلادلفيا كمشروع ميل كريك من أعمال لوي كان سوى الاستثناء الذي يؤكد القاعدة . لذلك يجب أن نتعامل مع الفراغات الخارجية كأماكن حيوية تعادل في أهميتها ممرات المشاة داخل العمران . لقد غُرِّر بنا بالحديث عن نقل الضواحي إلى داخل المدينة ، فللمدينه خصائصها المميزة ولن نخدمها بمحاولتنا تقليد الضواحي بداخلها ، لذا يجب أن تكون نقطه البداية بالنسبة لنا هي تحديد ما هو العملي والجذاب ، وفوق كل هذا ، الحيوية في حياه المدينة .. هذه هي الخصائص التي يجب أن يركز عليها في المدينة التي سيعاد بناؤها أو التي ستبني من جديد.

لويس ممفرد

إن لم يحقق هذا المؤتمر سوى أن ننادي عند عودتنا للمدن التي أتينا منها بأن خلق وتصميم مشاريع كبيره على حساب تدمير حميميِّة المجتمعات يعتبر خطأ فادحاً يكون المؤتمر بذلك قد حقق الكثير ، مما يقودنا للتفكير بشكل أفضل في المشاريع التي غالباً ما نراها قيد الأعداد في مدارس التصميم .. نركز على حميمية المجتمعات التي نصمم لها وننطلق منها ، ونجعل هدفنا المحافظة على هذه الخصائص وتطويرها بكل الوسائل المتاحة لنا ، ومن ثمَّ نبحث عن تكوينات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حديثة مجدية اقتصادياً تحافظ على هذه الخصائص وتكون متاحة لأصحاب المحلات والسكان الآخرين .

فرانسس فايولخ

... أطرح عليكم بعض وجهات النظر التي استنتجناها من التجربة : أولاً- التداخل والتضاد في الصلاحيات بين السلطات ، ثانياً- سيطرة العقلية الهندسية البحتة ، ثالثاً- الأشخاص الرسميون المنتخبون الذين يتخذون قراراتهم بناء على الضغوط من قبل أصحاب أو جماعات المصالح بدلاً من الاعتماد على الآراء الفنية والمهنية ، رابعاً- التغريد خارج السرب ، خامساً- عدم وجود خلفية حضارية للتصميم العمراني (يتحدث هنا عن المدن الأمريكية) ، سادساً- عدم وجود تفاعل تقليدي مستمر في التصميم العمراني (وهو هنا ينتقد هيئة المعماريين وهيئة المخططين الأمريكيتين AIP, AIA بحكم اختصاصهما لعدم وقوفهما بقوة مع هذه القضية) . وأخيراً والأهم : عدم وجود وسائل أو أساليب لتنسيق التخطيط ثلاثي الأبعاد على مستوى التصميم العمراني ...

إدموند بيكن

إن الأجراء الذي اتخذه مجلس النواب في الولايات المتحدة بتخصيص بليون دولار لخلق بيئة عمرانية جديدة يلقي على كواهلنا مسؤليه كبيره لا نستطيع التخلي عنها. والسؤال المطروح هنا هو: بعد ما نهدم ونزيل بكل حسرة وأسف البيئة القديمة ، مرحلين مئات الألوف من العائلات ، وبعد أن نصرف البليون دولار ، هل ستكون البيئة العمرانية الجديدة التي أوجدناها جديرة بالجهد والمال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المبذول؟ وعندما ننظر لتجهيزاتنا في مجال التصميم العمراني سواءً على مستوى الأفكار أو الممارسين ، فلابد أن ينتابنا الحذر. لدينا المهن الثلاث الرئيسة : التخطيط والعمارة والاداره لكننا نفتقر للقدرة على العمل كمجموعة واحده . فقد يوجّه المعماريون كل مقدراتهم نحو تصميم المباني المنفردة ، بينما يتجه المخططون نحو تركيز جهودهم على تطوير أفكار عامة وغير ملموسة مثل توزيع المناطق وتحديد استعمالات الأراضي وتطوير المعايير التخطيطية كالكثافات وغيرها . أما الإداريون ومتخذو القرار الذين يحددون فعلاً الشكل الأساسي للبيئة العمرانية ، فتنظر عامتهم للعمل المعماري كسلعة يمكن شراؤها في النهاية ...

يجب أن نقر بأن معظم جهودنا في المشاريع الفردية حتى الآن لم تلامس سوى جزء بسيط من مشكله ذبول المدن التي نعاني منها ، لذا أقترح أ ن نستخدم الجزء الأكبر من النصف مليار التالي في خلق سلسلة من الفراغات المفتوحة والطرق الخضراء تكون موزعه بالتساوي في جميع الأحياء المتردية بناء على معايير متماثلة ومتساوية . وسيجنبنا هذا الأخذ بالأفكار المصطنعة لخلق حدود فاصلة بين الأحياء والتي لا يمكن أن تبقي على حال .... إن فكرة الحاجة لقيادة قويه في صياغة السياسات العامة وافتراض دور إداري مهم خلال صياغة السياسات يعتبر شيئـــــاً غريباً عن مهنة العمارة . وتقليدياً ، يعتبر المخططون أن تصميم المنشآت مجرد تفاصيل ، كما أن الإداريين بلا استثناء يفكرون بمشاريع واجر آت محدده دون النظر للعلاقات المتصله الخفية لهذه الأشياء ، لذا فان ما نحتاجه هو الإداري المخطط والمعماري ، فإذا ما تمكنا من الحصول عليه فقد أصبح لدينا مصمم عمراني...

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خوزيه لوي سيرت

... كلما عمل الإنسان في هذا المجال .. ازداد قناعة بأننا لا يمكن أن نعمل وفقاً لقواعد بسيطة يمكن إعادة تطبيقها إلى ما لا نهاية . فإذا ما كنا نريد الحصول على عنصر الحياة في المدينة فيجب أن يكون لدينا الشيء الرسمي وغير الرسمي ، الشيء الودي القريب من نفوسنا والشيء البارز الهام . وإذا كان كل فراغ صغير يراد له أن يكون بارزاً وهاماً فلن يكون لدينا شئ هام أو بارز عندما نصل إلى مركز المدينة . لذا فان المسألة مسألة مقياس ومقارنة التضاد النسبي لهذا المقياس . ونحن نعلم الآن أن المدينة الجديدة تتطلب سلسلة من العناصر الجديدة – وأن الأشياء لن تكون كما كانت في السابق .... ففي المعرض هنا ، تقدم بتسبرج وفيلادلفيا وشيكاغو ومدن أخرى معروضات تحققت لنا الآن وهي نتاج أفكار مثالية تم توقعها منذ عشرين سنه مضت وتحولت اليوم إلى واقع ملموس ....

مداخلة ديفيد ل. لورانس ، رئيس بلديه بتسبرج (مستقاة من ورشة التصميم المنعقدة في مايو ١٩٥٦)

ربما تكون المدينة عديمة الفائدة أو غير ذات جدوى ، وربما في عالم الغد سيزيد الانسان من ابتعاده عن المدينة ليس إلى الضواحي القريبة وإنما إلى مساكن في ضواح متباعدة . ولكننا في تصاميمنا لا نعتقد ذلك ، لأن الحضارة والمدنّية لا يمكن أن تكون خيطاً من الفلل الريفية المتباعدة أو توابع من دون مركز لها تدور في فلكه. نعتقد أنه يجب أن يكون هناك مركز تجتمع فيه أعلى المهارات للتواصل وتبادل الأفكار والخدمات بما يحقق الرفعة والسمو لكل ما هو نادر و جميل ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وحيث يمكن ممارسة فن الإدارة أمام تعاظم التعقيدات الصناعية والحكومية ، وتسهيل تواصل الإنسان مع أقرانه .. تلك كانت فلسفتنا في التصميم لبتسبرج !

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ظهور " التصميم العمراني " مع انحلال مجموعة سيام

إيريك ممفورد

ينظر عادة إلى ظهور برنامج التصميم العمراني في هارفارد عام ١٩٥٦م وتحدى فريق العشرة لمجوعة سيام على أنهما ظاهرتين منفصلتين ، فالأول ينظر له في الغالب على أنه مجرد تمرين أكاديمي ، أما الثاني فهو بداية تحول ثقافي رئيس أفضى مباشرة لما عرف بفنون البوب ، والثقافات المضادة التي ظهرت في ستينيات القرن العشرين . ومع أن التصميم العمراني لا يزال موجوداً كمجال علمي بالرغم من أن محتواه يعاد تحديده وتعريفه باستمرار ، فان تاريخ فريق العشرة ، الذي أوقف أعضاؤه لقاءآتهم واجتماعاتهم عام ١٩٨١م ، هو الذي جذب إليه عناية الكتَّاب والمهتمين بالحركة .

ما من شك في أن فريق العشرة ، مع أعضائه الأوربيين المشهورين مثل آل سميثسون وألدو فان أيك ، يشكل موضوعاً أكثر جذباً للدراسة والتحليل من مجموعة سيام . أما تاريخ التصميم العمراني في هارفارد فله قصة أخرى . فبينما البعض من مؤيديه الرئيسين معروفون ، فان أعلاما أمثال خوزيه لوي سيرت (١٩٠١-١٩٨٣) وسيجفريد جيديون (١٨٩٣-١٩٦٨) ينظر إليهم في أمريكا على أنهم قدموا أهم إسهاماتهم للعمارة قبل الحرب العالمية الثانية . أما جهودهما ونشاطاتهما في هارفارد فيبدو أنها لا تهم سوى كتَّاب السير وزملاءهم وطلابهم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السابقين فقط . ولكن تفحص الأفكار المطروحة حول التصميم العمراني من قبل سيرت ، الذي يعتبر المؤسس لهذا المجال ، توضِّح وجود علاقة بين تطور التصميم العمراني وظهور فريق العشرة وأنهما لا يزالان مرتبطان في هذا المجال حتى اليوم ، بالرغم من تباعد البيئة التي نشأ فيها .

انبثق فريق العشرة من مجموعة سيام في الوقت الذي كان فيه سيرت رئيساً للمجموعه وعميداً لمدرسة الدراسات العليا في جامعة هارفارد . وكلاهما سيرت وفريق العشرة (مجموعة متغيرة ضمت ألبون و بيتر سميثسون ، فان آيك ، جورج كاندليس، شادراتش وودز ، وجيكوب با كيما ، وآخرين عدة) متفقون على مبدأ "المعماري – المخطط " كما هو معرَّف لدى مجموعة سيام ، وهو : الشخص الذي يستطيع تنظيم العلاقات المرتبطة بين الأجزاء المتعددة التي توجد في العمران بدلاً من التركيز على تصميم أي من الأجزاء المنفصلة فقط دون العناية بالعلاقات بينها . ويشترك المصممون اليوم في الأخذ بهذا التعريف ، وان كان بعد لم يصل إلى العامة . وقد تطور هذا التعريف نتيجة التوجه العام لسيام بمشاركة سيرت وأعضاء فريق العشرة ، وكان قد تم التوصل إليه من قبل لو كربوزييه و الأعضاء القياديين في المهنة في هولندا وألمانيا وروسيا خلال بداية الثلاثينيات من القرن العشرين الميلادي.

وقد كان سيرت كأحد قادة مجموعة كاتالان سيام من ١٩٣١ إلى ١٩٣٦ ، فاعلاً في نقل هذا التوجه إلى برشلونه ، حيث سعى هو وأعضاء مجموعة كاتالان لاعادة تنظيم المدينة الصناعية بأسبانيا بناءاً على الفكرة التي تنادى بأن تصمم المدن الحديثة بحيث تحسن الحالة المعيشية للغالبية من السكان . وضمن مخطط

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المجموعة لبرشلونه عرضت حلول لمعالجة الازدحام الكثيف للمساكن وتحسين الصرف الصحي فيها . وقد عرض سيرت هذا المخطط في مجلة آي سي التي كان يشارك في تحريرها بين عامي ١٩٣١-١٩٣٧ ، كمثال " للمدينه الوظيفية " التي تتبناها مجموعة سيام .[١]

ومن منفاه في مدينه نيويورك عام ١٩٣٩ ، استمر سيرت في نشر أفكار سيام في كتابه بعنوان " أيمكن لمدننا أن تبقى على قيد الحياة ؟ " (١٩٤٢) ، وهو أول عرض بالإنجليزية (بشكل مختصر) لنتائج الاجتماع الرابع المشهور لسيام عام ١٩٣٣ . ولكن بعد ذلك بدأت مرحلة ثانيه من عمل سيرت في مجال التحضر بالظهور . في هذه المرحلة تابع سيرت توجه سيام بالتركيز على إعادة تخطيط المشاريع الكبيرة فيما يخدم العامة ، ولكن مضيفاً اهتماماً جديداً بأماكن تجمع وإلتقاء المشاة للأغراض الاجتماعية والسياسية، مستجيباً في ذلك ربما للوضع الحضري المختلف في أمريكا الشمالية .

وفي عام ١٩٤٣ أصدر سيرت بالتعاون مع جيديون والرسام الفرنسي فيرناند ليجر بيانا من تسع نقاط حول " الجانب الحسِّي في العمارة " دعوا فيه إلى العناية من جديد "بالاحتياج الإنساني" لمفردات رمزية و وسائل تعبير حسيَّة لاحتواء مشاعر وأحاسيس و وجدان المجتمع . [٢] وبعد سنة نشر سيرت مقالته " المقياس الإنساني في تخطيط المدن " [٣] نادى فيها بإعادة تخطيط المدن الكبرى بناء على فكرة الحي كوحدة تخطيطية ذات مسافات سير معقولة من وإلى المدارس والخدمات المحلية الأخرى ، في محاولة منه لاحتواء الانتشار الكبير للمدن الأمريكية . هذه الفكرة كانت قد طورت في العشرينيات من القرن العشرين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بواسطة معماريين من إنجلترا وأمريكا ، وكانت متبناة على نطاق واسع في الولايات المتحدة في ثلاثينيات القرن العشرين من قبل مفكرين بارزين أمثال لويس ممفورد واليل ساراينين . وكانت تطبق في العادة في تخطيط الضواحي الجديدة ، كما الأغلب في يومنا هذا . وتبرز أهمية سيرت ، بالرغم من قبوله لهذا الإطار التخطيطي ، في تبنـــِّيه للقيم الاجتماعية والسياسية لحياة المشاة الحضرية في الوقت الذي رأت فيه الحكومة الفيدرالية وقطاع الأعمال أن نزوح متوسطي الدخل إلى الضواحي أمر مرغوب فيه ولا يمكن تجنبه أو إيقافه . بهذه الخلفية من جهود مجموعة سيام لتصميم مدن تخدم الصالح العام مع التركيز على تطويـــــــــر مراكزها بشـــــــكل حضاري لخدمة المشاة طوَّر سيرت في النهاية مجال التصميم العمراني ، وهو المجال الذي أظهرته مجموعة سيام أيضا في أواسط خمسينيات القرن العشرين الميلادي ، مثلما فعل فريق العشرة وإن بطريقة أخرى !

مواجهة إشكالية المدينة والضواحي : ظهور التصميم العمراني

استخدمت أو قدمت كلمة " تصميم عمراني" لهارفارد و للعامه على حد سواء من قبل سيرت وجيديون في بداية الخمسينيات الميلاديه من القرن العشرين ، حيث استخدمها سيرت لأول مره عام ١٩٥٣ عنوانا لمحاضرة ألقاها بعد تعيينه عميدا لكلية الدراسات العليا في التصميم بجامعه هارفارد ، وكان ذلك ضمن مؤتمر لمعهد المعماريين الأمريكيين – القطاع الأوسط في مدينه واشنطن العاصمة ، إذ تحدث في عدد من المحاضرات عن " المعماري والتصميم العمراني والتطوير

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العمراني ."[٤] نظم المؤتمر المخطط لويس جستمنت وشارك فيه كمتحدثين كل من جورج هو ، جورج هولمز بيركنز ، هنري تشيرتشل وتريسي أوقور مخطط هيئة وادي تنسى سابقاً ومدير إدارة الأهداف العمرانية بالمكتب الفيدرالي في ذلك الوقت[٥] . ويبدو أن سيرت أضيف للمؤتمر في اللحظات الأخيرة ، واستهل حديثه بالإشادة بمركز مدينة واشنطن "المخطط معمارياً" بشكل جيد بحيث يستشعر الإنسان أهمية المجتمع المدني في العمارة ، وأهمية التناسق والترابط بين المباني وانسجامها مع الفراغات المحيطة بها ، وأهمية تصميمها وتشييدها في بيئة مخططه " . بعد ذلك انتقد الجيل الماضي من المخططين الذين أداروا ظهورهم ولم يهتموا لما يمكن أن نسميه نطاق المدينة الخارج عن المقياس الإنساني ، الملوَّث والمكتظ مرورياً و سكانياً . الخ " ، وكانت النتيجة تنامي العيش في الضواحي بعيدا عن ضوضاء وتلوث المدينة التي أصبحت " مكاناً يُداس ويُستغل فيه الأطفال ويَسكر فيه البالغون – مكاناً عليك ترْكه حال انتهاء عملك اليومي" [٦] .

وبعكس كل سابقيه من المخططين منذ عشرينيات القرن العشرين ، كان سيرت يرى أن هذا الوضع الذي آلت إليه المدن قابل للإصلاح وموقناً أن التحدي الراهن للمعماريين يكمن في " تصميم مجمعات مدنية كبيرة : إدماج مجالات التخطيط والعمارة وتنسيق المواقع ، وتشييد بيئة كاملة في المراكز الحضرية القائمة . ومع أن الوضع السياسي في الولايات المتحدة ربما يكون قد منعه من الاشاره إلى المستهدفين بهذه البيئة العمرانية ، فان التوجّه الحضري لمجموعة سيام كان ينادي باعادة تنظيم وتأهيل المدن لكي تخدم بشكل أفضل احتياج الطبقة العاملة لسكن أفضل ، وبنية تجاريه أكثر فعاليه ، وفرص ترويحية أفضل للعامه قرب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المدينة ، بالاضافة لرؤية لوكربوزييه التي تأخذ ببناء بنايات عاليه متباعدة في وسط مساحات خضراء بدلاً من اتباع طرق البناء التقليدي المكثف الذي يغطي كامل الفراغ . وبدلا من إدانة الكثافات العالية للمراكز القديمة ، كما فعلت مجموعة كاتالان في ثلاثينيات القرن العشرين ، فان سيرت يحاكي أو يكرر ما سبق أن قاله لويس ممفورد من أن "مجتمعنا هذا مجتمع مدن ، مدني الثقافة" ، ويشيد سيرت بالمناطق المركزية الحضرية مثل الأكروبولس و ساحة سان ماركو وساحة الكونكورد كأمثلة لأعمال مبدعه تتكررعلى مرّ العصور . لقد نظر الى هذه الأماكن على أنها فراغات وظيفية حيه يتقابل الناس فيها وجهاً لوجه ويتفاعلون مع بعضهم البعض ، وليس كما نراها اليوم مجرد أماكن للسياح . ويجادل سيرت بأن هذه الفراغات هي الأماكن الوحيدة التي يمكن أن تستمر وتنمو فيها الثقافه والمجتمع المدني ويمكن من خلالها مقاومة القوى المركزيه غير الديموقراطية النافذة إعلاميا وسياسياً . (٧)

وقد نشرت مجلة أركتكتشر ركورد الحدث تحت عنوان " أين تتجه المدن؟ "(٨) ووصفت حديث سيرت بأنه كان أحد محاور النقاش ، بينما مثل المحور الآخر تريسي أوجور مخطط هيئة وادي تنسي الذي قال بأن " العامل الدفاعي يجب أن يقدم على جميع الاعتبارات الأخرى في تخطيط المدن " ، ومن حسن الطالع ، حسب اعتقاد أوجور ، أن " نفس المقاييس الفراغية التي تستخدم للتقليل من آثار تعرض المدن لهجوم نووي تخدم هدفنا كمخططين مدنيين لتحقيق حياة أفضل للناس " . لقد تبنى أوجور هذا الموقف منذ عدة سنوات وجادل بأن المراكز الحضرية تمثل أهدافا جاذبه للقاذفات بعيدة المدى المحملة بالقنابل الذرية . لذلك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

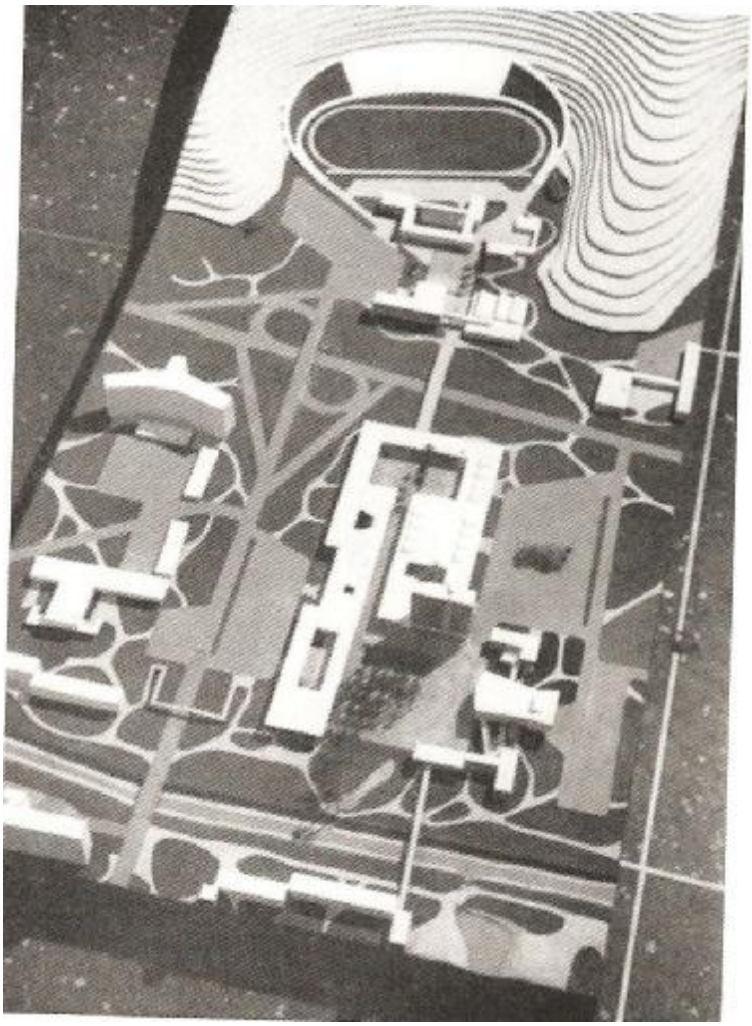

بول ليستروايتر ، بول شولتز،وخوزي لوي سيرت ، نموذج لمركز مدني ، السياره ،البرازيل ، ١٩٤٥. من كتاب: عقد من العمارة المعاصرة ، لـــ : جيديون .

(من الأصل بالإنجليزيه ، ص ١١)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

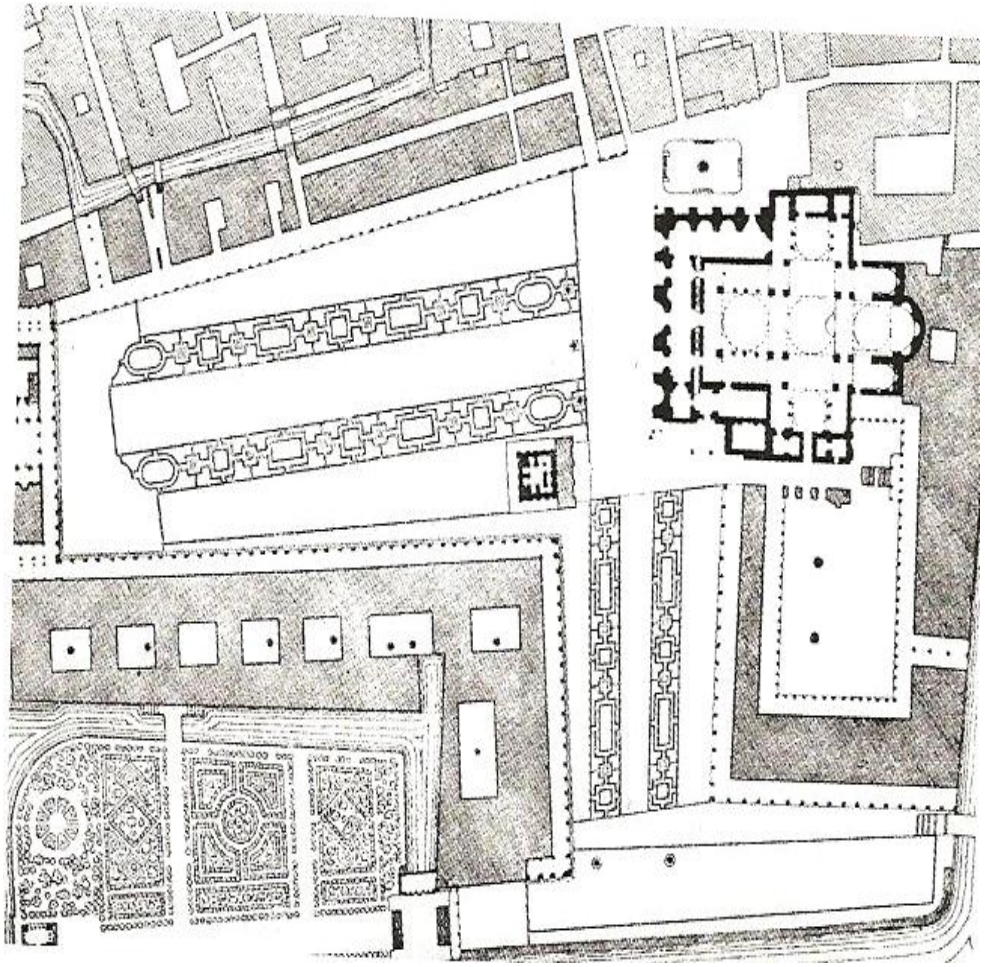

مخطط لساحة سان ماركو ، فينيسيا ، إيطاليا . من كتاب : تصميم المدن ، لـــ : إدموند بيكن . (من الأصل بالإنجليزيه ، ص ١١)

ارتأى أوجور أننا يجب أن " نوجه التنمية العمرانية للإنتشار بدلاً من التركز بحيث نشيد مدناً صغيره وفاعلة تستجيب لاحتياجات الحياة الحديثة" [٩]. وأشارت المجلة بأن سيرت أجابه " إنك لا تستطيع أن تخل بالنمط الذي درجت المدن عليه في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نشأتها وتطورها منذ القديم " ، وذلك من منطلق مقاومة سيرت لفكرة الانتشار والامتداد اللانهائي ، واقتراحه بدلاً من ذلك إمكانية حل وتقليل ازدحام حركة المرور بإنشاء مراكز تجاريه على حدود المدن وتوفير مواقف حول محيط مركز المدينة ، مع التركيز على إعادة تطوير مراكز المدن ، راسماً بذلك التوجه خلال العقود القليلة القادمة للأخذ بمبدأ " التطوير العمراني لمراكز المدن ." [١٠]

هذا الجدل أوضح بشكل جلى الفرق بين تعريف سيرت للتصميم العمراني وفكرة التخطيط اللامركزي المنبثقة عن فكرة المدينة الحدائقيه التي يتبناها أوجور وآخرون واستخدمت بشكل مكثف ضمن ما عرف بالبرنامج الجديد (برنامج تشريعي و إداري وضعه الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت خلال ثلاثينيات القرن العشرين الميلادي) . ويمثل سيرت هنا وجهة نظر الآخذين بالعمران الحديث ، كما طوره كل من لوكوربوزييه في فرنسا والمعماريين الألمان ذوى التوجهات اليسارية في عشرينيات القرن العشرين الميلادي ، الذين يتبنون استبدال مساكن الطبقة العاملة التي بنيت بشكل رديء خلال القرن التاسع عشر في معظم المدن الأوربية بنمط جديد للإسكان ومناطق العمل يقام في الغالب على الحدود الخارجية للمدن . ولكن سيرت ، مختلفاً بذلك عن لوكوربوزييه ومعظم أعضاء مجموعة سيام الآخرين ، كان يؤمن بمزايا الحياة الحضرية التي تعتمد على حركة المشاة وهو ما يمكن أن نصفه نحن اليوم بالبيئة العمرانية ، بدلاً من بيئة الضواحي التي تعتمد على السيارة التي تبناها أعضاء مجموعة سيام ومعظم مخططي البرنامج الجديد . ففي تصميمه للفراغات العمرانية للمشاة ركز سيرت منذ عام ١٩٤٤ على استخدام " المقياس الإنساني كوحدة للقياس" ، مشتركاً في ذلك مع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فورستر ، برناردي، وايمونز، نموذج لمركز حي شاطئ الغروب (سن ست)، سان فرانسيسكو ، كاليفورنيا ،١٩٥٢ . من مجلة أركيتكتشر ريكورد ، أبريل ١٩٥٢ . (من الأصل بالإنجليزيه، ص١٢)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

• مركز روكفيلر - مثال للعمران المتميز ، مدينة نيويورك،١٩٧٠. من كتاب : مراكز للبيئة العمرانيه ، لـــ: فيكتور جرون (من الأصل بالانجليزيه ، ص ١٢)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لوكربوزييه ، حيث يعتقد كل منهما أن "الإطار الطبيعي للإنسان" قد تمَّ تدميره في المدن الكبرىالمعاصرة ، لذا فان هذه المدن عجزت عن " توفير التواصل الإنساني الذي يَرقى بالمستوى الثقافي لسكانها " . وبالرغم من تماثلها الوظيفي مع الميادين التقليدية في المدن القديمة إلا أن المراكز الحضرية أو العمرانية الجديدة التي ينادى بها سيرت ستكون "ذات شكل ومحتوى جديدين وليست بأي حال من الأحوال استنساخاً للميادين القديمة ." [١١]

لقد بدأ سيرت و بول لستر فينر ، شريكه في مكتب "مخططوا المدن المتشاركون" بين عامي ١٩٤١-١٩٥٨م ، في تصميم هذه المراكز العمرانية لمشاريع في أمريكا الجنوبية ، بدءا بمشروع مدينة السيارات بالبرازيل عام ١٩٤٥م . ومع أن الفكرة الأساسية في تخطيط هذا المشروع كانت لا تزال مبنية على مبادئ سيام التقليدية التي تأخذ بالبلوكات السكنية المتباعدة عن بعضها البعض ، مثلما فعل لوكوربوزييه عام ١٩٣٤ في مخططه الذي لم ير النور لمدينة نمورس في شمال أفريقيا الفرنسية (الآن بلدة غزوات ، الجزائر) ، [١٢] فقد أضاف سيرت وفينو في مشروع مدينه السيارات مركزاً عمرانياً ربما يكون مستلهماً من الأعمال المعاصرة لكل من إليل و ايروسارنين لمراكز المشاة العمرانية التي يمكن الوصول إليها بالسيارة في منطقة ديترويت . وبدءا من الأجتماع السادس لسيام عام ١٩٤٧م ، شرع سيرت يستخدم مثال مدينة السيارات ومشاريعه التخطيطية في أمريكا الجنوبية ليجذب اهتمام مجموعة سيام لهذه القضية وإلى التركيز على المقياس الإنساني وعلى تصميم مراكز عمرانية معاصرة للمشاة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لقد كانت أفكار سيرت حول المركز العمراني متماثلة أو مشابهة لتلك التي كان ينادى بها جيديون ، أمين عام مجموعه سيام من ١٩٢٩ إلى ١٩٥٦ والذي تعرَّف إليه سيرت منذ عام ١٩٢٩م . ففي مقالة نشرت عام ١٩٣٧ بعنوان هل نحتاج لفنانين ؟ يجادل جيديون بأننا في هذا العالم المعاصر "الذي أصبح فيه الفن مستوعباً ضمن الحياة نفسها .. نحتاج إلى وسائل للتعبير عن مشاعرنا وأحاسيسنا حتى وان كانت لا تخدم أي غرض واضح ومحدد" . ويعتقد أن "كل إنسان يتوق لبيئة تمثل أو تعكس رغباته وأحاسيسه ودواخله" [١٣] . هذا التوجه الحسِّي الجديد في الفكر المعماري الذي تبناه سيرت وجيديون يقتضي ضمناً أن يحاول معماريوا الحداثة ضمن تصاميمهم الوظيفية للبيئة العمرانية تحقيق الجانب الفني (الحسِّي) الذي وصفه جيديون بالرغبة في التعبير الحسي الجماعي المشترك . وستكون النتيجة فضاءات رمزية تحتوي الوجدان والعاطفة والأحاسيس ، بالاضافه لأنماط الحركة والمعيشة والعمل . وقد ألمح جيديون في كتابه "المكان والزمان في العمارة" (١٩٤١) بأن "التنظيم الفراغي والمعالجة التشكيلية لمثل هذه الأماكن كانا مستهدفين في مركز روكفلر بمدينة نيويورك."[١٤]

من خلال نشاطات سيرت وجيديون في الأربعينيات من القرن العشرين ، التي تأثرا فيها بشكل عام بأعمال لوكوربوزييه وربما أيضاً بأعمال إليل و إيروسارانين، تطور إتجاه جديد في التصميم المعماري لمراكز المدن . وفي مؤتمر سيام السابع المنعقد في برجامو، إيطاليا عام ١٩٤٩ ، افتتح سيرت ــ كرئيس لسيام ــ الاجتماع بمقارنة المقياس الإنساني لبرجامو.. المدينة التاريخية من العصور الوسطى التي يعقد فيها المؤتمر،مع مقياس المدن الحديثة.. فريسة الفوضى جرَّاء نموها المبعثر وافتقارها للتخطيط . وحدَّد سيرت في حديثه عمل سيام

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كنتيجة لـــ "روح الثورة" ضد هذا الوضع وامتدادها لتشمل جهود "إزالة الفوضى الناشبة في مجال العمارة والتحضر".[١٥] وفي ربيع عام ١٩٥٠ استطاع سيرت وفينر إقناع لوكربوزييه بالموافقة على "قلب المدينة" كموضوع لاجتماع سيام التالي الذي سيعقد في عام ١٩٥١، حيث كان الثلاثة يعملون في ذلك الوقت على المخطط العام لمدينه بوجوتا .[١٦] وكان لوكوربوزييه قد اقترح أن تقوم مجموعة سيام البريطانية المعروفة باسم مارس باستضافة الإجتماع ، وبمتابعة من جاكلين تيرويت قامت مجموعه مارس بتنظيم عقد سيام ٨ قرب لندن في يوليو ١٩٥١ وكان موضوعه "قلب المدينة" .

وفي حديثه غير المنشور في افتتاح اجتماع سيام الثامن ، الذي يختلف عن النسخة المعروفة والمنشورة ، لاحظ سيرت أن "معظم الناس في المدن قد تبنوا العيش بالضواحي ، مشاركين ومشجعين بذلك "التوجه نحو عدم التمركز في المدن" [١٨] ولذلك "إن أردنا عمل شئ لمدننا فيجب أن نعود مرة أخرى للحديث بمفردات مدينية وعمرانيه" . و يرى سيرت بأن "الميزة الحقيقية (الوحيدة) للعيش في المدينة تكمن في "وجود الإنسان بجانب أخيه الإنسان ، وتبادل الناس الأفكار مع بعضهم البعض ومناقشتها بحرية تامة " .. هذا في المدينة ، بينما في الضواحي تأتي" الأخبار أو المعلومات أو الرؤى أو الصور " من التليفزيون (الذي أصبح واسع الانتشار في خمسينيات القرن العشرين) أو من المذياع ، وبذلك " يرى المرء ما يعرض له ، ويسمع ما يتلى عليه فقط ". وقد وجد سيرت أن ذلك "خطير جداً" ، حيث أن الناس الذين يعيشون في الضواحي سيكونون في المستقبل موجَّهين حيث "لا يرون ولا يسمعون إلا ما يرغب المتحكمون بوسائل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الإعلام إطلاعهم عليه" ، مما يعد "تدخلا سافراً في اختياراتنا وحريتنا في انتقاء شئ ما دون غيره" .

وحيث أن " المدينة قد توسعت وامتدت بشكل مروع " فقد هدف سيرت أن تبادر مجموعة سيام بإنشاء "منظومة من المراكز" لاعادة هيكلة المناطق الحضرية الكبيرة حول عدد من مراكز المشاة التي تجذب الناس إليها . وهذه المراكز ، كما يعتقد ، ستتيح الفرصة لتجمع وتواصل العامة ومناقشتهم "لكل الأشياء المهمة في طريقه حياتنا إن كنا نود إذكاء الحياة المدينيه التي نطمح إليها" ، وعلى أن يقوم بتخطيط هذه المراكز " فريق من المختصين " ويقصد بالمختصين هنا "علماء الاجتماع" واستطرد قائلا "يمكننا أن نقوم بالمهمة بأنفسنا" ، وأضاف بأن من أساسيات تطبيق الفكرة الاحتفاظ بالمناطق المركزية للمشاة فقط ، بحيث "يصبح

فيكتور جرون ، مركز ساوث ديل ، فناء الحديقه

إدنا ، مينيسوتا ، ١٩٥٦م ، المصدر / www.southdale.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المركز بكامله من أكبر نقطة فيه حتى أصغرها،عبارة عن جزيرة خاصة بالمشاة". وقد ربطت الدعوة الرسمية للاجتماع الصادرة من قبل مجموعة مارس، التي ربما كتبتهاتيرويت ، فكرة المركز أو قلب المدينة بمهام سيام الأربع – المسكن ، العمل ، المواصلات ، والترفيه – وكذلك بالمستويات الخمسة المتعلقة بمقياس المدينة- قريه أو مجموعة سكنيه ، حي أو مركز سوق صغير، بلده أو قطاع من مدينه ، مدينة أو حاضرة كبرى يقطنها عدة ملايين من البشر – بحيث يكون هناك مركز لكل وحدة من هذه التقسيمات. [١٩] واعتبر سيرت أنه ليس هناك إلا قليل من المبادئ العامة التي يمكن إضافتها بسبب التباينات بين البلدان في المناخ ومعايير المعيشة والموارد المتاحة والعادات والتقاليد وعوامل أخرى كثيرة. واختتم حديثه باقتباس عن استقرار وأمان الإنسان من "ثورة العامة" للفيلسوف الأسباني خوزيه أوريتجا جازيت [٢٠] ، مضيفاً "بأننا بعد دراستنا لإيجاد فراغات مفتوحة في المدن ، لا نزال نشعر بالحاجة إلى فراغات مدينية فيها" .

سيرت وفريق العشره والتصميم العمراني في هارفارد ، ١٩٥٣-١٩٥٧

بدأت مجموعة سيام بالتفكك مباشرة قبل تولي سيرت عمادة كلية الدراسات العليا للتصميم بجامعة هارفارد ورئاسته لقسم العمارة فيها عام ١٩٥٣. فقام الأعضاء الشبان في مجموعة العشرة بالطعن في المهام الأربع لسيام وكذلك في تحكم جروبيوس ، سيرت ، جيديون ، تيرويت وحلفائهم بالمجموعة . ولكن جميع هؤلاء الأعضاء من سيام إستمروا في نفس الوقت بتبني الفكرة القائلة بأن "ليس

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هناك من حدٍّ فاصل" يمكن رسمه أو تحديده بين العمارة والتخطيط .[٢١] ويجمعون في اعتقادهم بأن البيئة العمرانية يمكن تشكيلها بما يسميه جيديون "الخيال الفراغي أو المكاني" ، ويعرفه بأنه "الخيال الذي يستطيع التعامل مع الأحجام في الفراغ وتوزيعها بحيث تنشأ عن ذلك علاقات فراغيه جديدة بين المنشآت والمباني المختلفة ومن ثمَّ الخروج بتشكيل جديد ذي انسجام رمزي".[٢٢] يعطي جيديون أمثلة كثيرة لهذا التوجه في قالاته في بداية الخمسينيات وكذلك في كتابه: عقد من العمارة الجديدة (١٩٥١) تبدأ من كرسي الخشب المضغوط لـــ إيمز ثم بيوت العائلة الواحدة وحتى المجمعات السكنية من تصميم فيرنون دي مارس،نيوترا،ألتو،ميز، وآخرين إلى أن يصل للمباني العامة والأحياء السكنية ، وأمثلة من" مراكز البلدات " والمدن. [٢٣] ومع أن القليل من الامثلة التي أوردها جيديون لمجموعة سيام قد تم بناؤها إلا أن أفكار سيرت حول المراكز بدأت في الظهور ضمن مشاريع حقيقية في هذا الوقت . فقد بدأ مصمموا مراكز التسوق في الضواحي مثل بيترو بيلوتشي و موريس كوتشم ثم فيكتور جرون وآي إم بي بتطبيق فكرة المركز على المدن الأمريكية الكبيرة التي أخذت في الإنتشار السريع خلال الأربعينيات والخمسينيات من القرن العشرين . وتبعاً لذلك قام آي إم بي بتصميم مشاريع حداثيه ذات استعمال مختلط للمشاة لصالح المطور وليام زكندورف في مراكز مدينة دينفر وواشنطن دي سي ومونتريال ومدن أخرى .

وقد رغب سيرت في ذلك الوقت أن يضم بي لأعضاء هيئة التدريس في هارفارد ولكن بي كان مشغولاً جداً بممارسته المهنية مما لم يسمح له بذلك[٢٤]، أما جرون فقد دعي ليتحدث في المؤتمرين الأول والثاني للتصميم العمراني في هارفارد .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

غـــــلاف كتـــــاب : فريـــــق العشـــــره ، تحريـــــر : أليســـــون سميثســـــون
(من الأصل بالإنجليزيه ، ص ١٨)

وفي مقالتهما عن "شكل المدينة الأمريكية" المنشورة عام ١٩٦١، ألمح سيرت و تيرويت إلى أنه "ربما تعطينا بعض مراكز التسوق الجديدة فكرة " لما يمكن أن تكون عليه " الأماكن المصممـــــــة بشكل جيد كملتقى للعامه" . وقد ركز مؤتمر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هارفارد السابع للتصميم العمراني على هذا المحور وكان بعنوان "مركز التسوق كنواة للنشاطات وسط المدينه".[٢٥]

لقد بدأ التساؤل من قبل فريق العشرة حول فكرة المركز كفكرة محورية لمجموعة سيام كما ينادى بها سيرت ، إذ رفض هؤلاء الأساس الوظيفي للتحضر والعمران كما تراه مجموعة سيام ، بل وسخروا ممَّن سمَّوهم " بالأساتذة " من مجموعة سيام في هارفارد كما يصفهم آل سميث في عام ١٩٥٥، ويقصدون بذلك جروبيوس ، سيرت ، جيديون وتيرويت .[٢٦] وبدلاً من المبادئ الأساسية الأربعة اقترح فريق العشرة أن يؤخذ بفكرة "التجمع (الاقتران) الإنساني" التي تم اختبارها ضمن "مجال محدد" باستخدام "مقياس للاقتران" نظم من قبل مجموعة الوادي المرتبطة بـــ جيديس ، كأساس لتحليل المشاريع التي ستعرض في إجتماع سيام العاشر .[٢٧] وقد استخدم رسم جيديس البياني الذي يوضح علاقة المجموعات السكنية ببيئتها المحيطة من قبل آل سميث لتحويل توجُّه مجموعة سيام عن إعادة التنظيم العمراني المبني على الوظيفية البحتة إلى توجُّه يأخذ بأهداف تخطيطة غير ملموسة ترمي إلى تعزيز الإرتباط (الاقتران) بين النشاطات الإنسانيه ومحيطها الطبيعي . وقد استخدموا مفردات عامه وشاملة عن قصد ، بغرض احتواء الواقع المتعدد والمختلف المتمثل في مجموعة سيام، التي تعدت مجموعات عضويتها في هذه المرحلة أكثر من عشرين بلداً في أوروبا وأمريكا الشمالية ودول الكاريبي وأسيا وشمال أفريقيا الفرنسية . لقد اقترح فريق العشرة هنا استبدال المفردات الوظيفية لسيام،المبنية على مجموعة من الأسس التي أفرزتها الحركات السياسية للعمال قبل الحرب العالمية الثانية ، بمجموعة من المفردات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المنبثقة من تجاربهم المباشرة والتي رأوا أنها أكثر علاقة بواقعهم كجيل من الأوربيين الغربيين يعيشون فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية . فبدلاً من " الوظائف الأربع " لسيام وهي السكن ، العمل ، المواصلات والترفيه ، اقترح آل سميث استخدام مجموعة ثابتة من العوامل البيئية في التحليل المقارن لمشاريع سيام ، بدءا من بيت ريفي معزول وحتى المشاريع الكبيرة في منطقة عمرانية مكتظة .[٢٨] وقد رد كل مـــــــن سيرت ، وجيديون ، وتيرويت على تحدي فريق العشرة لسيام بتطوير فكرة "التصميم العمراني" في هارفارد ، مؤسسين بذلك توجهاً عمرانيا عالميا يبدو أنهم أبقوه بعيداً عن أعضاء سيام الذين تأثروا بشكل كبير بأفكار فريق العشرة في أوروبا .

في عام ١٩٥٤ طلب سيرت من جيديون أن يوجه جهده لتدريس التاريخ في مدرسة الدراسات العليا للتصميم في هارفارد . ويبدو أن أول ظهور لمفردة "التصميم العمراني" في هارفارد كان في مادة تاريخ التصميم العمراني التي درَّسها جيديون في خريف ١٩٥٤، وربما كانت هذه المادة عبارة عن تطوير وإعادة صياغة لحلقاته الدراسية عن "المراكز الحضرية أو المدينية" التي سبق أن ألقاها في كل من جامعه ييل ومعهد ماساشوشستس للتقنية بالإضافة لما احتوته محاضرته عن "الخلفية التاريخية للمركز" التي ألقاها في اجتماع سيام الثامن. [٢٩]

وقد كان هذا التوجه مرتبطاً بكتابات جيديون في ذلك الوقت التي أكد فيها على الحاجة الاجتماعية للمراكز المدينية ووضعها في إطارها التاريخي بتسلسل زمني يمتد حتى العصور القديمة . وفي مقالته " الفراغ وعناصر مدينة عصر النهضة"،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ركز جيديون على براعة النهضويين في خلق فراغات عمرانية ، ممثلة في إعادة تصميم مايكل انجلوا لـــساحة كامبيدو جليو والقصور المحيطة بها في روما .[٣٠] وفي مقالة أخرى بعنوان "أنسنة الحياة الحضرية" ، تتبع جيديون تطور الإرتباط بين "العوامل الاجتماعية والجمالية في حركة (توجهات) الإسكان" بدءا من هولندا في ١٩١٩ إلى الوحدة التي صممها لوكربوزييه في مرسيليا ، والتي يقول عنها بأنها "بقدر ما هي إسهام في مجال التصميم العمراني فهي أيضا مجمع من المساكن العائلية" . بعد ذلك أيَّد بجديَّة "مرحلة ثانية من العماره المعاصرة " تُركز على " أنسنة الحياة الحضرية" وتشتمل على أنواع من المساكن التي طرحها لوكربوزييه وفراغات عامة مخصصة للمشاة تشابه تلك التي طرحها سيرت وفينـــر لمراكز المدن في أمريكا اللاتينيه مثل مدينه تشمبوت، في دولة بيرو .[٣١] وبالعودة في خاتمة مقاله الى مثال ساحة كامبيدو جليو التي أعاد تصميمها مايكل أنجلو ، وهو المشروع الذي رأي جيديون في تكويناته تبسيطا لديموقراطية مجتمعية من حيث الشكل أقامها الحكم المطلق ، ولعل جيديون أدرك ظهور بعض التناقض بين المقاصد الإجتماعية للتوجه الجديد لسيام ، الذي يسعى لتصميم بنية عمرانية ترتكز على المشاة من أجل الديموقراطية ، وواقع عالم ما بعد الحرب .

ولكن بمجرد وجودهما في هارفارد وضعت هذه الشكوك جانباً حيث بدأ سيرت وجيديون بوضع الأسس للفرع الجديد : التصميم العمراني . وبينما بقى معظم العمل في استوديوهات التصميم البيئي التعاوني في هارفارد مشابها لمشاريع سيام السابقة وللأفكار التي سبق أن طورت بواسطة العميد السابق جوزيف هودنت ورئيس قسم العمارة وولتر جروبيوص[٣٢] ، بدأت معالم أخرى تظهر في كلية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التصميم العمراني أثناء عمادة سيرت لها . فقد درَّس المعماري جين – بول كارلهيان من بوسطن مادة بعنوان "تصميم المدن" ، كما درَّس النحَّات البنائي نعوم جابو مادة "بحث التصميم" [٣٣] بالتعاون مع شريك سيرت جوزيف زالوسكي[٣٤]. وفي عام ١٩٥٤-١٩٥٥ درَّس عضو سيام الإيطالي إيرنستو روجرز ستديو في التصميم ومادة "نظريات تكوينات العمارة" كأستاذ زائر[٣٥] . وكان روجرز خلال ملاحظات له في الاجتماع الثامن لسيام قد رفض التمييز بين "الفن الأزلي والفن المعاصر" ، قائلاً "كل مرة نرسم فيها خطاً يجب أن ننظر له كما لو أنه باق إلى الأبد".[٣٦] وقد طوَّر موقفه هذا في بيانه المشهور الصادر في كازابيلا بعنوان "الاستمرارية" الذي ذكر فيه "بأنه لا يمكن اعتبار عمل فني ما حديثاً إذا لم يكن متَّشحاً بحق بالتقاليد"[٣٧]، عاكساً بقوة الاتجاه الفعلي لمعظم حداثيي ما بعد الحرب الإيطاليين . وقد تعرض موقف مجموعة سيام الإيطالية هذا لنقد صارخ من قبل آل سميث فـــي اجتماع سيام عام ١٩٥٩ في أوترلو ، وكان رفض هذا الموقف أحد الأسباب الرئيسة لاضمحلال سيام . على الجانب الأخر ، نجد أن سيرت وروجرز ، يعملان في هارفارد على تطوير موقف حداثي محافظ يعتبر الأهمية الحضارية والسياسية لمراكز المدن المخصصة للمشاة من القيم الأساسية في العمارة الحديثة . كما أنهما ومعهما جيديون أعادوا تثمين قيمة "التاريخ" في هذا الإطار الجديد للتصميم العمراني ، مقدمين نماذج من الفراغات العمرانية التاريخية للطلاب بنفس السياق الذي يقدمون فيه الأعمال العمرانية الحديثة لـــ : لو كوربوزييه و كوستا و نيماير و سيرت و باكيما .

وفي ربيع ١٩٥٥ قُدِّمت الأسس الفكرية لهذا التوجه الجديد لسيام لأول مرة للطلاب في حلقة دراسية بعنوان " التصميم العمراني" ، درَّسها كل من سيرت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومهندس تنسيق المواقع هايدو ساساكي (الذي تم استعادته لهارفارد من جامعه إلينوي بواسطة المخطط ريجنالد إسحاق من متدربي والتر جروبيوص) وكارليهيان . وقد وصِفت الحلقة بتركيزها على "التعبير العمراني لتخطيط المدن" وعرَّفت "التصميم الحضري " (وهو مفردة لا زالت تستخدم في النص الوصفي هنا كمرادف لمفردة التصميم العمراني ، وهذا ما كان عليه الحال أيضاً في جامعة بنسلفانيا في ذلك الوقت) كما لو كان يتعامل مع "مقادير ومقاييس- مجموعة من المباني ، فراغات مفتوحة ، طرق ، وعلاقتها ببعضها البعض" [٣٨] . وتشير ملاحظات سيرت على هذه الحلقه إلى ضرورة تتبع العوامل التي تشكل التجمعات الإنسانية ، بما في ذلك "العوامل الجغرافية والمناخ" ، ويستطرد ليأخذ في الاعتبار دور المعماري والمخطط في ذلك . ويلاحظ هنا عدم الاشارة لدور منسِّق المواقع بالرغم من مشاركة ساسكي في تدريس المادة.[٣٩]وبعد الإشارة لمشاكل التلوث والازدحام المروري وغيرها من المشاكل في المدن . يخلص سيرت إلى أن تأثير هذه الأوضاع غير الطبيعية في سكان المدن ستظهر لنا ذات يوم .

إن سكان المدن في ازدياد مستمر ، وقد آن الأوان لتطبيق إجراءات جذرية شاملة لتحسين البيئة الحضرية ، نظراً لأن هذه البيئة بأكملها هي التي ستكون على المحك في نهاية المطاف" [٤٠] وبينما تبدو وجهة النظر الواردة هنا أرستقراطية بعض الشئ في ضوء الاعتقاد بأن المصممين العمرانيين يمكنهم أن يقوموا لوحدهم بتحليل وتصميم البيئة المبنية بما يخدم الصالح العام ، فان جهود سيرت و ساساكي في تكوين عمران حداثي ذي إهتمام جديد بالبيئة العمرانية للمشاة والبيئة الطبيعية قد وضعت الأسس لمدخل جديد إلى فهم دور التصميم في تشكيل التنمية الحضرية .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

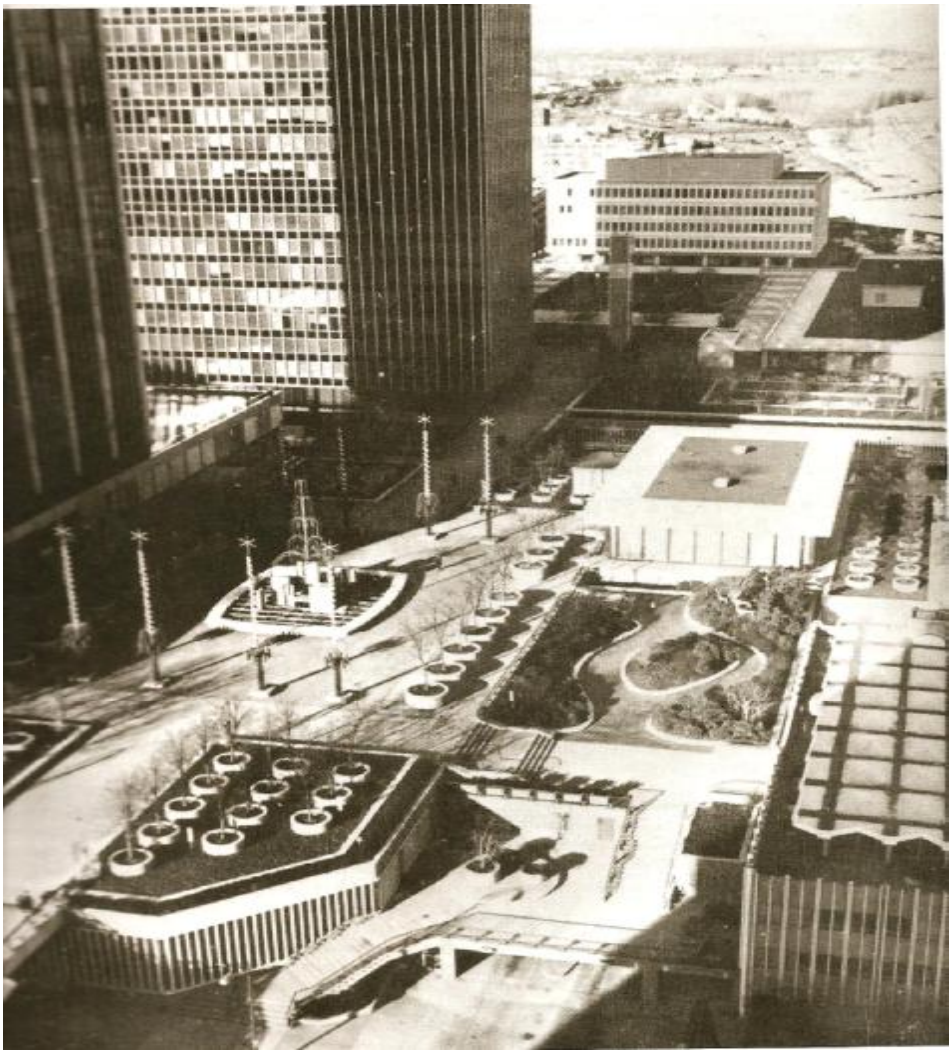

من كتاب: مراكز البيئة العمرانيه ، لـــ: فيكتورجرون. (من الأصل بالانجليزيه ، ص١٧)

ومع استمرار التحضير لاجتماع سيام العاشر ، فقد شغل التدريس والممارسة معظم وقت سيرت . فمنذ ١٩٥٣ انشغل هو وفينر بإعداد برنامج تخطيطي وطني

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لكوبا ، مماثلا لما قاما به من قبل لكولومبيا . وقد اقترحا مخططاً إقليميا للدكتاتورية العسكرية برئاسة فولجينثيو باتستا الذي كان يرغب في تكوين صورة معمارية جديدة لحكومته .

وقد عمل سيرت في هافانا طوال صيف ١٩٥٥ ، حيث شرع مع فينر باعداد المخطط التجريبي (الريادي) لمدينة هافانا في ذلك الوقت ، وتضمن إعادة هيكلة شاملة لنظام المواصلات والترفيه والفراغات العامة في المدينة ، بالاضافه لاقتراح إعادة تشكيل ومنظومة من المراكز الحضرية مهيئة للاجتماعات الديمقراطية العامة والمفتوحة ، وهو ما تبنَّاه سيرت منذ عام ١٩٤٤[٤١] . ومع ذلك فان إشكالية إيجاد مجال ديموقراطي عام لحكم مطلق لا يبدو أنها نوقشت في ذلك الوقت .

في عام ١٩٥٥، وبمساعدة من تيرويت ، بدأ سيرت في الإعداد للمؤتمر الأول للتصميم العمراني في هارفارد ، وهي مهمة بدأها إبـــَّان كان رئيسا لسيام ومنكبًّا على عمله في نيويورك وهافانا ومكتبه الصغير الذي أسسه في كيمبردج في خريف ١٩٥٤[٤٢]. وقد ركز المؤتمر على فكرة سيرت القائلة بأنه "بعد فتره من النمو السريع والانتشار العمراني" يظل مركز المدينة عنصراً أساسياً في الحضارة الأمريكية . ولذا يرى سيرت أنْ على المعماريين والمخططين "أن يكونوا ذوى فكر حضري" . وقد تم التعليق على هذه الفكرة وتطويرها من قبل المتحدثين المختلفين الذين تحدوا الأفكار التخطيطية السائدة في عام ١٩٥٦ . لقد كان للكثير من أفكارهم وطروحاتهم تأثير جذري في الفكر الأمريكي حول المدن في السنوات التالية . وكما بدأت مشاريع سيرت المعروفه في هارفارد مثل مركز هوليوك تتبلور ، استمر سيرت وجيديون وتيرويت ، بالاضافه لجروبيوص أحيانا، كأعضاء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في سيام ، ولكن من موقع عملهم في مدرسة الدراسات العليا للتصميم في هارفارد[٤٣].

في الاجتماع العاشر لسيام شارك كل من بلانش ليمكو (فيما بعد فان جينكل) من مجموعة سيام في جامعة بنسلفانيا وزيلويسكي من مجموعه سيام في بوسطن ، كما شارك إدوارد زيكلر وهو نمساوي من مجموعة سيام الذي بدأ يدرس التاريخ مع جيديون في هارفارد في خريف ١٩٥٦ . أيضاً شارك جيرزي سلطان وهو بولندي من مجموعة سيام وعمل مع لوكوربوزييه في باريس وانتقل لهارفارد بناء على دعوة سيرت في عام ١٩٥٨[٤٥] ، مما وفر نوعاً من الاتصال بين هارفارد وفريق العشرة . وفي أغسطس ١٩٥٦ إفتتح سيرت اجتماع سيام العاشر الذي عقد قرب دوبروفينك أيام كانت يوغسلافيا قائمة ، معلناً موضوعه : "الهيكل المستقبلي للموئل الإنساني ". وقد جادل سيرت بأن إجتماع سيام الثامن "التركيز على العلاقات المتداخلة للوظائف" كان بالفعل في الصميم ، مما أضاف "فصلاً أساسياً جديداً لإعلان أثينا . وفي ذات الوقت أثنى سيرت على المنظومة المتقاطعة التي أعدها فريق العشرة لاجتماع سيام العاشر.[٤٦] وفي كلمته الختامية حول "مستقبل سيام" ركّـز سيرت على الطبيعـــة العالمية للمنظمه ، مشيراً إلى أن لديه في هارفارد "شباناً جاؤا من كافه بقاع الدنيا : من آسيا و شمال وجنوب أفريقيا و أوروبا و أمريكاالجنوبية .. الخ" ، وأنهم جميعاً "يعرفون عن سيام ولديهم الرغبة في معرفة المزيد عنها" . ومعلقاً على منظومة سيام المتقاطعة ، أوضح أنها "ممتازة ، إلا أنها محدودة لدرجة كبيرة في منطقة واحدة من العالم". وقد اقترح تشكيلاً جديداً لتسهيل المشاركة من المناطق الأخرى ، ليس فقط أمريكا... بل اليابان أيضاً ، وربما الهند وأماكن أخرى من العالم" . مضيفاً بأن "ما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تم عمله مثلاً في البرازيل هو بلا شك عمل مميز وأعتقد أن اليابان .. ستلحق أيضاً". وكان عمل كل من لوسيو كوستا وأوسكار نيماير في البرازيل قد جذب قليلا انتباه سيرت ضمن منظومة سيام ، وكذلك الحال في اليابان بالنسبة لأعمال كيونيو ميكاوا ، وكنزو تانجي والمعماريين اليابانيين الآخرين .

لقد كانت العالمية دائماً جزءاً من تكوين سيام إلا أن سيرت ينادى الآن بالإنتشار أكثر والوصول إلى مناطق جغرافية أبعد . وكان يقول باستمرار أن تأثير سيام الأعظم في المستقبل ربما يكون في مجال "تعليم العمارة والتخطيط" ، نظراً لكون الكثير من الأعضاء يعملون في هذا المجال مشيراً لأعضاء سيام (معظمهم الآن غير معروفين) الذين يدّرسون في أوروبا وكولومبيا وإسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية واليابان.[٤٧] وبعد إعلان قرار حل جميع مجموعات سيام القائمة في الإجتماع العاشر لسيام أملاً في إتاحه الفرصة لتشكيل هيئة توجيه جديدة من الشباب ذات صبغة عالميه،اقترح سيرت "مجموعة جديدة من ثلاثين فرداً" لتوجيه فروع سيام الثلاثة في كل من أوروبا والأمريكتين وأسيا . وسيصبح روجرز نائباً للرئيس، بينما يخلف باكيما سيرت في منصب الرئاسة . ومن خلال مقترح سيرت لاعادة تنظيم سيام ، سيمثل فريق العشرة وأعضاء سيام الإيطاليون معظم مجموعة أعضاء سيام / أوروبا ، بينما ستضم مجموعة سيام / الشرق كنزو تانجي وآخرين من اليابان ، بلكرشنا دوشي من الهند ، وليم ليم من سنغافورة وأعضاء من كل من بورمـــا (ميانمار الآن) ، إسرائيل ، المغرب ، والجزائر.[٤٨]

ومع أن بعض هؤلاء المعماريين ، أمثال تانجي ودوشي سيصبحون فيما بعد مؤثرين جداً في أوطانهم ، إلا أن ذلك لم يعد سوى بالقليل على منظمة سيام

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خوزيه لوي سيرت ، تخطيط وتصميم حرم جامعة بوسطن، ١٩٦٤م

الصوره : صالح الهذلول ، ٢٠٠٨

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نفسها . وفي اجتماع سيام عام ١٩٥٩ في أوفرلو بهولندا ، قدَّم فان أيك وباكيما فكرة المركز الحضري كفكرة لمجموعة "سيام القديمة" المرتبطة بجروبيوص[٤٩] ، وقرروا بالاشتراك مع آل سميث التوقف عن استخدام مسمَّى سيام . ولم يتضح إلى أي مدى بقى سيرت و تيرويت و جيديون على اتصال بأعضاء سيام في الجامعات بعد هذه المرحلة . لقد كان سيرت يريد بالتأكيد إستمرار سيام بالرغم من مقاومة فريق العشرة للإستمرار في استخدام المسمى . ففي عام ١٩٥٧، وخلال اجتماع أعقب المؤتمر الثاني للتصميم العمراني في هارفارد بأيام قليلة ، التقى سيرت بـــ جروبيوص و جيديون و تيرويت و بكيما لمناقشة مستقبل سيام.[٥٠] ويوضح محضر الجلسة أن جيديون إستهل قائلاً " السؤال المحوري هو... كم بقي من الحياة في سيام ؟ " ذلك أن المجموعة الهولندية هي الوحيدة التي لا زالت تعمل حينئذ . وقد أصرَّ باكيما على أن "من الأفضل القول بأن أجَلَ سيام قد دنا " ذلك لأنه إن إستمر.. سيأتي الهجوم عليه من آل سميث وماكس بل" اللذين يمثلون فريق العشرة من جانب ، ومجموعة التوجه شبه العلمي الذي عرف بـــ ألباوهاوس الجديد من الجانب الآخر . ولكن جروبيوص وسيرت لم يكونا متأكدين من أن سيام يجب أن تنتهي ، حيث استشهد سيرت "بمشاعر ووعي أولئك المنضمين لهذا المجال الجديد من الهند واليابان وأمريكا الجنوبية ، مضيفاً أن "المسار الرئيس يجب أن يستمر" [٥١] ، ولكن من سخريه القدر أن يتم ذلك من فريق العشرة وسيرت ومَن خَلَفَه في المدرسة العليا للتصميم في هارفارد وليس من سيام !

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الخلاصة

يبدوا من الواضح الآن أن بدايات التصميم العمراني في هارفارد وتحدي فريق العشرة لمجموعة سيام لم تكونا ظاهرتين منفصلتين . فإذا كان الأول قد انبثق من سعي سيرت الدؤوب نحو تطوير مجال مهني تعاوني يجمع ما بين العمارة وتنسيق المواقع والتخطيط ، فقد اشترك الثاني (فريق العشرة) معه في الأصل في مجموعة سيام التي تعود جذورها الفكرية لأعمال لوكربوزييه والمعماريين الراديكاليين الآخرين في عشرينيات القرن العشرين . لقد عمل فريق العشرة على إحياء تلك الأفكار ونشرها بتقديم فكرة " الاقتران أو الارتباط الإنساني" القائمة في بعض الحالات على استراتيجية ثقافية جديدة تستخدم المظهر الملتزم للأنماط الدارجة للعمارة التقليدية والعمارة ذات الصبغة التجارية ومعها الأنماط غير الغريبة أيضا لنقد المراحل السابقة من الحداثة . هذا التوجه ، كما يتضح بأشكال مختلفة في أعمال آل سميث وفي مشاريع كدار الأيتام في أمستردام لفان آيك ، سيكون له في النهاية مخرجات متعددة ، بدءاً من فنون البوب (الشعبية) وحتى ما بعد الحداثة ؛ ولكن أفكار فريق العشرة ومفهوم سيرت للتصميم العمراني ، كلاهما كان متأصلاً ومنطلقاً من جهود سيام الأولى لنقل مجال التصميم من الرعاية الفردية إلى الرعاية الجماعية المدنية . كلاهما كان يصبو لإقتراح أفكار عملية مناسبة لتحليل وتغيير البيئة الإنسانية بكاملها من خلال التصميم المعماري ، وهو ما حاول سيرت تطبيقه عمليا في تخطيطه لحرم جامعه هارفارد ، لكن النجاح الأكبر في تطبيقه لرؤيته كان في مشروع بي بودي تيراس (لسكن الطلاب المتزوجين) وكذلك في تخطيطه لحرم جامعة بوسطن ، وكلاهما قام به من خلال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مكتبه: سيرت ، جاكسون وجورلي الذي أسس عام ١٩٥٨. واستمر مكتبه في تطبيق رؤيته لصالح هيئة التطوير العمراني لولاية نيويورك في الفترة ١٩٦٨ – ١٩٧٥على جزيرة روزفلت بمدينه نيويورك . وتأثير رؤيته تلك ماثل في المشاريع الأخرى للهيئة التي صممها طلابه السابقون مثل رولف أولهاوسن وجوزيف فاسرمان وماثل أيضا بطرق كثيرة مختلفة في الأعمال العالمية لطلاب هارفارد السابقين أمثال فوميهيكو ماكي ، فرانك قيري ، ماريو كوريا ، ميشل قرافيس ، كيو سونج وآخرون كثْر .

بالرغم من اختلافاتهم الكلامية و الشخصية ، فـــان المتأمل في توجُّه فريق العشرة والتوجُّه الذي حدَّده سيرت وجيديون بـــ "التصميم العمراني" في الخمسينيات من القرن العشرين سيلحظ أنهما الآن أكثر تماثلاً لا اختلافا ! وبينما كان السائد من وجهة النظر الأمريكية نبذ جميع أعمال هذه الفترة بحجة عدم جدواها ، وأنها لا تعدو عن كونها نتاج خرساني حجري غير انساني وكئيب ، فان كثيراً من أفكارنا السائدة اليوم عن التخطيط والعمران تعود حقيقة لتلك الفترة مثل الاعتراف بأهمية "قلب المدينة" كفراغ عمراني يحتضن حركة المشاة والمؤسسات الثقافية ؛ الحاجة لتنظيم أنماط الحركة بشكل أفضل ؛ الاعتراف بقيمة البيئة الطبيعية كجزء لا يتجزأ من التحضر ؛ وغياب التأييد السياسي الصريح لتقوية مركز المدينة . ومع بقاء الأهمية الجمالية والوظيفية لأعمال سيرت في موضع تساؤل وخلاف ، ألا أنَّ جهدَه في الجمع بين التاريخي والجديد؛ والتقني والفني في مجال يدعم ويقوي أنشطة المشاة في المدن في فترة الانتشار العمراني السريع تبقى ذات أهمية كبيرة في وقتنا الحاضر.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شكر وتقدير :

أتقدم بشكري للمحرر وليام ساندرز، ولـــ أليكس كريجر لتكليفهم لي بكتابة هذا المقال ، كما أشكر كلاً من هاشم سركيس ، ماري دانيلز ، وإنس زالرونو من هارفارد ، نانسي ميلر من جامعة بنسلفانيا ، جو سب روفيرا من إ تي إس آي برشلونه ، برونوموريير من إ تي إتش زيورخ ، إدوارد وبات زيكلر في فينا ، وأفراد عائلتي في سانت لويس لصبرهم وتحملهم .

الملاحظات والهوامش :

الإختصارات المستخدمة هنا :

CIAM : **أرشيف سيام ، إي تي إتش زيورخ ، سويسرا**

JLS : **أرشيف خوزيه لوي سيرت ، مكتبة فرانسيس لويب ، مدرسة الدراسات العليا للتصميم، هارفارد .**

SP : **أرشيف ستامو باباداكي، جامعة برنستون .**

UPB : **كلية الدراسات العليا في الفنون ، سجل مراسلات العميد 1918- 1967 أرشيف جامعة بنسلفانيا ، فيلاد لفيا .**

١- حول: أنظر: AC: documentos de astividad contemporanea
Ignasi de Sola-Morales," La nueva arquitecturay el asimetrico dialogo enter Barcelonay Madrid,"< www.residencia. Csic.es/ bol/num8/estrabismo.htm>.

٢- Josep Lluis Sert, Fernand Leger, and Sigfried Giedion, ``Nine Points on Monumentality,``
مقالة غير مطبوعة كلفوا بكتابتها من قبل جمعية التجريدين الأمريكيين، ١٩٤٣ وهناك صياغة منها في :
Joan Ockman and Edward Eigen, eds., Architecture Culture :1943-1968 (NewYork:Clombia Books on Architecture / Rizzoli , 1993),29-30.

٣- Jose Luis Sert, " The Human Scale in city Planning," and city Planning (New York Philosophical Libarry, 1944),392-412 .
خلال ربيع عام ١٩٤٣ كان سيرت سيلقى محاضرة بعنوان" العمران الحضري في مقابل عمران الضواحي " في مدرسة لازيوموهلي ناجي للتصميم في شيكاجو. ربما تكون هذه المره الأولى التي يطرح فيها سيرت لأفكاره (رسالة عن موهلي- ناجي لسيرت، ٣٥(٢) يناير ١٩٤٣، ملف رقم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

JLS-E2) لكنه في خريف عام ١٩٤٣ حاضر سيرت في (جامعة ييل حول" المقياس الإنساني في التخطيط ." ربما يكون ذلك نصاً مماثلاً للمقالة المنشورة في المجلد الذي حرره روكر.
(Mardges Bacon, forthcoming essay in Eric Mumford & Hashim Sarkis,eds., Jose Luis Sert(The Architect of Urban Design, 1953-1969).

٤- Jose Luis Sert,`` Urban Design,`` October 23,1953 (Folder D91,JLS).
نظمت الندوة على شكل حلقة نقاش مكونة من عدد من المتحدثين لم تشمل سيرت في البداية . ويحتمل أن سيرت إستخدم التعبير الذي سبق أن استخدمه إيلي ساينين في (محاضراته؟) في أكاديمية كرانبروك للفنون في الأربعينيات الميلادية (١٩٤٠) ، من هذه السلسلة معهد المعماريين الأمريكيين (AIA) .

٥- Letter, Louis Justment to Gorge Howe, October7.1953(UP8.41,Box9,Folder, Dean Perkins Correspondence ``Whither Cities?``Architectural Record, December 1953,10. 1953-1954) .
كتب عن الحدث بشكل ملخص

٦- ``Urban Design,`` October23,1953 Folder091,JLS), 2 .

٧- Jose Luis Sert,`` The Theme of the Congress: The Core,`` in the unpublished CIAM 8 pro- ceedings(CIAM JT-6- 16-36/41).

٨- ``Whither Cities?``10.

٩- Tracy Augur, ``The Dispersal of Cities as a Defense Measure,`` Bulletin of the Atomic Scientists, April 1948,131-134.

١٠- ``Whither Cities?``10.
تذكر تعليقات سيرت المكثفة حول أسباب إبقاء وإعادة بناء المراكز التاريخية في المدن في هذا التقرير الإخباري، كم لم يتم تسجيل أي ملاحظات أو تعليقات من المشاركين الآخرين.

١١- Sert,`` Human Scale,`` 392-394, 407-409

مثلت أفكار مشابهة الأساس لرسائل في التصميم العمراني أشرف عليها إيلى سارينين في أكاديمية كرانبروك للفنون من منتصف الثلاثينات`١٩٣٠ حتى عام ١٩٥٠ . مثال ذلك :

Gyo Obata,St.Louis:A Study in Urban Design(Cran- brook Academy of Art , 1946).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١٢- Le Corbusier and P.Jeanneret, Oever complete, 1934-1938, 7th ed. (Zurich: Editions d`Architecture Zurich,1964),26-29 .

١٣- Sigfried Giedion,`` Brauchen wir noch kunstler? `` plastique,Printemps 1937 , 19-21.

نشر جيديون ترجمة إنجليزية تتفق إلى حد كبير مع النص الألماني الأصلي من كتابه :

architecture, you and me (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1958),2-5.

١٤- Sigfried Giedion, Space , Time and Architecture (Cambridge,MA: Hatvard University Press , 1941),569-580.

إستمر جيديون في الدفع بأهمية التوجه الجديد والمركز الديني ، بالتوازي مع الفكرة المرتبطة بهما وهي :" تجميع وبلورة الفنون،" لعدة سنوات لاحقة. حيث قدم في عام ١٩٤٢ حلقه دراسية في جماعه بيل عن " المراكز المدينية والحياة الأجتماعية ، " والتي أعاد تقديمها فيما بعد في إي تي إتش في زيورخ عام ١٩٤٩ وفي إم تي آي تي عام ١٩٥١. هذه الحلقات استخدمت الطرق المقارنة بنفس المقياس المتبع في مجموعة سيام ، وذلك لتحليل أمثلة تاريخية مقارنة لمراكز عمرانية ، مماثلة لتلك المستخدمة من قبل إيلى سارينين وكتاب كاميلو زتي

Camillo sitte, Der Stadtebau(1889)

١٥- Sean d`ouverture,`` CIAM 7 Bergamo 1949 Documents (Nendein / Liechtenstein: Kraus Reprint, 1979),1-2.

ترجمة الكتاب من الأصل باللغة الفرنسية .

١٦- Letter, Sert to Godfrey Samuel, March, 5,1950

نقل من هذه الرسالة بشكل مكثف في

Jos Bosman, `` CIAM After the War: A Balance of the Modern Movement,`` Rassegna, Decem - ber 1992,11.

١٧- تيرويت ،مهندسة تنسيق مواقع مولودة في جنوب أفريقيا ، درست العمارة في رابطة المعماريين (AA) في لندن في العشرينيات من القرن العشرين الميلادي ، كما درست التخطيط في الثلاثينيات في المدرسة نفسها . مع نهاية الثلاثينيات أصبحت مساعدة لـ : روس، وهو فيزيائي ومهندس إنشائي تأثر بـ: باتريك جيديس . وقد أدار روس مدرسة التخطيط للتنمية الإقليمية في الرابطة ، التي لم تعمر طويلاً ، حينما درست تيرويت هناك ، وبدأت تيرويت العمل في مؤسسته للتخطيط وإعادة إعمار الأقاليم بعد ما ترك روس مدرسة التخطيط في عام ١٩٣٨ . وقد تولت إدارة المؤسسة عام ١٩٤١ ، حيث قدمت سلسلة من المواد في تخطيط المدن لمن هم في الخدمة العسكرية ضمن جيوش الحلفاء خلال الحرب عن طريق المراسلة .

(Volker Wel- ter,``Postwar CIAM , TeamX, and the influence of Patrick Geddes,`` in CIAM Team 10 , the English Context ,D`Laine Camp, et al., eds. (Delft: Faculty of Architecture, TU-Delft,2002),87-110;

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

Ines Zalduendo,``Jaqueline Tyrwhitt`s Correspondence Courses : Town Planning in the Trenches,``forthcoming).

-١٨ Jose Luis Sert,`` The Theme of the Congress: The Core.``
هذا نص مختلف في الأساس عن طرح سيرت المعتاد

Centres of, in J.Tyrwhitt,J.L.Sert, and E.N.Rogers,CIAM8: The Heart of the City Community Life (New York: Pellegrini and Cudahy, 1952),3-16.

-١٩ ``Text of MARS Group Invitation. The Core,`` In unpublished CIAM 8 proceedings (CIAM JT-6-16-6-7).

أعاد سيرت الصياغة في مقالته " مراكز الحياة الأجتماعية" في
Tyr- whitt,Sert,and Rogers.CIAM 8, 6. . في عام ١٩٤٤ قدم سيرت طريقه مماثلة لنفس المقاييس ، مع إختلافات طفيفة ، مستبعداً " القرية أو المجموعة السكنية الأولية " ومضيفاً " الإقليم الإقتصادي"

(Sert ,`` The Human Scale in City Planning, ``in Zucker,398).

-٢٠ نقلاً عن Tyrwhitt,sert,and Rogers, CIAM 8,3. مع أنه لا يكاد يذكر في وقتنا الحاضر ، فقد كان الفيلسوف الأسباني خوزية أورتيقا واي جاسيت ذو شعبية كبيرة بين علية المثقفين في فترة ما بعد الحرب المنتقدين للثقافة المعممة (ثقافة العولمة) واللذين ينادون بـ " أنسنة" الفن الحديث. وجهات نظر أورتيقا بشكل موسع في
James Salon Allen, The Romance of Commerce and Culture: Capitalism, Modernism, and the Chicago Crusade for Cultural Reform (Boulder,CO: University Press of Colorado,2002),180-192. Aspen

-٢١ J.L.Sert,``The Human Factor in Architecture and city Planning,`` December 18,1952(Folder D69,JLS)

-٢٢ Sigfried Giedion,`` Spatial Imagination,`` in S.Giedion, architecture, you and me (Cam-bridge, MA: Harvard University Press,1958),178. Sigfried Giedion, Adecaade of New Architecture (Zurich: Girsberger,1951).

-٢٣ تصميم إيروسارينين الفائز في مسابقة نصب جيفرسون في سانت لويس يأتي ضمن الفصل المعنون " فن النحت."

-٢٤ أعمال بي لصالح زيكندورف لم تدرس بعد بالتفصيل . ويمكن الإطلاع على نبذه مختصرة لهذا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الجزء من حياته العملية في

Carter Wiseman ,I.M. Pei: A Profile in American Archi- tecture (NewYork: Harry Abrams, 1990), 46-71

٢٥- شكراً لـ كول روسكام ، طالب دكتوراه شارك في الحلقه الدراسيه التي قدمتها في جامعه هارفارد عام ٢٠٠٤ ، على عملة الذي قام من خلاله بتفحص مراسلات سيرت وبي.
J.I.Sert and J.Tywhitt, `` The Shape of the American City ,`` in Contemporary Shokokusha Publishing, 1961), 101- Architec-ture of the World-25 1961(Tokyo: 106;``The Future of the American Out- of- Town Shopping Center,``Ekistics 16:93 (Augest 1963),96-105.

٢٦- يبدو أن آليسون وبيتر سميثون قد أشار إلى الطريقة التي يدار بها سيام في رسالة موجهة لـ ": كانديليس، باكيما وشركائهم " في ٢٨ مارس ، ١٩٥٦ (التي حددت بشكل غير صحيح على أنها " ٢٨ مارس ١٩٥٥" في هامش الملاحظات في

Alison Smithson , The Emergence of Team 10 out of CIAM [London: Architectural Association, 1982],n.p.).

٢٧- Team 10, `` Doom Manifesto,``1954, in Joan Ockman and Edward Eigen, eds., Architec- ture Culture: 1943-1968(New York: Columbia Books on Architecture / Rizzoli, 1993),183.

٢٨- إقترح آل سميث مصفوفة سيام المتفق عليها لإجتماع سيام العاشر ، الذي يوضح هذه الفكرة، ويمكن الإطلاع عليها في

Rassegna, December 1992, 43-45.

٢٩- Design 1-3a, History of Urban design. Official Register of Harvard University; The Graduate School of Design LI(May 19,1954), No. 11,30

وصفت المادة في الدليل على أنها " إمتداد وتطبيق التجارب السابقة على المتطلبات الحالية في التصميم العمراني." على العكس من بعض الحلقات المتأخرة التي درسها جيديون في هارفارد ، لا يظهر أن هناك أي سجلات أرشيفية لهذه المادة .

٣٠- Siegfried [sic] Giedion ,`` Space and the Elements of the Renaissance City,`` - Magazine of Art, J anuary 1952,3-10.

٣١- S. Giedion, ``The Humanization of Urban Life,`` Architectural Record 111(April 1952), 121-129, reprinted in Giedion, architecture, you and me, 125-137

٣٢- كان هدنت مسؤلاً عن التكوين الفكري للمدرسة العليا للتصميم ، ولكن جروبيص وفر الإتصال الأول

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مع مجموعة سيام . حول إسهام هدنت للتصميم العمراني أنظر:
Jill Peariman, ``Breaking Common Ground: Joseph Hudnut and the Pre- history of Urban,`` forthcoming in Eric Numford & Hashim Sarkis, eds., Jose Luis Sert: The Architect of UrabanDesign

٣٣- عمل جابو مع هيربرت ريد خلال الحرب ثم إنتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٩٤٦. وبالرغم من دعم سيرت ل ورغبة سيرت في نشر حاضراته في هارفارد ، إلا أن جابو وجد عدم قبول من الطلاب وأبدى عدم رغبته في الاستمرار في التدريس بعد أن أكمل سنته الأولى .
(Martin Hammer and Christina Lodder, Constructing Modernity: The art and career of Naum Gabo [New Haven: Yale University Press, 2000] , 351).

٣٤- Typed course listing,`` Harvard University `` (September 1953).
ولد زاليوسكي في بولندا ودرس في مدرسة العلوم التطبيقية بوارسو . وقد هرب هو وزوجته من حي اليهود في وارسو ، حيث عمل لـ: بول نيلسن و لو كوربوزييه في فرنسا وفي عام ١٩٥١ أتى إلى الولايات المتحدة ، حيث عمل لـ : سيرت وونير وعين عام ١٩٥٣ عضو هيئة تدريس في المدرسة العليا للتصميم (هارفارد) ودرس هناك حتى عام ١٩٧٥ . كان هو أحد المؤسسين لمكتب سيرت ، جاكسون وجور لي في عام ١٩٥٨ وعمل في كثير من مشاريعهم الرئيسية ، بالإضافة لعمله مع سيرت في تصميم مشروع السفارة (الأمريكيه) ببغداد ، ومشروع مؤسسة ميغت ، ومؤسسة الميرو في برشلونه.

(``Joseph Zalewsk undated obituary, folder SA113, JLS).
شكراً لـ : مارى دانييلز لتزويدي بهذه الوثائق

٣٥- Official Register of Harvard University: The Graduate School of Design LI (May 19,1954), 32.
أقام سيرت مع روجرز في ميلانو خلال إجتماع سيام السابع ، الذي عقده في الفترة ٢٣-٣٠ يوليو ، ١٩٤٩ . أما هارولد جويت ، الذي أوصى بـه من قبل سيرت ليكون أول مدير لمكتب هارفارد للتخطيط في عام ١٩٥٨، فقد درس مع روجرز وسيرت في عامي ١٩٥٣-١٩٥٤.

٣٦- Ernesto Rogers, `` Resume of open Session, Wednesday July 11,``in npublished CIAM 8 Proceedings (CIAM JT-6-16-75).
روجز هو قائد مجموعة سيام الإيطالية ، التي كان مخططا لمدينة ميلانو عام ١٩٤٦ مخططا إقليميا ، وإقترح إبقاء " مركز المدينة التاريخي والحضاري "كمنطقة مشاة ، ونقل المركز التجاري إلى منطقة تقاطع الطرق السريعة بعيداً (عن المركز). وقد عرضت على روجرز عمادة المدرسة العليا للتصميم من قبل جروبيص في نوفمبر ١٩٥١ ولكنة فضل البقاء في ميلانو (Rovira, Sert , 315) .

٣٧- Ernesto Rogers, `` Continuita/ Continuity,`` 1992 (1952)2.

٣٨- Design 1-3b .Urban Design. Offical Register of Harvard University: The Graduate School of Design LI (May 19, 1954),No. 11,30-31.

٣٩- إسهام ساساكي الهام للمدرسة العليا للتصميم خلال عمادة سيرت لما أسماه " تخطيط الأرض " موثقة في Cammie McAtee, `` From Landscape Architecture to Urban Design : The Critical

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

Thinking of Hideo Sasaki, 1950-1961,`` forthcoming in Jose Luis Sert :The Architect of Urban Design .

-٤٠ Sert, Sasaki, Carlhian, Seminar on Urban Design (Folder D119-JLS).

-٤١ Rovira, Sert, 177-181; Tim Hyde,`` Planos, Planesy Planificacion: Jose Luis Sert and the Idea of Planning,`` forthcoming in Jose Luis Sert ; The Architect of Urban Design.

حاول سيرت ووينر العمل لحكومة كاسترو بعد الثورة الكوبيه ولكنهم لم يفلحوا ، وحلت شرا كتهم في نهاية مارس١٩٥٩.

-٤٢ umihiko Maki,`` J.L.Sert: His Beginning Years at Harvard,`` Process: Architecture (1982), 13-14.

درس ماكي علي سيرت في المدرسة العليا للتصميم عامي ١٩٥٣-١٩٥٤ وعمل في مكتبه مع زاليوسكي في خريف ١٩٥٤ ، وذلك قبل تعيينه عضو هيئة تدريس في جامعة واشنطن في سانت لويس عام ١٩٥٦ وتصميمه لقاعة شتاينبرج هناك عام ١٩٥٨ . وقد عاد للمدرسة العليا للتصميم ليدرس في برنامج التصميم العمراني من على ١٩٦٢ حتى ١٩٦٥ .

-٤٣ CIAM ,`` To all CIAM Groups, Delegates, and Members,`` May30,1956 (Box12,SP CO845)

في هذا الوقت كانت هناك مجموعات سيام بأمريكا الشمالية في كل من بوسطن ، تورنتو ، وفيلادلفيا، وضمت المجموعة الأخيرة روبرت جيديس ، جورج كويلز وبلاتش ليمكو ، وجميعهم أساتذة لإستوديوهات العمارة في جامعة بنسلفانيا .

-٤٤ CIAM ,`` To members of Group USA Omnibus,`` June 11, 1956(Box12,SP CO 845).

حضر هذا الإجتماع كل من سيرت ، وينر ، تيرويت ، جروبيص، وعضو يئة التدريس الجديد في المدرسة العليا للتصميم مدرسى أساسيات التصميم فينسنت سوليميتا ، والمعماري إتش مورس باين من بوسطن وهو أحد مشاركى جروبيص في تاك .

-٤٥ Jola Gola, ed.; Jerzy Soltan : A Monograph (Cambridge, MA: Harvard University Graduate School of Design, 1995).

-٤٦ J.L. Sert,`` Opening talk, August 6th, 1956,`` in unpublished documents titled `` CIAM 10 Dubrovnik 1956`` (CIAM 42-X-14-19).
J.L.Sert, `` General Assembly to receive report on the future of CIAM," address by J.L. Sert, President,August11,1956,
``CIAM 10 Dubrovnik 1956`` (CIAM42-X-38-40)." ضمن وثائق غير منشورة بعنوان

من بين الأساتذة المعروفين المنتمين لمجموعة سيام اللذين ذكرهم سيرت كل من إيرنستو روجرز ، جيديون، كورنيليس فان إسترن ، جيرزي سلطان ، بيتر سميثسون ، ليزلي مارتن وميز فان ديروه .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٤٨- رسالة سيام المعممة من سيرت بتاريخ ٢٦ فبراير ١٩٥٧ (CIAM 42-JT-22-3) . حضر هذا الاجتماع كل من سيرت وجروبيص ، وجيديون ، وتيرويت ز كان سيام / الأمريكتين سيضم كلاً من جورج كويلز، إتش مورس باين ، أولريخ فرانزن ، وفريد باستي من الولايات المتحدة ، وبلانش ليمكو من كندا ، وجيرمان سامبر من كولومبيا ، وأنتوني بوينت من الأرجنتين ، وماريو روماناش من كوبا ، وآخرين .

٤٩- Bosman, ``CIAM. After the War,``14

٥٠- وثق مؤتمر هارفارد الأول والثاني للتصميم العمراني بالتفصيل في
Richard Marshal,`` Shaping the City of Tomorrow : Jose Luis Sert`s Urban Design Legacy,`` Jose Luis Sert : The Architect of Urban Design, 1953-1969. forthcoming in

٥١- ``Meeting at 2 Buckingham Street, Cambridge, Massachusetts, April 15, 1957`` (CIAM 42-JT-22-11). These minutes have numerous misspelled names, and `` Max Bells`` in the original almost certainly refers to Max Bill .
هذه المحاضر فيها الكثير من الأخطاء الإملائية في كتابة الأسماء ، و ``Max Bells`` كما ظهرت في الأصل تشير بالتأكيد لـ Max Bill .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حيرة التصميم العمراني
الإشكالية الأزلية في تعريفه وتحديد دوره

ريتشارد مارشال

في هذه المقالة للسيد سيرت ، وهي عبارة عن تساؤل في طبيعة مـــدننا المعاصـــرة وبحث عن حلول للعلل والشرورالمخيفة التي حلت بها ، أجـــد بالإضـــافه للجانـــب المعرفي والرغبة في تخفيف معاناة المدن ، أن هذا الفكر الجديد لا يقل عـــن العلـــم في شيء وأنه سيسهم في تشكيل وإضاءة مدن الغد وجعلها متألقة !

جوزيف هودنت ، كيمبردج ، ماساشوستس ٢٧ فبراير ١٩٤٢

(من المقدمة لكتاب خوزيه لوي سيرت: أيمكن لمدننا أن تبقى على قيد الحياة ؟)

في مقدمته لكتاب خوزيه لوي سيرت أيمكن لمدننا أن تبقى على قيد الحياة ؟ **رحَّب جوزيف هودنت ــ عميد مدرسه الدراسات العليا للتصميم في جامعه هارفارد من ١٩٣٦ حتى ١٩٥٣ ، بالفكرَ الجديد .[١] كلمات هودنت هذه تستحق أن نقف عندها لأنها تصف جانباً من الكتاب ، ومن التأسيس الفعلي للتصميم العمراني الجدير بالإهتمام . فكلماته بالتأكيد تستحق التأمل حينما يقرأ المرء وقائع المؤتمر الأول للتصميم العمراني في هارفارد في عام ١٩٥٦. فهودنت يعلن للملأ أنه أكتشف في كتاب سيرت "فكراً جديداً ،لا يقل عن العلم في شيء،سيضيء ويشكل مدن الغد"، وفي ذلك جزم بأهمية الكتاب ، فهو بمثابة تبشير جديد ؛ كما أنه لم يقف عند**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

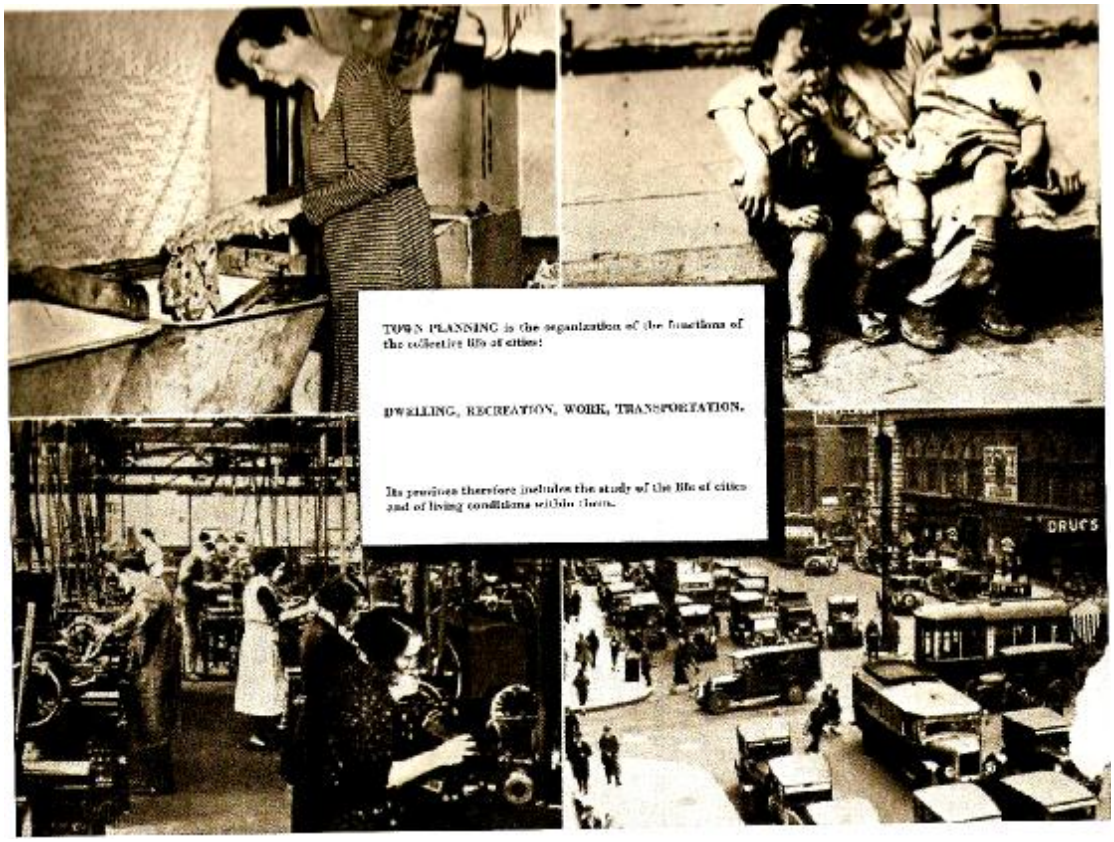

من كتاب : أيمكن لمدننا أن تبقى على قيد الحياة ؟ لـــ: خوزي لوي سيرت (من الأصل بالانجليزيه ، ص ٢١)

حدِّ تقديم مبادئ سيام للمتلقي الأمريكي وإنما قدَّم أيضاً خوزيه لوي سيرت كمعلمها الأول .

كتاب : أيمكن لمدننا أن تبقى على قيد الحياة ؟ الذي يبحث في مبادئ إشكاليات التحضر، وتحليلها ، وحلولها نُشر في عام ١٩٤٢، ويمثل جسراً بين حياه سيرت القديمة في أوروبا وحياته الجديدة في الولايات المتحدة التي بدأها في عام ١٩٣٩. ونجد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في النص ومضات لأفكار نامية ستزهر فيما بعد وتكون هي الأساس لسيرت في تدريسه وممارسته للتصميم العمراني . يطرح سيرت في المائتين وخمسين صفحة التي يتكون منها الكتاب مفهوم سيام لإشكالية العمران والتحضر – مقسِّماً المدينة إلى سلسلة من التصنيفات ذات الإشكاليات المتباينة – السكن ، الترفيه ، العمل ، المواصلات ، والمشاريع التخطيطية الكبيرة ، ويختتم بنداء لحركة إصلاحية تبنى على نظرة شاملة للمدينة . ومن هنا يظهر لنا جانب شيِّق من التصميم العمراني كما ظهر في الخمسينيات من القرن العشرين- اتفاق عام على وجود إشكاليات عمرانية مع وصف يد لها ولكن دون طرح حلول واضحة لها . ويبدو أن لا شئ قد تغير خلال الخمسين سنة الماضية .

حتى وان كان بعضنا يعتقد بوجود الحل لديه ، فلماذا إذا يرفض بقيه أفراد المجتمع الإصغاء لنا ؟ ألسنا نحن الخبراء في نهاية الأمر . أولئك البؤساء التعساء الذين يفضلون سياراتهم وبيوت الضواحي لا بد أن هناك سوء فهم منهم .. فجميعهم بحاجة بحاجة إلى تعليم وتثقيف !

إننا نجد هذا الانطباع سائداً ضمن أعضاء مهنة التصميم منذ خمسين سنة مضت. وما يراه هودنت في كتاب: أيمكن لمدننا أن تبقى على قيد الحياة ؟ إنما هو اعتقاد متأصل بأن المصممين يمكنهم أن يدّعوا بأن لهم حقا فكريا فنيا ومهنيا في التعامل مع نمو وتكوينات المدينة – بنفس القدر والصلاحية التي يمنحها أي علم آخر لأتباعه. والفكر الجديد كما يشير إليه هودنت ، ما هو سوى الثقة بقدرة التصميم على تحسين الأوضاع العمرانية الأساسية . وها نحن نشهد تطور ذلك الفكر والجهود المبذولة لتحديد طبيعة ارتباطه بالمجتمع والمدينة على حد سواء ويتضح

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تطور ذلك الفكر الجديد بشكل جلىّ في ظهور التصميم العمراني في الولايات المتحدة في خمسينيات القرن العشرين ، وفي طبيعة ما كان سيرت يقوم بتدريسه في هارفارد، وفي مؤتمرات التصميم العمرانـــي الثلاثة عشر ، وتطور برنامج التصميم العمرانـــي في هارفـــارد (مدعوماً بنجاح تلك المؤتمرات) ؛ ناهيك عن العديد من القضايا التي دأب التصميم العمراني على مواجهتها والتي تدور حول مسائل الاستخدام المدني للسلطة والتأثير في الآخرين .

لقد كان خوزيه لوي سيرت رجلاً ذا إيمان راسخ . فقد أصبح عميداً لمدرسة الدراسات العليا للتصميم في هارفارد في خريف ١٩٥٣. وبدأ مباشرة في البحث عن حلول لـــ "العلل والشرور المخيفة" في المدن المعاصره . ونتيجة لهذا البحث شرع سيرت في تطوير ظاهرة "الأرضية المشتركة" في المدرسة التي كانت بالنسبة لسيرت هي الوسيط التوفيقي بين علوم العمارة وتنسيق المواقع والتخطيط لمعالجة تلك العلل ، وهي المعمل الذي يمكن فيه تطوير العلاج .

كان سيرت ومعاصروه ، في مؤتمر عام ١٩٥٦ ، متحمسين للفكرة التي تنادى بأن يكون للمصممين دور فاعل في معالجة مشاكل التحضر سواء على المستوى الفكري أو المهني ، ولكنهم كانوا يعانون في سبيل تحديد أسس هذا الادعاء . ويبدو لي أن هذه المعاناة مستمرة ولم تتوقف منذ ذلك الحين . لقد أصبحت لصيقة بالتصميم العمراني ، وأكاد أجزم بأنها أحد تحدياته الأساسية الدائمة . فالمهن المعنية بالتصميم لم تتمكن مطلقاً من التوصل إلى أسس محددة للتعامل مع المجال الذي يطالبون به . فمجال التصميم العمراني بالذات لم يتمكن مطلقاً من إستيعاب تعقيدات المدينة أو تحديد دور المصمم العمراني فيها . هذه التعقيدات

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

غالباً ما تختزل في معادلات وقواعد مبسطه مشوبة بالتعجب من عدم إصغاء الناس أكثر ..؟ ونتيجة لذلك نجد في الغالب أنَّ ممتهني التصميم العمراني هم آخر من يُؤبَه لهم ، وأنهم بالتأكيد لا يعاملون كخبراء في تعاملهم مع العلل ومواطن الخلل في المدينة كما يتصورون هم أنفسهم .

ينبغي ألاّ يُختزل التصميم العمراني ــ بل ومن غير الممكن أن يختزل ــ في مجرد قواعد مبسطه ، ويجب ألاّ نحاول ذلك . ففي أفضل الأوضاع يقوم التصميم العمراني بالموائمة ما بين الهيكل العمراني والبرامج المتعلقة بأوضاع المدن في وحدة متوازنة وكاملة . وما مشكلة التعريف في حقيقة الأمر سوى انعكاس لمدى التعقيد والتشابك في المجال الذي يعمل فيه التصميم العمراني . فكلما أصبحت المدن أكثرَ تعقيداً صعُبت أكثر ممارسة التصميم العمراني ، وبخاصة مع تعاظم التحديات التي نواجهها اليوم في الحياة الحضرية مقارنة بتحديات عام ١٩٥٦.

في عام ١٩٥٠ كانت مدينة نيويورك هي أكبر مدينة في العالم بعدد سكان يزيد قليلاً عن اثني عشر مليون نسمة ، ولكن إذا ما نظرنا إلى أحجام المدن اليوم فان مدينه بهذا العدد لن تصنف ضمن الخمس عشرة مدينة الكبرى . لقد كانت مدينة لندن ذات الثمانية ملايين نسمة في عام ١٩٥٠ الثانية من حيث عدد السكان ، تليها طوكيو ذات السبعة ملايين نسمة بالمرتبة الثالثة ، ثم باريس ذات الستة ملايين نسمة بالمرتبة الرابعة . وتشير التوقعات لعام ٢٠١٥ بأن المدن الأكثر سكاناً في العالم ستكون على النحو التالي : طوكيو سبع وعشرون مليون نسمة، دكّا ثلاث وعشرون مليون نسمه، مومباي اثنان وعشرون مليون نسمه ، سان باولو إحدى وعشرون مليون نسمه ، ودلهي عشرون مليون نسمه .[٢] لقد نمت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

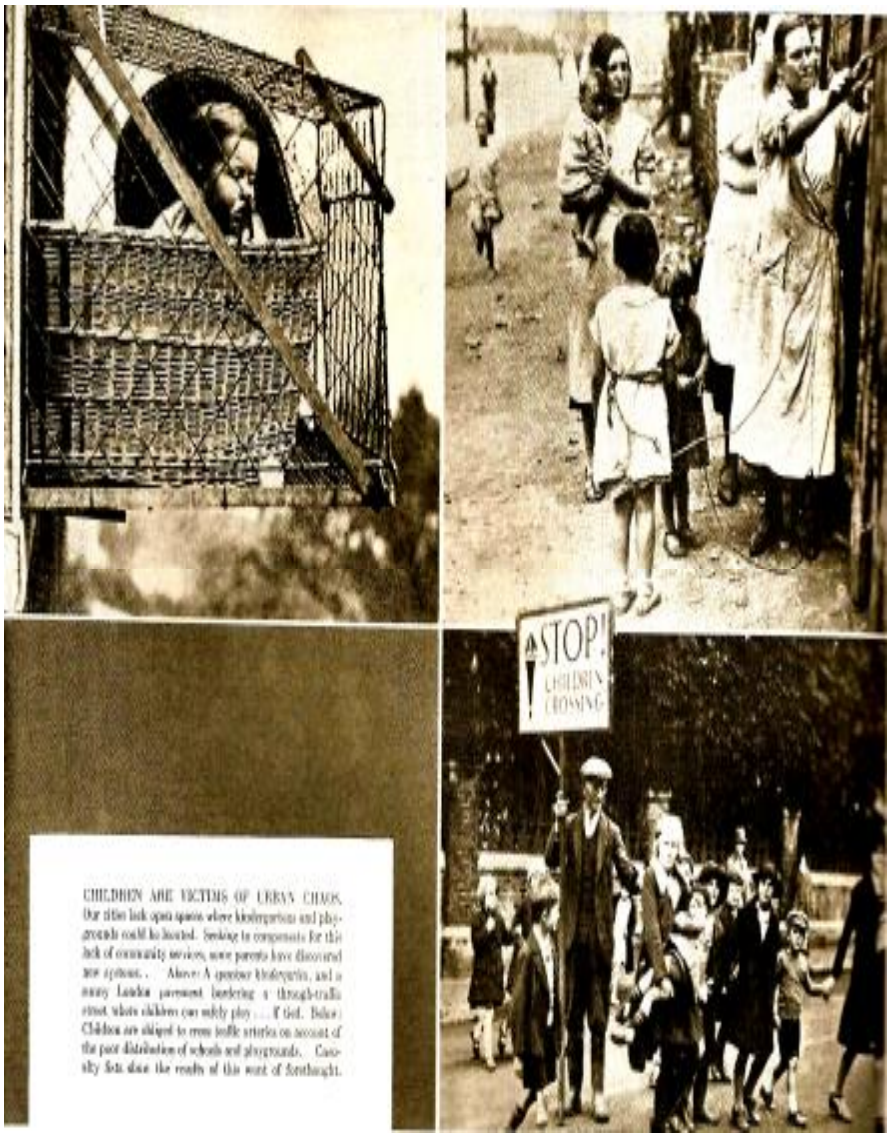

من كتاب : أيمكن لمدننا أن تبقى على قيد الحياة ؟ لـــ: خوزيه لوي سيرت
(من الأصل بالانجليزيه ، ص ٢٢)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المدن لدرجة لم يكن بالإمكان تخيلها في عام ١٩٥٦ . وهذه المدن بضخامتها غير المسبوقة تضعنا أمام قضايا وإشكالات جديده .

بالاضافه لذلك ، فقد تحول اتجاه النمو الديموجرافي الكبير خلال الخمسين سنه الماضية من أوروبا والولايات المتحدة إلى آسيا والدول النامية ، ما يحتِّم علينا أن نفكرَ بوضع التصميم العمراني اليوم وعلاقته بالواقع الجديد . فالغالبيه من سكان العالم تعيش في بيئات حضرية متساوية مع شنغهاي و مومباي و بانكوك أكثر منها مع لندن وباريس ونيويورك ، لذا فان تجربه التحضر وخبرة التصميم العمراني ستتغير من تصميم للمدن وفق المبادىء والقيم الأوروبية إلى تصميم يستند إلى رؤى عمرانية أخرى ، ما يمثل التحدي الأكبر للتصميم العمراني في العقود القادمة ويثير التساؤل حول كيفية تحديد التصميم العمراني لمجاله في خضمِّ أوضاع وتحولات عمرانية هائلة في حجمها ومتسارعة في نموها .إن تجمع بيئات اجتماعيه جديدة ومعقدة ، نتيجة لتحول السكان من الريف إلى المدينة وللقوى الاقتصادية الناجمة من العولمة يؤثر في أسلوب عمل المدن والتفكير بها و إدارتها ، وما دام النقاش حول دور المدينة في عصر العولمة متفرعاً وعلى أشدِّه فلن نتمكن من الخروج بنتائج حاسمة . فنحن نتعامل مع أوضاع حضريه غير مسبوقة في أماكن مثل الصين والهند وأمريكا الجنوبية. بعض التقديرات تشير إلى أنه ولأول مرة في تاريخ البشرية ستعيش غالبية سكان العالم في مناطق حضريه بحلول عام ٢٠٠٨ ، ما يجعل الرؤية للمدينة وتجربة العيش والحياة فيها مشتركة بين معظم سكان العالم ، الأمر الذي يدعو للشروع في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

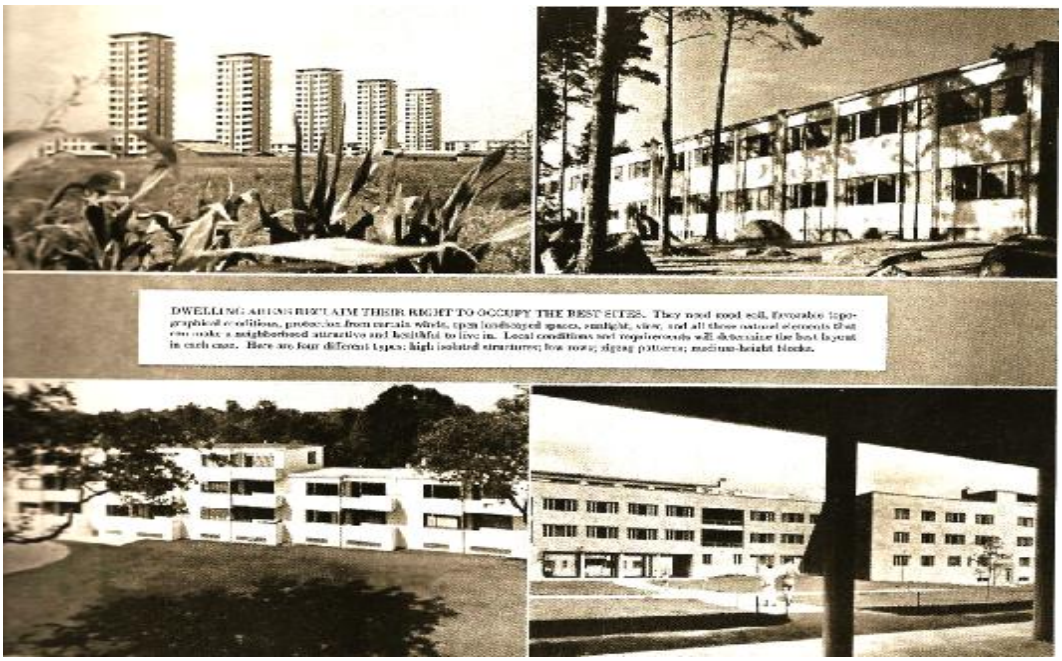

من كتاب : أيمكن لمدننا أن تبقى على قيد الحياة ؟ لـــ: خوزي لوي سيرت

(من الأصل بالانجليزيه ، ص ٢٣)

تفكير عميق وجاد في ماهيَّة ودور التصميم العمراني . والأسئلة المثارة لنا هي : "هل سيضع هذا مسؤولية أكبر على التصميم العمراني ؟ وهل سيؤدي ذلك إلى تأكيد مجال واختصاص التصميم العمراني أم إلى تقليصه وانحساره ؟

التحسينيون (التطلُّع نحو الأفضل)

كي نستوعب وقائع وأبحاث ومداولات مؤتمر ١٩٥٦، ينبغي فهم كيف تخيَّـل سيرت أعمال التصميم ودور المصمم العمراني . فالواضح من خلال كتاباته قبل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مؤتمر ١٩٥٦ أنه لم ينظر للمصمم العمراني كشخص خارق يمتلك صفات إلهية (برغم اعتقاده بوجوب أن يكون للمصمم العمراني قدر من السلطة) ، ذلك لأن سيرت كان مهتماً بالعناصر المألوفة في المدن وليس بالعناصر الاستعراضية التي يأتي بها الإبداع الشخصي . لقد أدرك سيرت أن المدن لا تُبنى من خلال الأعمال الفردية وأن البيئة العادية المألوفة هي التي جعلت المدينة على ما هي عليه . ففي كتابه : أيمكن لمدننا أن تبقى على قيد الحياة ؟ نجده يكتب "بدون إعادة تنظيم لحياتنا اليومية التي تعتمد على قيام المساكن ومراكز الترفيه ومراكز العمل والشوارع والطرق ــ التي تمثل الرابط بينها ــ بوظائفها على الوجه الصحيح فان الحياة في المدينة لا يمكن أن تؤتي ثمارها سواء للفرد أو للمجتمع بأكمله." هذا الاهتمام بالحياة اليومية هو ما يضع أفكار سيرت عن التصميم العمراني في مسار مختلف تماماً عن أفكار معاصريه من المصممين العمرانيين ذوي النزعة النابوليونيه (أمثـــال لوكربوزييه) ، وعن تقاليد "التصميم المديني" التي ظهرت في أمريكا مع بداية الثلاثينيات من القرن العشرين ، وهي تقاليد تخطيطية قويه وراسخة مستمدة من مبادئ "المدينة الجميلة" رأى فيها سيرت أنها تُعنى فقط بالمراكز المدينية الاستعراضية ، مغفلةً الأوضاع المعيشية لسكان الأحياء المحيطة بتلك المراكز[٤] ، على عكس ما يطرحه سيرت من نظرة شمولية للتحضر كانت ماثلة حتى في فترة صدور كتابه : أيمكن لمدننا أن تبقى على قيد الحياة ؟. ومع اتضاح اهتمام سيرت بإعادة تنظيم حياتنا اليومية ، إلا أننا نرى مرة أخرى هذه الأزدواجيه في نقد الوضع الراهن والفكرة المبالغ بها والتي تُعد مثارَ تساؤل من أن المصممين يجب أن "يعيدوا تنظيم" بيئتنا المعيشية .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

.. تُرى من المخوَّل تماما ــ برأي سيرت ــ باعادة التنظيم هذه ؟ الأمر المفاجيء أنَّه حتى عام ١٩٥٣ تقريباً لم يكن هناك استخدام للفظ "تصميم عمراني" ، فكتاب أيمكن لمدننا أن تبقى على قيد الحياة ؟ المنشور سنة ١٩٤٢ لم يستخدم ذلك اللفظ ؛ إذ أن المهني المسئول عن حل المشاكل ، بحسب الكتاب ، هو مخطط المدن الذي كانت مهمته كما يصفها سيرت التنسيق مع فريق من المختصين في الاجتماع والاقتصاد والصحة العامة والتعليم والزراعة وغيرهم في عملية إعداد المخططات الإقليمية ، و "رئاسة" فريق المختصين هذا في إعداد المخططات العامة باعتبارهم مسؤولين عن " تحديد مواقع عناصر الحياة الحضرية وبيان تفصيلاتها." (٥) إلا أنَّ مصطلح "مخطط مدن" وفقما يستخدمه سيرت يشير إلى حالة ذهنية أكثر منها تفريقا مهنياً ، ذلك أنَّ من يعتبرون أنفسهم "مخططي مدن" هم في الغالب معماريون ؛ وحقيقة الأمر أنَّ كثيراً من الخصائص التي يوردها الكتاب تماثل كثيراً تلك الخصائص الضرورية للمصمم العمراني كما طورت في خمسينيات القرن العشرين في جامعه هارفارد ضمن برنامج التصميم العمراني الناشئ آنذاك.

يشرح سيرت أنَّ "مخطط المدن" يحتاج إلى " معرفة تامة بطرق و وسائل العمل والأداء التي تعتمد على عالم من التقنيات المتطورة باستمرار ."(٦) وهذا يعني بالتأكيد أن ذخيرة مخطط المدن المعرفية ينبغي أن تكون أكثر شمولا واختلافا عمَّا لدى المعماري، ومن هنا لم يكن سيرت يتبنى دوراً مهنياً أكبر للمعماري ، أو يدعو لخلق ذلك المعماري العبقري القادر على إبراء المدينة من جميع المعضلات والمصاعب التي تعيقها عن بلوغ مطامحها ، ولكنه تبنى توجهاً جديداً يكون فيه مخطط المدن منسقاً ، يسهل على الآخرين أعمالهم ، وهو ما دأب عليه سيرت في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فهمه للتصميم العمراني ، فهو يرى في المصمم العمراني المهني المُيَسِّر لأمور المختصين الآخرين وليس المناط به استنباط حلول فردية ! مخطط المدن بالنسبة لسيرت يحتاج لمعارف وقدرات ومهارات جديده ، ولكن ينبغي ألا يعطي الصلاحية الكاملة والنهائية .. "ينبغي ألا يترك تقرير الاحتياجات الإنسانية والأوضاع التي تستجيب لهذه الاحتياجات لمخطـِّط المدن بمفرده؛ ذلك أن فسيفساء المجتمع الانساني وطموحاته في رفاه مادي وروحي تتطلب مساعدة [الآخرين] ... سواء لإعادة تأهيل مدن قائمة أو تشكيل أخرى جديده .. لذا لا بد لمخطط المدن أن يشترك مع أولئك المختصين في عمل تعاوني ."(٧)

وفي مقالة تالية عام ١٩٥٢ بعنوان "مراكز الحياة الاجتماعية" وكانت كُتبت كمقدمة لكتاب قلب المدينة : نحو أنسنة الحياة الحضرية **اشترك في تأليفه سيرت وجاكلين تيروت وايرنستو روجرز ، نرى سيرت وقد أسهَب في كثير من القضايا التي تناولها في كتابه الأول** أيمكن لمدننا أن تبقى على قيد الحياة ؟. (٨)

فيكتب أنَّه قد أصبح واضحاً ، خاصة بعد اجتماع سيام في فرانكفورت عام ١٩٢٩، أن دراسة الإشكاليات المعمارية الحديثة قادتنا إلى الإشكاليات في تخطيط المدن، وأنه لا يمكن عمل فصل واضح بين المجالين. ففي حالات ونواح كثيرة كان يحدث أن تتحول الاهتمامات الأساسية في كتاب أيمكن لمدننا أن تبقي على قيد الحياة؟ **من قضيه معمارية مُنفردة إلى التعامل مع المدينة بأكملها ، وبذلك إمتد وتشعَّب مجال البحث المعماري بحيث "أصبحت العمارة وتخطيط المدن أكثر ارتباطاً ببعضهما من ذي قبل ، حيث وجد العديد من المعماريين أنفسهم أمام إشكالات ومصاعب إعادة الأعمار وتطوير مناطق جديده تتطلب خلق مجتمعات جديده". (٩)**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في مقالة "مراكز الحياة الأجتماعية" جرى استخدام اللفظ المهجن معماري/مخطط للتعريف بـــ مهنيّ من نوع جديد ينشد نوعا أشمل ومختلفا من المعرفة ، وذلك بدلا من المصطلح السابق مخطط المدن ، بيد أنَّ المقالة لم تستخدم لفظ تصميم عمراني، إلا أن مفهوم سيرت للمعماري/المخطط يصبح أكثر تحديداً حيث يقول : " يمكن للمعماري/المخطط أن يساعد فقط في بناء الهيكل أو الحاضن لحياة اجتماعية متَّقدة.

هيئة تخطيط مدينة ستوكهولم ، مخطط عام ، مدينة ستوكهولم ، السويد ١٩٥٧.
من مجلة أركتكتشر ريكورد ، أبريل ١٩٥٧ . (من الأصل بالانجليزيه ، ص ٢٥)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فنحن نعي الاحتياج حياة كهذه ، ولصياغة مجتمع مديني حقيقي نعتقد أن تحقيقه مُعاق اليوم بشكل كبير بسبب الحالة المتردية للحياة في مدننا . وطبيعي هنا ألا تكون سمة وأحوال الحياة المدينية المتقدة معتمدة كلية على وجود هيكل ملائم ، نظرا لارتباط تحقيق هذا الطابع من الحياة بالتنظيم السياسي والاجتماعي والاقتصادي للمجتمعات . " [١٠] وفي هذه الفقرة تتضح لنا أيضاً المحددات على المعماري/المخطط وفق تصوُّر وفهم سيرت له والإطار الذي وضعه فيه .. وهذه القضية تكرر نفسها في الكثير من كتابات سيرت وتُذكـــِّر بالدور المتواضع الذي رآه سيرت مناسباً للمصمم العمراني .

وفي السنوات القليلة الأولى لسيرت في هارفارد ، جاء سيرت بـــ سيجفريد جيديون ليدرس في كلية الدراسات العليا للتصميم . وكانت سنة ١٩٥٤ هي السنة الأولى التيظهر فيه اللفظ "تصميم عمراني" ضمن البرنامج الدراسي في كلية التصميم . وقد قدمت لهارفارد من خلال مادة تاريخ التصميم العمراني التي درَّسها جيديون ، ومادة سميت فقط تصميم عمراني درَّسها سيرت و هيديو ساساكي و جين بول كارلهيان .

المؤتمر الأول – تثبيت أسس الإدعاء

بعد عدة سنوات على تطوير برنامج دراسي للتصميم العمراني في هارفارد لم تكن معالمه قد أصبحت بعد واضحة ، بادر سيرت بعمل استثنائي تمثل في انعقاد المؤتمر الأول للتصميم العمراني في كلية الدراسات العليا للتصميم في هارفارد في التاسع العاشر من أبريل ١٩٥٦ بهدف تحديد التصميم العمراني والتعريف به.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولاستيعاب وقائع وأبحاث ومداولات المؤتمر لا بد أن يعي القارئ أن سيرت نظر للمؤتمر كوسيلة للتعرف على ما إذا كانت هناك مجموعه واسعة من الأسس والمبادئ يمكن أن يُبنى عليها التصميم العمراني . أرشيف عمادة الكلية يُظهر لنا أن سيرت كان ينوي بالفعل بدء برنامج التصميم العمراني في هارفارد ، وأنه كان حريصا على معرفة ما إذا كان هناك تقبل للفكرة وترحيب بها بين أوساط المعماريين والمخططين ومنسقي المواقع الممارسين للمهنه آنذاك .

دعى الإعلان للمؤتمر المشاركين للنظر في " دور المخطط والمعماري ومنسق المواقع في تصميم وتطوير المدن ." [١١] وكان من بين الحضور أستاذ العمارة روبرت جيديس ، ومحافظ بتسبرج ديفيد لورانس ، والمخطط إدموند بيكن من فيلادلفيا ، والأستاذ في مدرسة الدراسات العليا للتصميم في هارفارد إدوارد سيكلر، والعميد خوزيه لوي سيرت ، والمعماري الحداثي وأستاذ العمارة في جامعه متشجان وليم موشنهايم ، ومنسق المواقع جاريت إكبو ، والمعماري ريتشارد نيوترا ، ومخطط المدن تشارلز إليوت ، ومنسِّق المواقع هديو ساساكي، والمخطط لادسلاس سيجو من سنسناتي ، والمثقف والكاتب تشارلز أبراهام ، والرسام والمصمم والمؤلف ومؤسس ومدير مركز الدراسات المتقدمة في معهد ماساشوتس للتقنيه جيورجي كيبز ، وأستاذ الدراسات الحضرية في معهد ماساتشوسيتس للتقنيه لويد ردوين ، وعالم الاجتماع في معهد ماساتشوسيتس للتقنيه فريدريك آدمز، وأستاذ كلية القانون في هارفارد تشارلزهار، والأستاذة في كلية الدراسات العليا للتصميم في هارفارد ومنسقة المواقع والمخططة البريطانية جاكلين تيرويت ، ومصمم الأسواق فكتور جرون ، والمؤرِّخ العمراني والناقد الاجتماعي لويس ممفورد ، وجين جيكوبز (كانت حينئذ محررة مشاركة مع مجلة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أركتيكتشر فورم) وأشخاص آخرون مرموقون . وتمثل المقتطفات من خطابات المؤتمر المنشورة في مجلة بروجرسيف آركتيكتشر الأساس لأعمال التحليل والرأي هنا .[١٢] وقد قامت جاكلين تيرويت باختيار وترتيب المقتطفات وتنسيقها بعناية من عروض مسجله وملاحظات مكتوبة .[١٣] وبالرغم من عقد ثلاثة عشر مؤتمراً للتصميم العمراني ، فلم تجد طريقها للنشر الجزئي سوى الوقائع والأبحاث والمداولات الخاصة بالمؤتمر الأول . و بالاطلاع على المادة الأصلية في أرشيف هارفارد ، يدرك المرء مدى تفوَّق وبراعة تيرويت في التوفيق بين كمٍّ من الرؤى والنقاشات غير المتطابقة . لقد أعطت المادة التي نقرؤها في المجلة الزخَم الذي كان سيرت يحتاجه ليمضي قدماً في تنفيذ مخططه لبرنامج التصميم العمراني .

وفي افتتاحيته للمؤتمر يحدد سيرت واحداً من اهتماماته الأساسية المتمثل في تطوير "أرضية مشتركة" للمهن المختلفة كي تتعاون و تنسِّق فيما بينها بعيدا عن الفردية المحضة :

يحاول كل من مجالات العمارة ، وتنسيق المواقع ، وهندسة الطرق ، وتخطيط المدن إنشاء مبادئ وأسس جديدة له ، ولغة جديدة للتكوينات العمرانية ؛ ومن المنطقي الآن أن نجهد في لمِّ شمل التقدم المُحرَز في تلك المهن المختلفة في التصميم العمراني كي نحصل على صورة مكتملة لبيئتنا العمرانية عبر تكامل الجهود .... أنا أعلم صعوبة الحديث عن العمل كفريق في وقتنا الحاضر بسبب كوننا نعيش عصر إعجاب بالفرد والتميز ؛ ولكن مع احترامي للمتميزين فنحن لا ندين لهم بتصميم أفضل المدن القائمة في وقتنا الحاضر ؛ وإنما للأمناء المجهولين . وإذا ما استخدمنا معايير التصميم العمراني سنجد أن أفضل المدن هي التي تمتلك تناغماً ووحدة وتوازناً كبيراً في أجزائها المختلفة ، فمعرفة الإيقاع الإنساني والاستماع له واستيعابه هي الأساس في توازن المدن والأكثر أهمية للمدينة من معالم و نصب معزولة لعبقرية باحثة عن أناها المحْض ! [١٤] [من مقالات جرينة لـ ريتشارد مارشال]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هذا يقدم لنا في الأساس معياراً جمالياً للنجاح العمراني . لقد كان لمُّ شمْل المجالات المهنية عنصراً هاماً في تطلعات سيرت للتصميم العمراني ؛ وكان جميلاً أن المناقشات حول التصميم العمراني إحتوت في بداياتها ممثلين عن العمارة ، والتخطيط ، وتنسيق المواقع ؛ وكان هناك على الأقل اجتماع لممثلي المهن مع بعضهم وان لم تكن هناك "أرضيه مشتركة" يمكن للمهن من خلالها التعامل مع التحدي الخاص بتحديد أدوار ممتهني التصميم في تشكيل المدينه . وتعكس وقائع المؤتمر إهتماماً متماثلاً بفكرة التصميم العمراني من المشاركين ممن لهم خلفيات علميه مختلفة حيث اتفقوا في العموم حول التشخيص القائل بحاجة المدينة لتغيير جذري وأن مهن التصميم تحتاج إلى إعادة تأهيل لتتعامل مع قضايا التغيير. وجاء العام ١٩٦٠ ولم يتحقق سوى نزر يسير من التغيير العمراني على "أرض الواقع" نتيجة لذلك .

كان هناك اهتمام آخر خلال المؤتمر ذو علاقة بالأوضاع الحاضرة آنذاك تمثَّل في مناقشه موضوع " القوى المشَكِّلة لمدن اليوم ." حيث أثارت تلك المناقشة الكثير من الجدل بين المشاركين ، وتعلقت في معظمها بالضعف النسبي لمهن التصميم وعدم قدرتها على التأثير في المخرجات المكونة للمدينه ، وهو ما نلحظ استمراره في واقعنا اليوم . ويصف لويد رودوين (مؤسس مركز الدراسات الحضرية المشترك بين هارفارد ومعهد ماساتشوسيتس للتقنيه مع مارتن ميرسون عام ١٩٥٩) المشكلة الأساسية بأن " المعماريين والمخططين ومنسقي المواقع هم أولئك الأقل أهميه ضمن القوى [المشَكِّلة للمدينه] ."[١٥]هذه الجملة آسرة لعدة أسباب . فهي تتحدث مرة أخرى عن القضية الجوهرية المتعلقة بتحديد دور

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المصمم في التصميم العمراني ، وفي الحقيقة فان رودوين يطرح التساؤل حول مدى إمكانية (وجود) التصميم العمراني ، ما يشير إلى أن التصميم العمراني كان يعاني من الالتباس منذ البداية . ويستطرد رودوين متسائلاً " تُرى .. من هم الذوَّاقة في مجال التصميم العمراني ؟ " أو من ينبغي أن يكونوا؟ و " ما الذي يُثبِت أن لدى مهن العمارة ، والتخطيط ، وتنسيق المواقع الكثير الذي يمكن أن تسهم به اليوم لمجال التصميم العمراني؟ وماذا تراهم فاعلين لتبرير الدور الذي يرغبون توليه مستقبلاً ؟ "[١٦] . المثير هنا أن ذات التساؤلات التي طرحها رودوين في عام ١٩٥٦ ينبغي إعادة طرحها علينا اليوم ــ فالأمور ، كما كانت وكما هي الآن ، تصب في مصلحة الوهم والإغترار بالسلطة الحقيقية .

وعن بقية المؤتمر ، فقد احتوت على سلسلة من المحاضرات المنظمة متبوعة بمناقشات ومن ثمَّ العشاء الرسمي للمؤتمر ، وبعد ذلك عرَض رئيس بلدية بتسبرج ديفيد لورانس مدينته كحاله دراسية ، وعرَض ادموند بيكن مدينه فلادلفيا، وعرَض فيكتور جرون بلدة فورت وورث . وقام فردريك آدمز رئيس قسم التخطيط الإقليمي وتخطيط المدن بمعهد ماساتشوسيتس للتقنيه بافتتاح المناقشة حول " إشكاليات التنفيذ في مجالات التصميم العمراني " ، واختُتم المؤتمر بمناقشة عامّة بعنوان "ما مدى امكانيه القيام بالتصميم العمراني اليوم ؟".[١٧]وبالتفكير في مواضيع المناقشتين الأخيرتين ، يدرك المرؤ بوضوح ما وصفه سيرت فيما بعد بـ "ضبابية [حيرة] التعريف بالتصميم العمراني ." (مواضيع عامة حبنا لها يعمينا ويصمنا بحيث نصبح غيرقادرين على وضع الإطار الموجه لها).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أما المؤتمر الثاني للتصميم العمراني(١٢-١٣ أبريل ١٩٥٧) فهدف لتحقيق مستوى أعلى من التعريف بالتصميم العمراني . ولكن الغريب في الأمر أن الطروحات والأفكار التي أتفق عليها في المؤتمر الأول لم تتم إثارتها ومناقشتها. وللدفع بالنقاش قدماً ، أعلن عن مجموعة جديدة من الطروحات كجدول أعمال للمؤتمر ، حيث تم تقليص نطاقه . ويبدو أن سيرت كان متوجِّساً من اتساع المناقشات التي تولدت في المؤتمر الأول ، لذا رغب في تركيز ووضوح أكثر في الثاني . ومع الاعتراف بتأثير علوم النفس والاجتماع والاقتصاد ومجالات أخرى في التكوينات المعاصرة للمدينه في ذلك الوقت ، بقي جانب التصميم العمراني محصورا عن قصد في دائرة التخصصات المهنية الثلاثه وهي التخطيط والعمارة وتنسيق المواقع فقط . وقد شكَّل الطرح التالي جزأً من الدعوة التي أرسلت قبل المؤتمر : " سيقتصر هذا المؤتمر على مناقشة الجانب التصميمي للعملية التخطيطية ؛ دون أن يعني ذلك أن هذا الجانب أكثر أهمية من الجوانب الأساسية الأخرى – كإنشاء قاعدة للمعلومات الضرورية أو تحديد أساليب ووسائل التنفيذ – التي ربما تندرج بشكل مباشر ضمن مجالات الاجتماع أو الاقتصاد أو أسلوب الإدارة والحكم "[١٨] .

ما يلفت النظر هنا هو تقليص نطاق التصميم العمراني . حيث نلاحظ ابتعاد المناقشات عن تلك القضايا التي يمكن للآخريين الإدعاء بأنها تدخل ضمن اختصاصاتهم وحصرها في المواضيع التي تندرج ضمن اختصاص مهنة التصميم فقط. من هذا التقليص نستطيع أن ندرك ونستوعب التناقض الذاتي في التصميم العمراني : فمن ناحية هناك الاعتراف بأن المدينة ذات علاقات متشابكة ومعقدة مما يوجب على التصميم العمراني أن يعيد صياغة توجهاته وأدواته ليتمكن من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التعامل مع هذا التشابك والتعقيد ، وفي الوقت نفسه هناك الاعتراف بمحدوديه الاختصاص المهني وتقليصه لتبسيط أسس التعامل في التصميم العمراني لما هو متعارف عليه في هذا المجال . وقد طالب المؤتمر الأول بحق ممتهني التصميم في التعامل مع المدينة وصرَّح بأن عليهم أن يعيدوا صياغة توجهاتهم كي يتمكنوا من استيعاب هذا المجال والتأثير فيه . لذا يتضح منذ البداية وجود تفهم وتقدير للمحددات على ممتهني التصميم . إلاَّ أنَّ قضية التعقيد هذه أُسقطت في المؤتمر الثاني لتحقيق البساطة . ومنذ ذلك الحين ، إستمر التصميم العمراني في جهاده لإيجاد أسس للتعامل مع الأوضاع العمرانية المعقدة ، وأصبحت قضايا السلطة والتوجيه والسيطرة قضايا أساسيه لإشكالية تعريفه وتحديد مجاله . وفي المؤتمر الثاني أثيرت قضية "الأرضية المشتركة" عدة مرات ، وكان واضحا أنها كانت موضوعة على جدول الأعمال للتأكيد على المجالات الخاصة بمهن التصميم مقارنه بالمجالات التي يسيطر عليها المخططون والمختصون الآخرون . ويتضح لنا هنا الإحساس بما يكابده المعماريون في محاولتهم لاسترداد المدينة من سلطة و سيطرة المخططين . وبمقارنه المؤتمَرِيْن يلاحظ مدى تقدير وتفهِّم المؤتمر الأول لأعمال البحث والتقصي لحدود وأبعاد واسعة لمجال التصميم العمراني ، في حين كانت الحدود والأبعاد المتصورة في المؤتمر الثاني أكثر وضوحا برغم ضآلتها ومحدوديتها ، مما يوحي بأن أسس وحدود التعامل مع قضايا التصميم العمراني كانت تُرسَم آنذاك .

وبانعقاد المؤتمر الثالث في أبريل ١٩٥٩م ، بدا أن نطاق التصميم العمراني قد تم تطويره بشكل كاف ، لذا فقد تم طرح ومناقشة أول مجموعة من المشاريع كحالات دراسية ؛ لكن ما يلفت الانتباه أنه لم يتم في أيّما وقت نشر ما تمخض عن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المؤتمر من نتائج ومبادئ ، ولا إيضاح قواعد ومعايير اختيار الحالات الدراسية في مواد أو وثائق المؤتمر . إن تركيز المناقشات على النواحي المعمارية يؤكد الانفصال والابتعاد أكثر عن قضايا التخطيط ، حيث يتضح من موضوع المناقشات ونوعية المشاركين انحسار تأثير تنسيق المواقع وغياب مشاريعه من الحالات الدراسية ، مما يدل على وجود تغير أساسي عن المؤتمَرِيْن السابقين ورسم مسبق لتوجهات كافه المؤتمرات التالية . أما "الأرضيه المشتركة" ــ الجامعة بين العمارة وتنسيق المواقع والتخطيط في التعامل مع إشكاليات التحضر ــ فسرعان ما فسحت الطريق لفهم معماري ضيق لدور التصميم العمراني في عالمنا . ومن الملفت أيضاً في هذا المؤتمر وجود محاولة أكيدة للتعامل مع قضايا تصميميه ملموسة ؛ وبعكس المؤتمرين الأول والثاني ، فقد جرى استبعاد الأفكار المجردة حول القوى التي تشكل المدينة من جدول الأعمال . وتحدث سيرت في افتتاحيته عن هذه النقطة بالتحديد ، إذ يقول " بعد (المؤتمر) الثاني اتضح للكثيرين منا بأن هذه المؤتمرات ، برغم ما انطوت عليه من إثارة وتحفيز ، إلا أن الاستمرار في مناقشة مواضيع عامة يبدو عقيما إذ ما أخذنا نكرر أنفسنا."[١٩] كما يتحدث سيرت أيضاً عن خيبة أمله في خطاب التصميم العمراني الذي أخذ يبرز إلى الوجود ، واصفاً نتائج المؤتمر الماضي بـــ" ضباب من العموميات الهادئة ."[٢٠] وفي ختام افتتاحيته للمؤتمر، يطرح سيرت جملة هامة تؤكد أحد العوامل المحددة والموجهة للتصميم العمراني خلال هذه الفترة ، كما أنها ستؤثر بالتأكيد في انطلاقة التصميم العمراني كبرنامج أكاديمي في المدرسة العليا للتصميم في جامعة هارفارد : "هذا مؤتمر حول التصميم العمراني يتناول تصوراً خاصاً من التصميم العمراني – وهو قطاع السكن . كما أني أوضحت بما يكفي بأنه ليس مؤتمراً شاملاً عن تخطيط

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المدن. "[٢١] من هنا يتضح أن هذه المشاريع كانت أمثلة تعكس تصور سيرت للتصميم العمراني على مستوى الممارسة ، وبالرغم من التصريحات الواضحة التي تجزم بأن التصميم العمراني يمثل "أرضيه مشتركة "، إلا أنه يتضح لنا أن التصميم العمراني بدأ ينحو في تحديد نطاقه إلى ما سيقود في النهاية إلى تحديد مجاله في المدرسة وبالتأكيد على مستوى العالم: لقد أصبح التصميم العمراني نشاطاً واضح المعالم يمارسها المعماريون.

قدمت ونوقشت في المؤتمر الثالث ستة مشاريع هي : ميدان واشنطن **في فيلادفيا من تصميم آي. إم . بي ؛** ميل كريك **في سانت لويس من تصميم آي . إم . بي ؛** إعادة تطوير جراتيوت (حديقة لافاييت) **في ديترويت من تصميم ميز فان دير روه ولودفيك هيلبر زايمر ؛** ليك ميدوز **في شيكاغو من تصميم سكيدمور ، أونجنز و ميريل ؛** دون ميلز **في تورنتو من تصميم ماكلين هانكوك ؛ وفالينجباي في استوكهولم من تصميم مكتب تخطيط مدينه استوكهولم . وقد جمعت واعدت المادة في وقت سابق بواسطة أحد خريجي المدرسة الذي عمل أيضاً مقرراً لكل مجموعه من مجموعات النقاش ، وساعده في ذلك طلاب المدرسة في حينه . ولم تقتصر المساعدة المقدمة من معماري المشروع والمطور ومدير تخطيط المدينة في معظم الحالات على جمع المعلومات وإنما كانت لهم مساهماتهم في نقاشات المؤتمر . وبعد يوم من المناقشات قدمت كل مجموعة من مجموعات المناقشة الست عرضها بحضور الخريجين والطلاب واستــُثمِرت فترة ما بعد الظهر في المناقشات برئاسة روبرت جيديس الذي كان في حينها رئيساً لجمعية خريجي المدرسة العليا للتصميم في جامعه هارفارد .**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وكما أوضح روبرت جيديس قسَّمت المشاريع الست المختارة نفسها بشكل دقيق إلى ثلاث مجموعات .. فالينجباى ودون ميلز كانت عبارة عن مدن جديده ، بينما تماثلت ليك ميدوز وجراتيوت في برنامجهما وموقعهما ؛ أما ميدان واشنطن وميل كريك فكانت لهما نفس العلاقات مع محيطهما ، مع تشابه في الإشكالية والبرنامج . لقد اعتبر التنظيم الذي اتبع في المؤتمر الثالث ناجحاً وأرسى بذلك أسلوب التنظيم لعدد من المؤتمرات اللاحقة ، بما في ذلك المؤتمر الخامس. أما المؤتمر السادس فقد غير المقياس وتعامل مع قضايا تتعلق بنمو وسط المدينة ، كما أعاد المؤتمر الثامن تركيز الاهتمام على قلب المدينة . ولكن مع حلول عام ١٩٦٤ وكانعكاس لما كان يحدث في الولايات المتحدة في ذلك الوقت ، فاق الاهتمام بالنواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصاديه أي تركيز على التكوينات العمرانية أو النواحي الجمالية .

عموماً ، أصبح منحى المؤتمرات التالية أكثر تجريداً وشمولاً ، ربما كتعبير عن أحد الخصائص المتأصلة في التصميم العمراني ــ من حيث عدم وضوح تعريفه ، إذ ركز كل من المؤتمر التاسع (١٩٦٥) والعاشر (١٩٦٦) على تعليم التصميم العمراني . كما أثار المؤتمر العاشر مرة أخرى قضية تعريف وتحديد مجال التصميم العمراني ، حيث أثير جدل مهم حول ماهيِّة التصميم العمراني في حلقة نقاشية بعنوان " تغيير المتطلبات التعليمية في العمارة والتصميم العمراني" وصَف فيها بنجامين طومسون ، رئيس قسم العمارة في المدرسة آنذاك ، التصميم العمراني بأنه " مشاريع معمارية كبيرة الحجم". كما وصفه روجر مونتغمري ، أستاذ العمارة في جامعه واشنطن ، بأنه " مشروع تصميم قياسي" بينما قال كل من الأستاذين سيرج شيرمايف وجيرزي سلطان ، وكلاهما من المدرسة العليا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

للتصميم في هارفارد ، في بيان مشترك أن "العمارة والتصميم العمراني ما هما إلا مهنة واحدة ، وأن التصميم يأتي في قلب هذه الجهود "، مما يؤكد عزم شيرمايف وسلطان على منهجة مسيرة التصميم العمراني في المرحلة الجامعية وفي الممارسة العملية أيضا – كامتداد للعمارة وليس شيئاً مختلفاً بطبيعته عنها. ومن الملفت أن فلهيلم فون مولتكه ، رئيس قسم التصميم العمراني في المدرسة ، قال ــ بمنأى عن التعريفات المعمارية الأخرى ــ أن " التصميم العمراني ليس عمارة. فوظيفة التصميم العمراني وغرضه وهدفه العمل على تشكيل وتنظيم المستقبل . فبالنسبة للمخطط العام ، يوفر التصميم العمراني البرنامج والهيكل العام للنمو العمراني .. إنه في الأساس جهد تعاوني يشمل المهن الأخرى ."[٢٢] ويبدو لي في هذين التصريحين أننا نرى بشكل واضح أن التصميم العمراني لا زال بحاجة لتحديد اتجاهه ، بدليل مطالبة وتمسُّــك شيرمايف وسلطان بأن يكون التصميم العمراني امتدادا للعمارة وفشلهما في إيضاح كيفية ذلك ! وكذلك رفض فون مولتكه لذاك التمسُّك وإتيانه هو الآخر بتعريف للتصميم العمراني غير كاف ولا موف بالغرض. آخر مؤتمر للتصميم العمراني تم عقده في عام ١٩٧٠ برعاية المدرسة العليا للتصميم في هارفارد والتحالف الحضري الوطني وذلك للبحث في التأثيرات والانعكاسات الكبيرة لانتاج المساكن المصنعة على نطاق واسع . وقد تأثر هذا المؤتمربشكل كبير بالتغيرات الجذرية في حياة المدرسة العليا للتصميم وبالتحولات في المجتمع الأمريكي بشكل عام .. فقد حلَّ موريس كيلبردج عميداً للمدرسه بدلاً من سيرت في عام ١٩٦٩، وكانت تعصف بالمدرسة حالة من الاضطراب الاجتماعي نتيجة للحركات السياسية النشطة للطلاب ، وساد المؤتمر مناخ من الشحن السياسي ، لذا جاءت المناقشات حول طبيعة التصميم العمراني

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ضعيفة فاسحة المجال بذلك لمنتقدي برامج الإسكان الحكومية المحلية والفيدرالية، ولم تخرج المناقشات حول التصميم العمراني كمجال قائم بذاته عن وصف سيرت المعهود لها بـــ "نقاش سديمي في عموميات ومقاربات تحظى بالموافقه والتهليل."

تواتر الاشكاليات في تعريف التصميم العمراني وتحديد دوره

ظهر العدد الأول من مجلة سينثيسيس Synthesis في أبريل ١٩٥٧ ، وهي مجلة ينشرها طلاب المدرسة العليا للتصميم كمنبر لنشر آرائهم وأعمالهم ، وقد خُصص هذا العدد للتصميم العمراني وصدر بعشر مقالات كتبها الطلاب والأساتذة بما فيهم إيكبو ، هايدو ساسكي ، تيرويت ، والمخطط وليام جودمان . وتروي مقالة جاكلين تيرويت "تعريفات ومحددات التصميم العمراني" أن محرري مجلة سنثيسيس Synthesis كتبوا بعد عيد الميلاد عام ١٩٥٦ بوقت قصير لاثنين وثلاثين من المميزين من معماريين ومنسقي مواقع ومخططين وعلماء اجتماع واقتصاد ومحامين ومواطنين بارزين طالبين منهم تعريف التصميم العمراني . الردود لخصتها تيرويت في مقالتها كالآتي : عشرة من الذين أجابوا رفضوا إلزام أنفسهم بتعريف محدد ، أربعة أفادوا بعدم القدرة على الأجابه لانشغالهم – من بينهم بول رودولف ، وثلاثة آخرون أحجموا عن الرد لاعتقادهم باستحالة تعريف التصميم العمراني ، أما روبرت موسس فجاء رده مقتضباً " لا يمكنني إجابة طلبكم" ، وكان جواب فرانك لويد رايت " لا يهمني الأمر" ، ولكن كربوزييه أكد ، بعمومية بائنة ، علىالصيغة التي ينبغي أن يتخذها التصميم العمراني : حيث " تخطيط المدن هو التعبير الأكثر حيوية للمجتمعات"، ذلك أن مهمة تخطيط المدن (العمران والتحضر) هي تنظيم استعمال الأرض بما يتناسب وأعمال الإنسان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التي تصنف في ثلاث فئات : وحدة الإنتاج الزراعي ؛ المدينة الصناعية الممتدة ؛ ومدينة التبادل الدائرية متحدة المركز(المعارف ، الإدارة ، التجارة) . فالعمران والتحضر علم ثلاثي الأبعاد ، البعد الرأسي هام له بنفس أهمية الإمتداد الأفقي."[٢٣]

وكتب ريتشارد نيوترا " إعطاء المجتمع شكله العمراني وتحديد نشاطاته والتأثير فيها هو التصميم العمراني ، فهو يتعامل مع القوى المتحركة في المكان وفي الزمان أيضا."[٢٤] وكتب وولتر جروبيوص" التصميم العمراني الجيد يمثل ذلك الجهد المنسجم المنصرف إلى إبداع فضاءات معيشية ضمن محيطنا الحضري .. ولكي نتجاوز ونوقف جماح التصرفات الآلية المدمرة للروح الإنسانية ، يتوجب في مهمة المصمم العمراني الحاسمة العصرية أن تحقق الرفاه النفسي والمادي والاجتماعي والبيئي للمجتمع عبر التنسيق بين القوى الطبيعية والتقنية والاقتصادية للخروج ببيئة عمرانية جميلة ." [٢٥] أما سيجفريد جيديون فصاغ موقفه بومضة شاعرية : " لا بد أن يعطي التصميم العمراني تشكيلاً بصرياً للعلاقة بيننا نحن البشر ."[٢٦] .. ومرة أخرى تعاودنا كلمات سيرت "اجواء نقاش سديميّة في عموميات ومقاربات نوافق عليهما ونهلّل لها ."

نحو تعريف جازم : التصميم العمراني كنهج فكري

أدِّت المشاكل والسلبيات الناجمة عن ضغوط التحضر الهائلة في عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية – من حيث الانتشار السريع للضواحي الأمريكية وعدم توافر المساكن للكثير من الأوربيين النازحين- إلى ضرورة قيام المدرسة العليا للتصميم بتدريب الطلاب للتعامل مع مشاكل التصميم الكبرى التي تتطلب تضافر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المهارات والخبرات في مجالي التخطيط والتصميم .. فنقراء في وقائع المؤتمر الأول وفي التطورات التي صاحبت الأثني عشر مؤتمراً الأخرى مدى الإنشغال في تحديد مجال عمل التصميم العمراني ــ واستمرارنا نحن في ذاك الانشغال إلى اليوم : فوظيفة التصميم العمراني ما تزال غير واضحة ومجاله غير محدد وشرعيته غير مؤكده ! ففي المائة سنه الماضية كونت مهنتا التصميم والتخطيط بشكل متنامي مجالاتها المحددة . وفي هذا السياق قد تأتي القيمة المميزة للتصميم العمراني من عدم ثباته أو احتضانه لجهود تصميميه أكثر تخصصاً . إن التصميم العمراني بطبيعته يرفض التصنيف المنهجي الدقيق ، إذ ينبغي ألا ينظر إليه كما ينظر لتخصصات العمارة أو تنسيق المواقع أو التخطيط. .. فالتصميم العمراني ليس تخصصاً فنيا قائماً بذاته ؛ وإنما نهج للتفكير، لا يتمحور حول الفصل والتبسيط بل يأخذ بمبدأ التركيب و التوليف بين العناصر المختلفة ، ويحاول أن يعمل بشمولية في عالم يعجّ بالتخصصات المتمايزة ، ويتعامل مع الواقع العمراني برمته من منظور واسع ، وليس مع شرائح ضيقة عبر العدسات التخصصية !

ما زال يُنظر إلى التصميم العمراني كنشاط متطور – ليس نحو وضوح التعريف أو القبول والاعتراف بالمهنة ، ولكن من حيث تعامله مهنيا مع تعقيدات وتشابكات الوضع العمراني المتغيرة . إن التصميم العمراني يوفر دوراً مهماً للشخص ذي المواهب المتعددة القادرعلى إثارة الأسئلة التي لا يستطيع الآخرون طرحها ، الباحث عن علاقات الإرتباط حيثما يسعى الآخرون للتفريق والتفرد . وهنا يكون فهم المصمم العمراني للقوى التي تدخل في تشكيل الحالة العمرانية وتباين هذه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شنجهاي ، الصين ٢٠٠٦م

المصدر:http:// static.flickr.com

القوى عبر التقسيمات المهنية المختلفة والقدرة على توحيدها وربطها من المهارات الضرورية التي يحتاجها .

إذا كان التصميم العمراني سيطالب اليوم بدوره في تشكيل المدينة ، فمن الحكمة أن نكون مستعدين وجاهزين لفهم وإدراك خصائص المجال الذي نطالب به. ففي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عام ١٩٥٠م كانت هناك ٨٦ مدينه يزيد سكان كل منها عن مليون نسمه ؛ واليوم هناك ٤٠٠ مدينة ، وفي عام ٢٠١٥ ستكون هناك ٥٥٠ مدينه على أقل تقدير. وسيحدث ٩٥% من هذا النمو في الدول النامية . إننا نشهد بزوغ مدن كبرى يزيد تعداد الواحدة منها عن ٨ ملايين نسمه ، وأخرى عملاقة بتعداد يزيد عن عشرين مليوناً . ووفقاً لمجلة فار إيسترن ايكونوميك ريفيو Far Eastern Economic Review في عام ٢٠٢٥ يمكن أن يكون في آسيا وحدها عشر أو إحدى عشرة مدينه يزيد تعداد كل منها عن عشرين مليون نسمه ، وتشمل جاكرتا (٢٤.٩ مليون) ، دكا (٢٥ مليون) ، كراتشي (٢٦.٥ مليون) ، وشنغهاي (٢٧ مليون) .[٢٧] والسؤال الذي يواجهنا جميعاً هو : هل أن نمو هذه التجمعات الحضرية هو الغاية النهائية للعمران ، أو بتعبير مايك ديفيس : أم أننا سنشهد أكبر كارثة إنسانية وبيئية عرفها التاريخ ؟ إن كان الأمر كذلك فما هي مسوؤلياتنا كمصممين عمرانيين ؟ وما هو الدور الذي سنؤديه ؟ وما هي المهمات التي ستوكل لنا ؟

بالتأكيد لا بدَّ أن يتبنَّى المصممون العمرانيون تنمية عمرانية مستدامه ومدناً قادرةً على أن تعيشَ وتنمو وتصبح جاذبةً اقتصادياً وبيئياً وحضارياً ، وعليهم أن يثيروا تساؤلات ويخوضوا في القضايا الصعبه ويقدموا حلولاً وفق مبادئ إيجاد أحياء سكنية ومراكز مدن يستطاب العيش ويحلو المقام فيها ، وأن تكون تلك الأحياء والمراكز مرتبطة بالمناطق المحيطة بها مع الحفاظ على مقوماتها ومواردها الطبيعية .. ففي عالم يبدو في الغالب مبهوراً بجلال التحف المعمارية ، فان الأمر يتطلب أن يركز المصممون العمرانيون على رفاه السكان المادي والنفسي والبيئي وتقوية أواصر المجتمع وتعميق وعي وانخراط السكان بإمور أحيائهم ومدنهم .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وها هي شانغهاي بفضاءها الشاسع أمامي .. أرنو إليه من نافذتي المرتفعة ، وبداخلي إحساس بالإمتعاض والألم من آثام وشرور مدينة ١٩٥٦ التي أشار إليها المشاركون في مؤتمرهم الأول .. فيخامرني في مستقبل التصميم العمراني شكّ وأنا أشاهد بأم عينيَّ هول وفزع الواقع المرعب ! تُرى .. ماذا بجعبة التصميم العمراني ليقدمه في تعامله مع واقع جديد .. بغيض ومثبط للآمال ؟

ملاحظات :

١- Can Our Ccities Survive? An ABC of urban problems, their analysis, their solutions; based on the proposals formulated by the C.I.A.M., International Congresses for Modern Architecture, Congress internationaux d` architecture moderne (Cambridge, MA: Harvard University Press,1942
من التهجئات (الطرق) المتعددة لكتابة اسم سيرت ، استخدمت تلك التي ظهرت في وثائق المؤتمر الأول للتصميم العمراني ونشرت في مجلة Progressive Architecture عام ١٩٥٦.

٢- World Bank,2006,< www.worldbank.org/

٣- Can Our Cities Survive?, 229.

٤- Jose Lluis Sert (1956a) Opening remarks to the Urban Design Conference, April9,1956 Loeb Library, Graduate School of Design, Rare NAC461Iarv 1956. Hereafter referred to as `` Sert, 1956a.``

٥- Can Our Cities Survive?,222.

٦- المرجع السابق ، ٢٢٤

٧- المرجع السابق، ٢٣٤

٨- The Heart of the City; Towards the Humanism of Urban Life(London: Humphries,1952).

٩- Sert,``Centers of Community Life`` in The Heart of The City: Towards the Hummanism of Urban Life (London: Humphries, 1952),3.

١٠- المرجع السابق ، ١١

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١١- Urban Design Conferences, Proceedings of Spring 1956 Conference. Transcripts, Notes, etc, Harvard University Archive, 1956a, UA V433. 7. 4. Subseries IIB,Box19,
تحتوي وثائق من تسجيلات على ملاحظات من تيرويت موجهة لسيرت ومسودات علق عليها سيرت . سيشار لها فيما بعد .

١٢- ``Urban Design,``Progressive Architecture, August 1956, 97-112.

١٣- Harvard University Archive, 1956a.

١٤- ``Urban Design,``97.

١٥- المرجع السابق ، ٩٩.

١٦- المرجع السابق ،٩٩.

١٧- Harvard University Archive, 1956a.

١٨- Harvard University Archive,1957a,2nd Urban Design Conference Announcement and Program, dated April 1957.. Loeb Library, Graduate School of Design, Rare NAC46, Harv 1957.

١٩- Harvard University Archives,1959.

٢٠- Harvard University Archive, 1959 . 3rd Urban Design Conference Program, April25, 1959. Loeb Library, Graduate School of Design, Rare HT107.U712x1959(loose leaf files in the archive).

٢١- المرجع السابق .

٢٢- Harvard University Archive, 1966. 10th Urban Design Conference Proceedings,

April 17 and 18, 1966. Loeb Library, Graduate School of Design, NAC46Har1966:14.

٢٣- Synthesis, Graduate School of Desgn, Apri 1957(loose leaf files in the archive).

٢٤- المرجع السابق.

٢٥- المرجع السابق.

٢٦- المرجع السابق.

٢٧- Far Eastern Economic Review, Asia1998 Yearbook,63.

٢٨- See Mike Davis , `` Planet of Slums: Urban Involution and the Informal Proletariat,`` New Left Review 26(March / April 2004):5-43.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التصميم العمراني في عامه الخمسين
ونظرة للمستقبل

رأى شخصي

دينس سكوت براون

في ذكرى ديفيد كرين ١٩٢٧-٢٠٠٥م

تُرى .. من ذا يقرأ التقرير حول مؤتمر هارفارد الأول للتصميم العمراني عام ١٩٥٦ بدون أن يحرك ساكنا، لعلمه واحاطته بالذي سينجم عن ذلك؟ ومع أن دراسة واهتمامات وخبرات المشاركين تشمل مجالات واسعة ، ومتباعدة أحيانا ؛ إلا أنهم يشتركون في تفاؤلهم حول مستقبل المدن والاعتقاد بأن الطريق ممهد لهم من خلال التمويل والتشريعات لتحقيق رؤيتهم للمدن الأمريكية .

يقول تشارلز أبراهامز "لقد أفرزت الثورة السياسية كافة السلطات والاختصاصات والمباديء الأساسية والقواعد التي نحتاجها لعمل وتسيير ما يرغب المصمم في تحقيقه ." [١] ويعتقد فريدريك آدمز أن تنظيمات الإحياء والتجديد العمراني الأخيرة "ستمكن من التحكم في الهيكلية الفعلية للمشاريع المكتملة والأحياء المحيطة بها ."[٢] ويرى مخطـِّط فيلادفيا إدموند بيكن أن البليون دولار التي خصصها مجلس الشيوخ لخلق بيئة عمرانية جديده " يحملنا مسئولية لا يمكننا التخلي عنها ."[٣] ويبدو أنه لم يكن بعد قد اكتشف مخطط سيكتوس الخامس لروما الذي أصبح فيما بعد الأساس لمقترحه الكاسح لإعادة تنظيم فيلادفيا ، فقد اقترح

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نموذجاً عمرانياً أقل طموحاً من نموذج عصب ممرات المشاة المتصلة في مشروع ميل كريك لـــ لوي كان ، حيث دأب بيكن على التدخل في بقيّة أعمال كان . وفي عام ١٩٥٦ كان تخطيط بيكن لحديقة الاستقلال التاريخية في مرحلة متقدمة ، وكذلك تخطيطه لمركز جيت وي بمدينة بتسبرج، وحديقة بوينت بارك التي أشاد بها رئيس بلدية المدينة ديفيد لورانس كنطاق أخضر في قلب منطقة الأعمال المركزية ." [٤]

هذان المشروعان يعتبران اليوم تبذيراً يبعث على الأسى ، إذ برغم الجهود التي بذلت لم يثمر التصور التخطيطي الشامل لهما عن تحقيق الحضرية المنشودة ولا ما يرغب به من محاسن ومباهج ومزايا . وقد تبلور العديد من الأفكار المتفائلة التي عرضت في المؤتمر سيؤول إلى تجديد وتطوير عمراني على شاكلة " ترحيل الإنسان من مسكنه" وبعث الأسى في المجتمع !

ومع أن فيكتور جرون يقدم أسساً حصينة وذكية لمقترحاته ، فقد فشل هو أيضا، حيث تم في ثمانينيات القرن الماضي إزالة العديد من ــ إن لم يكن معظم ــ أسواق المشاة التي كان قد صممها وأنشئت في الستينيات والسبعينيات .[٥] يتبنى فريدريك آدمز تفهماً لجماليات السيارة ، ويوصى أيضا بمراقبة وضبط الجودة التصميمية لمواجهة علل "الفردية الطاغية ، وتحويل التصميم إلى سلعة تخضع لقانون السوق ، وانعدام الذوق العام في مجتمعنا " [٦] لكنا قد نرى بعد خمسين سنة هاتين التوصيتين في موقف الضِّد !

أما جيورجي كيبز فيريد " معنى جديداً لصوغ نسقاً جديداً "[٧] بما يتناسب مع عالمنا الشاسع المتسارع ، وهذا يتأتى عبر إطلاق النوازع الذاتية وإنفعاليات وإحساس الفنانين التعبيريين التجريديين المعاصرين – يقصد بذلك وعيه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وإحساسه الخاص ووعي معاصريه من المعماريين الحداثيين في خمسينيات القرن الماضي. ذلك أن ذاتية المعماريين كانت جزءا من الجدلية الدائرة حول مشروعات التطوير العمراني التي جاءت فيما بعد ، من حيث أن تشكيلاتهم الديكارتية وتركيزهم على عنصر النقاء ضيَّق من خيارات البناء والتخطيط الجديد وتسبَّب في أعمال هدمٍ وإزالة زادت عن الضرورة.

تطرُّق جين جيكوبز للحديث عن الموضوع كان ليِّنا ، فنراها تعلن في كلام بليغ عن جملة رأيها وموقفها فيما يخص أهمية القيم الكامنة في أحياء المهاجرين ذات الطابع التقليدي في المدن الأمريكية فهي ذكية ومبدعة وذات خيال واسع ، لكن تفكيرها ينمُّ بطرق عديدة عن فكر ضيق في مجال العمارة والتخطيط العمراني . فمناطق المهاجرين التي تعتبرها "إيطاليا صغيرة" ليست النموذج الوحيد الجيد لحياة المدينة ، ولا النموذج الذي يمكن تطبيقه في أي مكان ، مما حدى بمفكرين وناقدين اجتماعيين آخرين إلى تحرير القيمة الموجودة في أطروحتها وذلك بفصلها عن أحادية الهدف الموجودة في مقترحاتها .

تشارلز آدامز يكتب شعراً عن الاقتصاد الحضري .[٨] فهو مفكر استراتيجي وكاتب محترف ، وهما صفتان ليس من المعتاد الجمع بينهما في مجال التخطيط الذي يعجُّ بالمصطلحات الفنية . وقد حملتني إحاطته بقضايا التنمية الإقتصادية والعمرانية وتبحُّره في الإقتصاد القبَـلي والمتقدم ، وعقليته المتفتحة على المحاججة في المتوافق عليه من المعارف والعلوم إلى الأخذ بفلسفة النهج "التطوُّري" وليس "التقنيني الجبري" في العمارة والتحضر . ولذلك فحينما كان محكِّماً لمسابقة شاطئ برايتون ، حزنت أنا وروبرت فنتورى حين علمنا أنه لم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يلحظ مدى توافق وانسجام تصميماتنا مع أفكاره وتبع رأي صديقه خوزيه لوي سيرت .

وجهة نظر لويد رودوين عن القوى التي تشكل المدن هي من قولب نظرتي للتصميم العمراني وطريقة إخراجه ، فأنا أوافقه قوله بأن المعماريين والمخططين ومنسقي المواقع " هم من بين القوى الأقل أهمية في تشكيل المدن " وأن التصميم العمراني ربما يتأخر بسبب ضحالة مخزونه الفني والفكري . ولكن يظهر ــ وبعد خمسين سنة من ندائه "الذي يستثير الجانب العاطفي والإخلاص وثاقب النظر لدى المصممين العمرانيين "[٩] كي يتدفقوا حماسا من أجل تحقيق المدينة الجيدة ــ أن استثارة هذا الجانب لا تكفي وأن الأمر يحتاج لما هو أكثر من عواطف وحماس المصممين . وقد افترقْتُ عن رودوين حين تحدث عن " الكتل ، المجاميع " .[١٠] فمن خلال قراءتنا لهربرت جانز أو رصدنا لمهنة التسويق أو نمو وتطور شركة الكومكاست للاتصالات يتوجب علينا تفكيك الكتل إلى جزئيات بشكل يعطيها المعنى .

يناقش لاديسلاس سيجو الميل والتفضيل في بناء المدن لنظم المواصلات ، ويصف فرانسوا فايولخ كيف هددت هذه النظم مدينه تاريخية قائمة بفعل أساليب الممارسة السياسية وازدواجية السلطات والمهندسون ذوى الإدراك المحدود . ويرجع الضعف والقصور في التنسيق لانعدام الإطار الثقافي ، وقلة الاهتمام المهني ، و " الأكثر أهمية ، عدم وجود آليات لتنسيق التخطيط ثلاثي الأبعاد على مستوى التصميم العمراني ." مما يمكن أن يستشهد به ويسري في وقتنا الحاضر.[١١] ويأتي ريجنالد إسحاق ليعزز قائمة رودوين للقوى التي تشكل المدينة ، مشيراً إلى أن مدرسة التخطيط في جامعة شيكاجو تتبع نصيحة علمائها المختصين في مجال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السياسة والاجتماع ، لكنه يخشى فشل المهن التي لا تتعامل مع التصميم في توظيف وإخراج بياناتها بما يكفي من التشويق لجذب اهتمام المصممين .[١٢] وهكذا فان بعض هذه الاشكاليات لا تنتهى .

سيرت من ناحية هو المعماري الأوربي المطبوع بقالب سيام ، وحامل للحداثة الأوروبية في أمريكا من خلال دوره في هارفارد ، ومن ناحية أخرى هو ذكي بما يكفي ليجد أجوبة وحلولا في مجالات التخطيط الحضري الأمريكي الكثيرة لتساؤلاته حول التحضر كما يراه لو كربوزييه ومجموعة سيام . فهو يعتقد بالحاجة لشيء بنيوي بين مجالات التحضر المختلفة ، ويدعم ذلك بحثّه التصميم العمراني على تحقيق حالة "التناغم". وهي كلمة سيتردد صداها عبر السنين كلما نوقش التصميم العمراني . ولسيرت إجادة في تنظيم وإدراة المؤتمر وتحديد المشاكل بشكل دقيق ، ومع ذلك نراه يثنى على مشاريع التجديد العمراني في كل من بتسبرج وفيلادفيا – " تلك المشاريع المثالية هي أمر واقع اليوم ." بينما قد نصفها نحن بالكوابيس المروعة . ومع أن رؤية سيرت تتجاوز يقينّيات ميثاق أثينا وقواعد سيام المشهورة للتصميم العمراني ، و ظهوره في خطابه كمخطط حضري أمريكي ، إلا أنه يبدو غير قادر على توظيف أفكار ومفاهيم التخطيط في إعادة ترتيب أولويات العمارة الحديثة .[١٣]

لقد درَّس المتحدثون في المؤتمر أكثر من جيل من المعماريين والمخططين . فقد تتلمذ على أيديهم أساتذتي الذين درَّسوني. والمنهج الذي وضعوه في المؤتمر – وهو منهاج هارفارد في تدريس العمارة والتصميم العمراني – أخَذَت به معظم مدارس العمارة في أمريكا في الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وأصبح القوة الموجهة في العمارة والتحضُّر للحداثة المتأخرة ، وبالأخص في مشاريع التجديد العمراني الكبيرة الممولة من الحكومة الفيدرالية .

وخلال الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين كنت استمد إنطباعاتي عن التصميم العمراني من مفكرين آخرين . ففي عام ١٩٥٦م تخرجت من مدرسة عمارة إنجليزيه مهتمة جدا بموضوع التحضر ــ لأسباب إعادة البناء والإعمار بعد الحرب ــ ، وكنت مستعدة للسفر إلى أوربا في رحلة دراسية انتهت بي في عام ١٩٥٨م في قسم تخطيط المدن بمدرسه الدراسة العليا للفنون بجامعة بنسلفانيا .[١٤] في ذلك الوقت كان ديفيد كرين، المتخرج حديثاً من مدرسة هارفارد للتصميم ، في أوربا يعمل على منحة في البحث الحضري ، وتصادف أن التقى روبرت فنتورى في روما ، حيث كان فنتوري يدرُس التحضر الأوروبي وعمارة عصر الباروك ، وعمارة المناريزم (التفننيَّة في العمارة ــ وهي طراز معماري إيطالي انتقالي بين اسلوبي النهضة الكلاسيكي والباروك الزخرفي ، يتسم بالمبالغة والتكلف وبتحريف "إستطالة" العناصر .. كالنسبة المقياسية و المنظورية ، مع التركيز على الاستخدام الميلودرامي الحسِّي للفراغ) ، ولذا كان التأثير فينا ــ أنا ، و بوب و ديف من أوروبا والولايات المتحدة ، وفي حالة ديف وحالتي كذلك كان هناك تأثير من أفريقيا أيضاً . ومن بين المفكرين الأمريكيين الذين أثَّروا فينا هناك من غاب منهم عن مناظرات هارفارد مثل وولتر جروبيوص ، مارتن فاجنر ، جون برنكرهوف جاكسون ، لوي كان ، وليم ويتون، روبرت ميتشيل، مارتن ميرسون ، والتر إيسارد ، بريتون هاريس ، جون ديكمان ، كيفن لينش ، جاكلين تيرويت (التي حضرت في الواقع ووثقت وقائع وأبحاث المؤتمر) ، ديفيد كرين ، هربرت جانز ، بول كريسيس ، ميلفن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فيبر ، بول دايفيدوف ، وفيليب جونسون المرتبط بهارفارد والمُعارض ربما لفلسفتها وتوجهها. كذلك أين كان الأوروبيون العصريون ، وأولئك البروتاليِّين (المعماريين المتقشِّفين ، وهم أصحاب طراز عمارة بسيطة متقشِّفة، أوضخمة خالية من التفنّن والزخرفة (الفذلكة) المعمارية ١٩٤٥-١٩٦٠) ، وأعضاء فريق العشرة من مناقشات المؤتمر ؟

من وجهه نظرنا اليوم ، هناك مواضيع غابت عن المؤتمر. أحدها كان نقد العمارة الحديثة المنضبطة المتأخرة المنتشرة في أوربا والبادئة لتوِّها في أمريكا. لقد طرح البروتاليون وفريق العشرة حياة الشارع الحضري وتعقيدات وخصائص التكوينات العمرانية التقليدية والبدائية " للعمارة بدون معماريين " في مقابل بساطة ووضوح فكرة المدينة الدائرية . لقد كانت ثورتهم موجَّهة لسيام المعاصرة على وجه الخصوص ، التي يمثلها سيرت والتي شعروا أنها فقدت وهجها . ولذلك لم يكونوا ليحتلوا مكاناً مؤثراً في هارفارد . الموضوع الآخر هو العولمة، ومثلما هو محوري الآن فقد كان أيضاً محورياً في تجارب بعض أعضاء المؤتمر ــ من الممارسين الدوليين ، حيث تم التطرق إليه من تشارلز آدامز فقط.[١٥] وكان هناك موضوع التعليم الذي لم يتم التطرق إليه . لقد شكلت هارفارد على الأرجح الأستوديوهات التي درَّسها ديفيد كرين في بنسلفانيا ، وعملت على توفير الإطار وليس المحتوى للأستوديو الذي أدرِّسه في التصميم العمراني والتخطيط والعمارة .

لقد كان النموذج التعليمي لهارفارد ــ المستند إلى أفكار جروبيوس المتأتية من مدرسة الباوهاوس الألمانية للتصميم ، ووجهة نظر سيام المدينية للعمارة ، وآراء المخططين العمرانيين الحاضرين في المؤتمر والممثلة بـــ سيرت ــ حاضراً

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في برنامج تعليم العمارة والتخطيط في بنسلفانيا في نهاية الخمسينيات من القرن العشرين ، ولكن كانت هناك أهمية متزايدة لمدرسة التخطيط في جامعة شيكاغو . فعلماؤها الاجتماعيون المعروفون بشدتهم وتعنتهم نادرا ما يتيحون الفرصة للمعماريين ، ومع ذلك كان فكرهم محفزا لي في مسيرتي التعليمية . انه لمن الشيق مقارنة المناقشات التي دارت في هارفارد عام ١٩٥٦م مع تلك التي عقدت في جامعة بنسلفانيا في عام ١٩٦٠م خلال خلوة لأعضاء هيئة التدريس لأعادة النظر في منهجية برنامج قسم التخطيط ، حيث كان حماس مخططي جامعة بنسلفانيا للمستقبل الحضري أقل ضجيجاً مقارنه بمناقشات هارفارد ، إذ جاء بعد أربع سنوات ومن مجموعة من المخططين أغلبهم دارس للعلوم الاجتماعية .

التصميم العمراني في الماضي والحاضر

ماذا حصل للتصميم العمراني منذ عام ١٩٥٦م ؟ .. التصميم العمراني ، مثل بقية المجالات ، يتبع الاتجاه العام والصيحات ، ويوجَّه وفقاً لمصادر التمويل المتوفرة، خاصة التمويل من الحكومة الفيدرالية في واشنطن . فذات الموجات المتلاحقة من الأفكار التي توالت على المجتمع تتابعت على التصميم العمراني ، حيث دأب المصممون العمرانيون على مر السنين يتعاملون مع أمور موضوعية صحيحة ولازمة من وجهة نظر اللذين يقدمون الدعم والمعونة . وفي الستينيات من القرن العشرين الميلادي ، تزامنت اضطرابات حركتي الحقوق المدنية ومعارضة التجديد العمراني،إذ أعلن ممثلوا الحركتين أن التصميم العمراني والرؤى المعمارية لاعادة تجديد المدينة هما "جزء من المشكلة" . كان هناك أيضا المخططون الاجتماعيون الذين أصبحوا من الناشطين المطالبين بالعدالة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الاجتماعية ، وهؤلاء انتقدوا " المعماري" ؛ ولكن أي معماري ؟ فقط من قابلوه من المعماريين في حياتهم المهنية ، وممَّن دعوا أنفسهم بـــ "مصممين عمرانين" نتيجة حيازتهم لتدريب في مجال التخطيط ، أو شغفهم بالمدن ، وممارستهم أو تدربهم في مجال العمل في مكاتب استشارية. هؤلاء يتهمهم المخططون الاجتماعيون بتصميم مشاريع معمارية كبيرة وتسميتها جزافا تصميماً عمرانياً ؛ وبعدم معرفتهم بالجوانب الاجتماعية والاقتصادية والفنية التي يتطلبها التصميم العمراني ؛ وبجهلهم بالقيم والسياقات الثقافية للمجتمعات المركبة ؛ وبقيادتهم الفعلية للفريق التخطيطي ، ولكن في الإتجاه الخطأ بسبب جهلهم . وقد كان إدموند بيكن أوضح مثال لما كانوا ينتقدون ، فسهام نقدهم كانت دوما تُصوَّب إليه .

أما المعماريون ، فعلى النقيض من ذلك ، فقد دعوا هذا المصمم العمراني تعمَّدا منهم عند لقاءهم به في إحدى إدارات تخطيط المدن أو التجديد العمراني بـــ " المخطط " . ولأنهم مضطرون للعمل في إطار توجيهاته التصميمية ، تشاهدهم ينتقدونه لقلة علمه بتصميم المباني كي يصوغ توجهات واقعية . وحيث أني خضت في مسلكيّ العمارة والتخطيط ، فقد قمت في العام ١٩٨٢ بوضع خلاصة تجاربي كمعمارية على النحو التالي :

" إفتقار المصممين العمرانيين لخلفية حضرية وقلة إحاطتهم باصول وفروع العمارة يضيع عليهم فرصة اختيار أي من المسلكين (فلا يطالون هذا ولا ذاك !) ما يجعل المخططين يسمون تقنيناتهم بأنها غير واقعية ، بينما يجد المعماريون تصاميمهم خالية من الموهبة والإبداع الفني ."[١٦]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

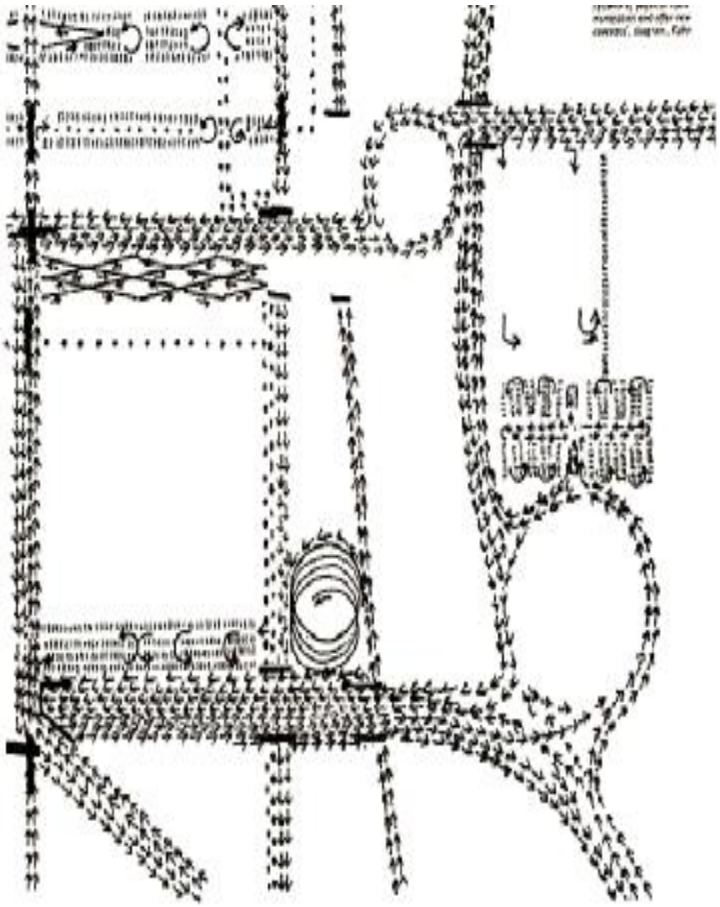

من رسومات لوي كان . " يمكن للمعماري التحكم بنظم الإتصال الملموسه وأن يقدم أفكاراً جديده." من كتاب : فريق العشره ، تحرير : أليسون سميثسون.(من الأصل بالنجليزيه ، ص ٣٤)

لقد استجاب بعض المصممين العمرانيين للحركات الاجتماعية بأخذ زمام المبادرة في مؤازرة الفقراء والمنبوذين في مجال العمارة والتخطيط ، ولكن مثل هذه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأدوار لا يمكنها أن توفر دعماً يقابل ما يمكن أن توفره لهؤلاء وظيفة بدوام كامل .

شهدت السبعينيات من القرن العشرين الميلادي بداية ظهور توجهات ثنائية تمثلت في الحفاظ على التراث العمراني والاستدامة البيئية . وارتبط هذان التوجهان متوازيين تقريبا بمجال التصميم العمراني منذ ذلك الحين ؛ كما ارتبطا بالتوازي أيضا بالعمارة في فترة ما بعد الحداثة ؛ ثم أخذا يسيران على المستوى الوطني (في أمريكا) في اتجاه الخضوع لمبادىء وسياسات وإرغامات الجمهوريين والاقتصاد الجمهوري ، إذ عجلت إدارتا نيكسون وريجان بانقطاع الدعم عن القطاع العام والأشغال العامة ، ما يعني انخفاض الدعم للتخطيط والتصميم العمراني . وبتجريدهم من التمويل ، بات العمرانيون لا يأبهون للبحث في الجوانب الفلسفية لعلاقة العام بالخاص وفي استخدام التمويل العام للتوجيه الأمثل للاستثمارات الخاصة ، ولكن القطاع الخاص أصبح في النهاية عصريا . فمدينة لاس فيجاس ، بما قدمه قطاعها الخاص من ساحات عامه ذات طابع أوروبي ، تعتبر مثالاً جيداً لخصخصة القطاع العام والتحضر الجديد ، وهو مأخذ التصميم العمراني على توجهات ما بعد الحداثة .

ويبدو هنا أن التفكيكية والحداثة الجديدة - وكلاهما يمثل شوقاً و حنيناً في فترة ما بعد الحداثة لنُسغ الحداثة الأولىٰ المسكونة بالنقد والرفض والتجديد – قد وازتا وارتبطتا بهذا التحول المفاجئ نحو القطاع الخاص ، وباتت الشركات الخاصة والمؤسسات غير الحكومية من أبرز عملائها.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في السنوات الأولى التي أعقبت الحرب ظهر نوع من الممارسة في التصميم العمراني بفعل مناشط التجديد العمراني أسميته تصميما عمرانيا ذا " اهتمام خاص " أو " حيوي وحسَّاس" ، وصل ذروته في السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين الميلادي ولا يزال مستمرا حتى اليوم ؛ حيث ينبغي على المصممين العمرانيين اللذين يعملون لصالح مطورين أو مجموعات تطوير السعي لفهم احتياجات زبائنهم وتأكيدها في المدينة بدعم ومساندة من مؤسسات التجديد العمراني والغرف التجارية . فهم وزبائنهم يُعدُّون أكثر خبرة وأفضل تمويلاً من بقية المصممين العمرانيين . طبعا ، لا يحقق جميع المطورين في القطاع الخاص أهدافهم ، وكذا الحال بالنسبة لبعض مجموعات حماة المجتمعات، ولكني سمعت مرة مدير تخطيط يقول " لقد تعبت كثيرا من كل مطور يأتي معتزاً بنفسه وبعهدته مهندسه المعماري يلازمه كظله".

والآن لدينا العولمة ، والجميع ذاهبون إلى الصين !

تأثير برنامج هارفارد للتصميم العمراني

ما الذي استمر منذ عام ١٩٥٦؟ .. للإجابة على هذا السؤال ، أقول بأني لست باحثة ولا مؤرخة ، وعليه فلا استطيع أن أحدد بالشمول مسارات أفكار التصميم العمراني بعد هارفارد ٥٦ ؛ وأنا هنا أكتب عن هذا المجال كممارسة ، وعليه فلا أدَّعي بأكثر مما رأيت وعايشت . نعم ! لقد مكنتني سنيَّ حياتي ومعايشتي للكثير من الأمور والأحداث من كتابة "وقائع" الاجتماعات التي حضرتها ، والشروع في تحديد ما بقى واستمر عبر تتبعي لمسار أفكار أساتذتي خلال ذات عملي وخارج

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نطاقه . ومسيرتي العملية لا تعكس المعيار أو المسار المعتاد في مجال التصميم العمراني ، حيث لا يوجد مثل هذا المعيار أو المسار بأي حال ؛ إلا أن تجربتي قد تسعفني في مناقشة تأثير برنامج هارفارد ، فقد استقبلت مدرسة الدراسات العليا في التصميم بجامعة بنسلفانيا (تسمى الآن مدرسة التصميم) في نهاية الأربعينيات من القرن العشرين الميلادي ثلةً من أعضاء هيئة التدريس كانو قد انتقلوا إليها من مدرسة الدراسات العليا للتصميم في هارفارد .

عندما عين المصلحون الديمقراطيون ج . هولمز بيركنز من هارفارد ليعيد تنظيم مدرسة الدراسات العليا للفنون بجامعه بنسلفانيا ، كان من بين من أحضر معه وليام ويتن ، ايان مكهارج ، الشاب روبرت جيديس ، جورج كوارلز ، وديفيد كرين . وقد انجذبت إلى بنسلفانيا في عام ١٩٥٨ من خلال سمعة لوي كان بين البروتاليين الإنجليز ، وكان ذلك قبل أن يصبح معروفاً بسنوات في أماكن أخرى، كما كنت مغرمةً بأخبار مشاريع التخطيط الجاري تنفيذها في فيلادلفيا . ولكن عندما دخلت قسم التخطيط في جامعة بنسلفانيا وجدته ، خلافاً لقسم العمارة ، وقد تموْضَع بعيداً عن أفكار التحضر السائدة في هارفارد جرَّاء تأثره بأفكار واردة من أماكن أخرى . وكان لبرنامج التخطيط القوى في جامعة شيكاغو ، ذي الصبغة المرتبطة بالعلوم الاجتماعية، تأثير قوي في الفكر التخطيطي لجامعة بنسلفانيا .

ومن موقعه في برنامج ماجستير العمارة ، استطاع لوي كان التأثير في برنامج التصميم المدني ، كما مارس تأثيراً مضاداً لتوجهات هارفارد في قسم العمارة . وهذا يعود لجانب خفي في قوته يكمن في التعلُّم الذي اكتسبه من المخططين في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جامعة بنسلفانيا برغم تعليقات الإزدراء التي كان يطلقها عليهم في بعض الأحيان . (١٧)

إن أكثر بيئة تنافسية في مجال الفكر في حياتي هي تلك التي عايشتها في قسم التخطيط في جامعه بنسلفانيا ، حيث تتعدد فيه المساقات الفكرية لتشمل مجال الاجتماع الحضري لـــ هيربرت جانزالذي بالإضافة لاتفاقه مع جين جيكوبز في فهمه للاختلاطات والتعددية في المدينة الاجتماعية يتبنَّى نظرة أكثر شمولية للمجتمع وفئاته وهيكليته ، وهو هنا ينتقد المخططين المعماريين والمصممين العمرانيين لفهمهم المحدود للقضايا الأجتماعيه واسقاطاتهم الجزافية لقيم الطبقة المتوسطة على إشكاليات الفئات المتعددة في المجتمع والتي لكل فئة منها قيمها وأمانيها وتطلعاتها الخاصة بها . وقد وافق ذلك هوى في نفسي نظراً لتجاربي مع تنازع وصراعات القيم بين فئات المجتمع في إفريقيا وإنجلترا . وبالأضافه لجانز كان هناك الاقتصاديون وعلماء التخطيط الأقليمي اللذين ينظرون لأنماط المدن كنتيجة حتمية للاقتصاد ، وكذلك مخططو المواصلات والنقل ومخططو المدن ومعهم تحليلاتهم الحاسوبية الهادفة لتوقع العلاقة بين خدمات النقل والتنمية الإقليمية . وعلى الجانب الأخر جلس بول دافيدوف عاكفا على إعادة تحديد عمليات التخطيط كي تشمل المشاركة الديمقراطية للمستهدفين بالتخطيط ، ويصار إلى دعم أفراد الطبقة الدنيا التي أغفلت في التخطيط الحضري في الخمسينيات من القرن العشرين الميلادي – وبخاصة في أعمال التجديد العمراني الذي مثَّل الأمل الكبير لمؤتمر هارفارد . وقد اعتبرت عملية دافيدوف التخطيطية واقتراحه بوجود دور للمخططين المعماريين كمساندين للفقراء بمثابة نداء واضح للمخططين الشبان إبَّان حركة الحقوق المدنية . وبموازاة ذلك ظهرت نظريه مكهارج

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حول " الإنسان والبيئة " في قسم تنسيق المواقع ، لكن تراءى لي أنها غير ممنهجه وأن لا قاعدة فكرية لها لتبررها ، لكن أتباعه جعلوها قابله للتطبيق وأسبغوا عليها أهمية في مجال تنسيق المواقع والتخطيط الإقليمي والقانون وكذلك في مجالات التصميم العمراني والتخطيط التي يمتد نطاقها من الحسابات العامة للاستدامة إلى إدارة مياه الأمطار والسيول .

كان ديفيد كرين رئيساً لاستوديوهات التخطيط العمراني في جامعة بنسلفانيا . أشرف على دراستي وساعدني كثيرا من خلال احتضانه وإرشاده لي في سُنَّة اخترتها لنفسي وهي الأستجابه الخلاَّقة والإبداعية كمصمم لأفكار المخططين الاجتماعيين ومخططي النظم من حولي . لقد لفت كرين نظري للعمل الصعب للعالم الجغرافي وولتر آزارد [١٨] ولكتاب ، حرَّرته جاكلين تيروت [١٩] الأستاذة في هارفارد حول الجغرافي باتريك جيديس ، يصف " الجراحة التحفظية " التي يقترحها للقرى الهندوسية . وكان ذلك بمثابة مقدمة حيَّة لفكرة العمل النابع من الداخل يحمل فيها على أفكار وآراء رودوين وآزارد حول القوى التي تشكل المدينة ، لكنه يلتقي مع لوي كان في فلسفتة " بأن الإنسان يصنع ما يود أن يكون عليه" ، ومع طلب كل من جانز ودافيدوف من المعماريين صياغة مناهج أكثر تسامحاً لتصميم المدن بديلاً لما تقدمه العمارة الحديثة .

رسم كرين من خلال كتاباته وتدريسه مجموعه جديده من التعابير العمرانية المجازية التي يمكن أن تعين المصممين العمرانيين في إعادة النظر بدورهم في مواجهة التحديات . " فمدينه الألف مصمم " كانت تصوراً أستخدمه كرين ليوضح إن المصمم العمراني في البيئة الديمقراطية إنما هو حلقة في سلسلة متخذي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القرار العمراني الذين تؤثر قراراتهم ، بوعي أو بدون وعي ، في عمرانية المدينة. وقد شعر كرين ، مثلما شعر سيرت ، بأن المصمم العمراني ينبغي أن يكون هو ضابط الإيقاع في ديموقراطية اتخاذ القرار العمراني التي لا تخلو من نشاز ؛ فنحن المصممين العمرانيين، خلافا للحاكم المطلق التصرف - الملك الفيلسوف – لا نتوقع أكثر من مجرد تقريب غامض وغير محدَّد لرؤيتنا في شكل المدينة العمراني . وبهذا المعنى يكون التصميم العمراني مشابها " لرسم زيتي على ماء النهر " .

ومثلما فعل لوي كان ، فقد فسَّر كرين للمصممين الأفكار الفاعلة في تخطيط النقل والمواصلات في أبيات شعرية بعنوان : " الوجوه الأربعة للحركة" ؛ على إحداها لدينا الشارع الموصل للمكان ، ومن خلاله يتبدَّى وجه ثان مُشيِّد للمدن ، وعلى الوجه الثالث توفر الشوارع فراغات خارجية للمعيشة ، وعلى الرابع تَنقل الشوارع الرسائل بيننا. أسلوب بليغ التقطه المعماريون الذين أربكتهم تجريدات المخططين المبهمة ؛ ومع ذلك فقد غطى مجالاً واسعاً بدءاً من الاقتصاد وتخطيط النظم إلى الاهتمامات الاجتماعية ، كما غطى موضوعاً رئيساً بالنسبة لـــ فنتوري ولي ، وهو : أهمية الاتصالات في العمارة والتحضر .

بالنسبة لـــ ديف ، فقد جلب معه من هارفارد فكرة "محددات التكوين العمراني" وكلفني بالبحث في القوى الاجتماعية والاقتصادية والتقنيَّة والطبيعية المُهذِّبة والمُكيِّفة لأنماط الاستيطان الحضري . وفي عام ١٩٦١م شجَّعني على كتابة "المدينة الهادفة" [٢٠] وكانت هي محاولتي الأولى لفهم الرمزية الحضرية والاتصالات . وعمل ردُّه على عموميات التحضر الواردة في ميثاق أثينا على لفت الانتباه لما أسماه "النسيج الحضري" ، ويعني بذلك الأجزاء من المدينة التي تقع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بين المحاور الرئيسة لحركتها وخدماتها العامة الكبرى . ويرى ديف أن المصممين العمرانيين ، إذا أرادوا ضبط إيقاع القرارات العمرانية للمصممين في مدينة "الألف مصمِّم" فعليهم أن يفهموا أنماط البناء الشائعة في ذلك النسيج ، وهي " الوحدات المتكررة " في المدينة (مثل : البيوت المصطفَّة في فيلادلفيا) وكذلك الأنماط الجديدة الآخذة في الظهور (كمراكز التسوق التي ظهرت في الضواحي بعيداً عن مراكز المدن خلال الخمسينيات من القرن العشرين) .

لقد درس كرين العلاقة بين العام والخاص في المدينة (مثلاً : كيف يمكن بناء المساكن.. فقط حينما تكون هناك بنية تحتية متوفرة ، وبدونها لا يمكننا البناء!) وناقش إمكانية استخدام هذه العلاقات لتوجيه بناء المدينة من القطاع الخاص . ومن هنا أقام فكرة " شبكة الأصول العامة " ، ويعنى بها جملة المباني العامة ومشاريع الأشغال العامة في المدينة ، بما في ذلك نظام الحركة . وحيث يمثل ذلك نصف حجم الكتلة العمرانية للمدينة ، فلم لا يُصمَّم كإطار موجِّه لمشروعات القطاع الخاص!

متأثراً بالمشاكل الجليَّة للتحول الحضري في الخمسينيات من القرن العشرين ، راح كرين يتأمل في دورات التجديد في المدينة مع مرور الزمن ، فلفت نظرنا لمناقشات كيفن لينش حول ما إذا كان بالإمكان إيجاد أسلوب للتخطيط يتيح للتحول الحضري التخفيف من حجم ما يسببه من المكابدة والمعاناة ، حيث أوضح لينش بالتحديد كيفية التخطيط للتغيير المادي في الوقت الذي لا يمكن التنبؤ فيه بحجم هذا التغيير أو تفاصيله- وأورد عدة طرق لعمل ذلك . [٢١]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هذه الأفكار ، التي لخصها كرين في مقالتين ملهمتين في عام ١٩٦٠[٢٢] كانت بمثابة مرشد لمن يرون منا أن دورهم يغطى مجاليّ العمارة والتخطيط – في وقت كان فيه معظم تعليم التصميم العمراني ضرباً من قصر النظر المعماري : يُدرَّس لمعماريين بواسطة معماريين في مجال العمارة !! وفي تشبُّثه بالشائك من علوم الاجتماع الحضري وتخطيط النظم ، وباستخدامه للمجاز اللغوي ، وضع كرين طرقا للمصممين العمرانيين للتعامل مع تلك العلوم بإبداع المصمم ، وهو ما كان آل سميثسون المهتمين بفكرة "التطعيم الاجتماعي البنَّاء" يهدفون إليه ولكنهم فقدوا الأمل في تحقيقه . وبمقدرته على التخيُّل إستطاع ديف تطبيق المعارف التخطيطية على الأفكار الاجتماعية للبروتاليين وفريق العشرة ، ليساعد في جعلها " عملية وقابلة للتطبيق " (وهي مفردة تخطيطية مفضلة حينئذ) . ومع أن كرين تحول في المراحل المتأخرة من حياته العملية لمجالات واهتمامات أخرى ، فان إسهاماته في هذا الوقت تضعه،في رأيي ، بين المفكرين والفلاسفة الأوائل في مجال التصميم العمراني في القرن العشرين.

تعود نشأة وسائل ومناهج الاستوديو التطبيقي في جامعة بنسلفانيا إلى جامعة هارفارد . ويرجح أن موضوع الاستوديو التمهيدي للمخططين والمصممين العمرانيين قد جاء بإصرار من بيركنز ، وكان عبارة عن مدينة جديده في دولة نامية تناقش فيه كافة وجهات النظر المتعددة الممثلة لمجالات التخطيط المختلفة ــ ولكن مع مستوى معين من الفصل بينها ؛ حيث أتاح وضع المدينة في بلد بعيد للطلاب تعلُّم أساليب تقريب وتجميع وتنسيق مواد البحث على اتساعها وشموليتها دونما استغراق في التفاصيل . وقد كنَّا أنا ، كاتبة هذه السطور ، وكرين و روبرت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سكوت برون ــ من خارج إفريقيا ــ متحمسين لموضوع البحث . لقد كان أول استوديو تطبيقي لنا مع ديف بعنوان " مدينة البنجاب الجديدة " . ومع أن ظاهره كان الاستوديو الهارفاردي (نسبة إلى جامعة هارفارد) الذي استخدم برنامج لوكربوزييه لشانجيدار - إلاّ أننا استطعنا إخراجه منقحاً إلى أقصى حد ! إذ طبَّقنا فكرة " شبكة الأصول" للبنيه التحتية التي نحتاجها لإسكان " الألف مصمم " وهم في هذه الحالة مستوطنون حضريون ، في الإسكان التعاوني بمناخ مصحوب بالأمطار الغزيرة .

لقد جلبْتُ إلى جامعة بنسلفانيا اهتمامات من نتاج تعليمي في أفريقيا وإقامتي في إنجلترا وأوروبا .. وذلك في بداية ظهور البروتاليين وفريق العشرة . فخلال ثلاث سنوات من رحلتي الدراسية في الدراسات العليا والعمل ، صغت العديد من التساؤلات ، ومن العجب أن برنامج التخطيط في جامعة بنسلفانيا بدا وكأن لديه الإجابات . التساؤلات كانت تدور حول اكتشاف : كيف يعيش الناس في الواقع وكيف يرغبون أن يعيشوا في المدن ، خلافا لما يراه المخططون من أن على هؤلاء الناس أن يعيشوا بهذه الطريقة أو تلك ! . وفي جامعة بنسلفانيا ، بدأت المواد في الاجتماع الحضري توفر الإجابات للمسائل التي كانت قد حيَّرت فريق العشرة وأحبطت مسيرتَهم ، كما ساعدنا استوديو كرين في كيفية تطبيق ما تعلمناه من المخططين . ففي إنجلترا وتنقلاتي فيها كان لي نقد للحداثة المتأخرة، ورغبة في إعادة النظر في فلسفة التصميم الوظيفي في العمارة ، واهتمام خاص بعمارة "المناريزم" التفنيَّة . وعبر أفريقيا وإنجلترا ، كان لدى اهتمام متنام بالثقافة السائدة ، وفي إختلاط الثقافة البدائية والحضرية بين الحضر الأفارقة ، وإبراز دور الثقافة الأمريكية الجماعية في حركه الفن الشعبي الانجليزي المبكرة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في الأربعينيات والخمسينيات من القرن العشرين الميلادي .[٢٣] وكان هذا الخليط تجهيزاً جيداً للعيش في الولايات المتحدة في الستينيات من القرن العشرين .

في عام ١٩٦٠م ، التحقت بعضوية هيئة التدريس في جامعة بنسلفانيا وقابلت روبرت فنتوري . وكزملاء تلاقت اهتماماتنا في مواضيع امتدت من المانريزم والعمارة التاريخية في إنجلترا وإيطاليا ، إلى فنون البوب والرمزية في الثقافة السائدة . كان روبرت فنتوري أحد أعضاء هيئة التدريس القلائل في قسم العمارة اللذين لم يذهبوا لهارفارد ، وأيضا من بين القلائل اللذين أبدوا تعاطفاً مع حركة التخطيط الاجتماعي في جامعة بنسلفانيا التي كانت بمثابة تحدٍّ قويٍّ لي يحفزني على المثابرة .[٢٤] وفي الحقيقة فان قراءة متأنية لكتاب فنتوري : التعقيد والتضاد في العمارة[٢٥] تُظهر أنه كان في كثير من الأمور وليد حقبة الإضطراب الإجتماعي في جامعة بنسلفانيا . وفي الفصل الأخير من الكتاب ، يظهر إنغماسي المستمر في البيئة اليومية ، حين يسأل فنتوري " أليس الشارع الرئيس تقريباً على خير حال؟"

انتقلت عام ١٩٦٥ إلى كاليفورنيا للتدريس في جامعة كاليفورنيا في بيركلي وجامعه كاليفورنيا في لوس انجلوس ، ولأدرُس التحضر في الجنوب الغربي ، الذي ما فتئ مخططوجامعة بنسلفانيا يعاتبوننا نحن المعماريين لعدم أخذه في الاعتبار ، والذي كان سيصفه كرين بالتكوينات العمرانية الناشئة . وبينما كنت هناك ، تابعت عادتي التي ابتدأتها في أوروبا وأفريقيا ، بتصوير التحضر والثقافة الرائجة – ليفتاون ، لاس فيجاس ، النسيج الحضري داخل المدينة ، الأشرطة والمراكز التجارية ، لوحات الإعلانات ، الطرق ، وتقاطعات المواصلات والطرق السريعة الضخمة . هذه العناصر من البيئة اليومية غير محبَّبة للمعماريين اللذين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يفضلون البحث عن التشكيلات المختلفة في أماكن غير عاديه- في تحضر قبائل الدوجون في السودان الفرنسي على سبيل المثال . ربما فهم باتريك جديس من أن ملاحظة تيرويت المهمة " لا البراهمي ولا البريطاني" دُرِّس كي يؤيد القرية الهندوسية كانت دائماً حاضرة في ذهني وأنا أعمل على فهم التبعثر والانتشار العمراني . لقد درَّست " محددات التكوين العمراني" كمادة نظرية وكمشروع تطبيقي من خلال الأستوديو ، شاحنة بذلك قدراتي لإدارة نفس نوع الأستوديو الذي كان يديره كرين ، لأغراض البحث والتصميم على السواء .

حينما أتى روبرت فنتوري ليحاضر في طلبتي في جامعه كليفورنيا في لوس أنجليس وجد البيئة التعليمية ممتعه كما وجدتها . وقد وافقني على أن مدينه لاس فيجاس الحافلة بأضواء النيون وعالية التجهيز لخدمة السيارة كانت تمثل نموذجاً للبيئة التجارية التي بدأت تظهر في الضواحي . وقد شاركني الاهتمام في تحليل هيكلها العمراني ، وبالأخص رمزيتها من خلال أستوديو مشروع بحثي . وهكذا فحينما تزوجنا عام ١٩٦٧م أضفت إلى عملنا المشترك إهتماماتي في الثقافة الحضرية والشعبية ، وخلفيتي التخطيطية ، وكذلك ولعي بكسر القواعد الذي تأخذ به حركة المانريزم ، كما أدخلت معي هذا النوع من الأستوديو . وكان " درس من لاس فيجاس "[٢٦] أحد الاستوديوهات الأولى التي قدمناها سويا ، ومنه بدأت حياتنا العملية التي اعتمدت على ثلاثة مبادئ : التعلم بالمشاهدة ، والتنظير عن طريق التدريس والكتابة ، ومن ثمَّ الممارسة المهنية ، ما ساعد كثيرا في رسم مسيرة حياتنا العملية وتسهيلها علينا .

نحن أيضاً ، مثل كرين وبقية المصممين العمرانيين ، إجتزنا سلسلة من المراحل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المتكيّفة مع الأفكار والشعارات المتغيرة في المجتمع . ففي عام ١٩٦٨م حينما كنا نعمل على تجهيز أستوديو لاس فيجاس طلب مني أحد المخططين الاجتماعيين أن نكون المخططين والمعماريين المؤازرين لمنطقة محدودة الدخل في الشارع الجنوبي في فيلادلفيا مهددة بالإزالة لفتح طريق سريع . وبذلك كرَّسنا سنوات عملنا الأولى لـــ لاس فيجاس والشارع الجنوبي في فيلادلفيا ، بحيث كان مشروعي الأول كمخططة ممارسة لا اكاديمية العمل كمتطوعة لصالح مجتمع الشارع الجنوبي في فيلادلفيا .

ومنذ ذلك الحين ، دأبت في كل عشر سنوات تقريباً على تغيير كينونتي المهنية بطريقة مختلفة تعينني على الاستمرار . ففي السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين كانت أعمالنا تتركز على الأحياء والمجاورات السكنية داخل المدن والشوارع العامة الصغيرة ، ثم عملنا في نهاية الفترة في إعداد مخططات أكبر لأجزاء من منطقه الديكو على شاطيء ميامي ولوسط مدينه ممفيس – بما في ذلك الواجهة البحرية والمدينة التاريخية ومنطقه شارع بيبل . وهكذا كنت ناشطة في التخطيط الاجتماعي والاقتصادي والحضاري والعمراني ، وفي التعددية الثقافية ، وفي ربط نظم المواصلات والبيئة مع النظم والأنماط العمرانية الأخرى.

وفي هذه المشروعات ، استخدمت طرق التخطيط بالمشاركة التي أوصى بها وجربها بول دافيدوف من خلال بصيرته النافذة ، كي أتفهم مجموعات العملاء من المؤسسات الثقافية المعقدة اللذين تعاقدوا معنا كمعماريين في الثمانينيات من القرن العشرين . ولكن سنوات من إدارة نيكسون وريجان جعلتني أقرر ، بكل أسف ، بأنه لم يعد باستطاعتنا أن نمارس التخطيط العمراني كاستشاريين للقطاع

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العام ، نظراً لتدني مستوى التمويل الذي يمكن أن توفره المدن . وفي الوقت الذي اتخذت فيه القرارطلبت منا كلية دارت موث أن نخطط لتوسعة حرمها الجامعي .

منذ ١٩٨٨ جمعت بين التخطيط العمراني وتخطيط وتصميم الجامعات في مشاريع تطلبت مني التفكير في المدينة و اقتصادياتها على المستوى الإقليمي وفي الحرم الجامعي بشكل شمولي آخذة في الحسبان علاقاته المعقدة بين السياسات التعليمية والمرافق والتجهيزات العمرانية ، وإحتياجاته لتخطيط البيئة والمواصلات . وقد أتاحت لنا العديد من هذه المشاريع الفرصة كي يمتد عملنا من مستوى المخططات العامة إلى مشروع معماري كبير لمكتبه ، أو مركز للحرم الجامعي ، أو مجمَّع لعلوم الحياة ، وكان ذلك أول جزء يبنى من المخطط . وقد حققنا في هذا العمل هدف كرين في تطوير التصميم العمراني تدريجياً من خلال التخصصات التخطيطية . وفي خطوة لاحقة ، أدخلنا العنصر التخطيطي في تصميم المباني – حيث نقوم بتخطيط استعمالات الأراضي والمواصلات ضمن عمارتنا للمباني، وبتعبير كرين استخدام " الوجوه الأربعة" للشارع كمنطلقات للتصميم .

أن تصرف عشر سنوات على حرم جامعي واحد ، بدأً من إطاره العمراني العام وأنماطه التنظيمية والسياسات التعليمية ، وانتهاء بمنشآت وأنماط جديدة أو تم ملاءمتها لتخدم سياسات جديدة هي السعادة و المتعة بالنسبة لي . والأكثر سعادة إذا تضمن المشروع الجزئي الأول مجموعة من العلاقات المنطقية على المستويين الفيزيقي والمعرفي ، وهو ما يمثل أهمية في " التقاء العقول " في الحرم الجامعي. تلك كانت تجاربي في دارتموث وجامعة بنسلفانيا وجامعة متشجان . وكانت أحدث مشاريعي دراسة الجدوى لنظام خدمات حياتية في الحرم الجامعي لجامعة براون واستشارة حول تحديث المخطط العام لجامعه تسنجهو في بكين .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومع أنه لا يوجود مسلك مهني بعينه مُدرج كـــ "تصميم عمراني" ، كما أنني لا أستطيع أن أصف تجربتي بالنموذجية ؛ إلا أن الشواهد توضح تفاعل الآخرين ، كل بطريقته ، مع التوجهات الاجتماعية التي وصفتها . وبالرغم من الجملة الواردة في دليل جامعة بنسلفانيا من أن برنامج التصميم المدني موجَّه للمصممين الموهوبين ، فإنني أعتقد أن قلائل من طلابي أصبحوا مصممين . كثيرون منهم أصبحوا إداريين ممتازين في مؤسسات تخطيطية حكومية في بداية مسيرتهم ، ثم تحولوا إلى المؤسسات غير الحكومية أو القطاع الخاص .. بعضهم مشارك رئيس في شركته الخاصة ، وآخرون إما مطورين أو أكاديميين. والغالبية منهم اختطت لنفسها مزاولة مهنة العمارة الأكثر ديمومة والأفضل دعماً من مجال التصميم العمراني مستغلة بذلك ميولها وذخيرتها المعمارية .

إعادة تعريف التصميم العمراني بما يتلائم والحاضر

خبرتنا في البحث والتعلُّم ، وفي التدريس ، وفي الممارسة جعلتنا أنا وبوب نكتب ونوثق كل ما يبدو ، في وقت من الأوقات ، ذا صلة بالعمارة والتصميم العمراني. ففي الستينيات والسبعينيات ، وهي الفترة التي بلغ فيها العمل النقدي للمخططين الاجتماعيين ذروته ، كنت أعتبر نفسي كراكب حصان السيرك ، محاولة تقريب خيول التخطيط والعمارة لبعضها البعض كلما تباعدت .

لقد سعينا في كتاباتنا ، بما فيها كتاب بوب (روبرت فنتوري) : "التعقيد والتضاد في العمارة"، وكتابنا : "درس من لاس فيجاس" إلى إيجاد منظور للعمارة والتصميم العمراني يستجيب لواقع الحياة الاجتماعية الحضرية كما رأيناها حينئذ.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وفي هذا التوجه، كان كرين زميلاً لنا، لكن هارفارد كانت تمثل المرجع للحداثيين الذي ابتعدنا (علنيًا) عنه [٢٧] . وفي منتصف الستينيات من القرن العشرين ، كتبت سبعة فصول من كتاب كنت سأسميه "محدِّدات التكوين العمراني" ، لكنِّي لم أجد مصادر تمويل تمكنني من الاستمرار . وقد ظهرت محتوياته من خلال كتاباتنا الأخرى ، وظهر بعض منه في عام ٢٠٠٤ في الجزء الثاني من كتابنا : العمارة كرموز ومنظومات لزمن المانرست [٢٨] ، مطعَّماً بخبرات وتجارب متراكمة على مدى أربعين سنة .

في عام ١٩٨٠ م تعرضت بشكل مباشر لتعريف التصميم العمراني ؛ فاعتبرت نفسي معمارية ومخططه (ولست مصممة عمرانية ، ولا معمارية- مخططه) وعرَّفت التصميم العمراني كواحد من ألوان الطيف المعماري والتخطيطي : " فالعمارة هي النافذة التي أرنو منها إلى عالمي الشخصي والمهني . وضمن المدى الرابط ما بين العمارة والتخطيط توجد الاهتمامات والقضايا التي أتعامل معها .

التصميم العمراني هو نوع التصميم الذي أقوم به أو يستحوذ على اهتمامي . والأمر هنا لا يتعلق بحجم المشروع ولكن بالأسلوب والطريقة التي تتبع في معالجة الموضوع. " فأنا أرى بأن الأساس والجوهر في التصميم العمراني يكمنان في التركيز على العلاقات بين الأشياء ، وعلى الروابط ، والسياقات والأماكن البينية أكثر منه على الأشياء نفسها . فهو يتعامل مع آفاق زمنية طويلة ، ومع نمو تدريجي عبر الزمن ، ومع قرارات معقده تتخذ بشكل مجزأ ومرحلي ، ومع علاقات بين مستويات وأنواع مختلفة من درجات اتخاذ القرار . وعلى ذلك يكون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التصميم العمراني هو الموحِّد لعناصر متشابكة و ناشزة ،إنه الوعي بإمكانية تحويل التنافر والنشاز في مستوى معين إلى تناسق في مستوى آخر ."[٢٩]

لو أخذنا شارعاً رئيساً في مدينة قديمه على سبيل المثال ، سنجد بأن معظم سياسات التصميم العامة تحدد قواعد تتعلق بتكوينات المشاهد والمناظر ، والمواد، والحفاظ ، وواجهات المحلات ، واللوحات الإعلانية ، والأرتدادات ، وارتفاعات البناء . هذه الضوابط تطبَّق في العادة بشكل متماثل على الشارع بكامله ، في حين ينبغي في سياسات التصميم العمراني الحقيقية أن تضع موجهات مختلفة للأبنية العامة والخاصة، وللمباني الحديثة والتقليدية ، وللحانات والملاهي . وفي هذا المثال : متطلبات الارتداد للحفاظ على محاور الرؤية التي تطبق على المباني الخاصة يمكن تجاهلها في حالة المباني العامة باعتبارها أحد المكونات ضمن مجال الرؤية . ولكن هذا النوع من التصميم العمراني يتطلب الصبر والتأني .

تعريفي للتصميم العمراني لم يأت بشكل بحت من هارفارد ، فهو مطعَّم بإضافات مميزة من كرين وجانز وقليل من فريق العشرة ، كما يعود الجزء الخاص بالنشاز والتنافر بشكل كامل لفنتورى ؛ أما بقية التعريف وتوليفته فمن عندي . ومن هذا التعريف تأتي مضاهاتي للفروق بين العمارة والتصميم العمراني والتخطيط على النحو التالي : "مجموعة معماريين ومصممين عمرانيين ومخططين تقوم برحلة في حافلة سياحية ، لاحظ كيف تحدد تصرفاتهم مدى وحجم اهتماماتهم : المعماريون سيلتقطون صوراً لمبان أو طرق أو جسور ، أما المصممون العمرانيون فسينتظرون تلك اللحظة التي تظهر فيها العناصر الثلاثه سوياً ، بينما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ينشغل المخططون بالحديث مع بعضهم البعض عن النظر من النافذة لما يدور حولهم ".[٣٠]

إن هذه جميعها قصص حقيقية وواقعية !

بعد خمسين سنة : الوضع الحالي للتصميم العمراني

مع انحسار الدعم والتأييد للتخطيط الاجتماعي و إزاحة إدارات تخطيط المدن من مواقع اتخاذ القرار في الإدارة المحلية للمدينه ، يبدو أن دور المصمم العمراني في القطاع العام قد قلص إلى مجرَّد التعامل مع قضايا الجمال وصياغة موجهات ومحددات التصميم . وإذا ما زودت هذه الإدارات بمعماريين ومحامين دون معرفة وتدريب في مجال التخطيط ، فان هؤلاء قد لا يمتلكون الحنكة والمعرفة ومن ثم يفشلون في التوفيق بين الألف مصمم . وقد قمت بعد خبرات عديدة من العمل كمعمارية ضمن موجهات التصميم العمراني التي كان المصممون الأخرون يعملون في إطارها بكتابة الواقع التالي :

عدم الوضوح في تعريف وتحديد الضوابط في مهمات التصميم المتداخلة على مستوى المدينة تقود إلى الارتباك .. كالمعماري المُحبَط لتصميمه مبنى مدنيا ومحاولته الاستجابة لموجهات تصميم عمراني طورت في الأصل لتصميم مبان مكتبية غفل المصممون العمرانيون فيها عن أخذ احتياجات المباني المدنية بالحسبان . أو ذاك المصمم العمراني الذي يحاول أن يبتكر تحسينات في ممرات المشاة لتلائم شارعاً جديداً للمرور ، و يواجه إشكالا مع الجهة المنوطة بإضاءه شوارع المدينة . أو المعماري الذي يصمم متحفاً ويحاول دون أدنى نجاح إقناع منسق المواقع الذي يقوم بتصميم الحديقة المقابلة بأن يأخذ في تصميمه احتياجات مدخل و فراغات المتحف بالحسبان . وعند العرض على لجنة مراجعة التصاميم يكتشف المعماري سئ الحظ أن الشخص الذي يتعامل معه ليس بمصمم عمراني متخصص في مجاله وإنما مجرد معماري فاشل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لا يوافق على المادة المختارة لأعمال التكسية (الرخام أو الحجر أو الألومنيوم الذي تُغطى به الجدران الخارجية -للمبنى) ويصر على اختيار نوع محدد من إنتاج مصنع بعينه وفقاً لذوقه الشخصي . أو أن موجهات التصميم تتطلب أن تكون كافة الشوارع مزدانة بصفوف من الأشجار ، ولا يلتفت لحجبها واجهات المحلات أو الإشارات أو اللوحات الإرشادية أو واجهات المباني التاريخية ؛ أو أن الضوابط تتطلب تخصيص ما مساحته ٢٥% من المشروع كفضاءات مفتوحة خضراء بغض النظر عن الموقع والشكل والوظيفة التي تخدمها - ويستبعدون من الاعتبار العديد من الساحات الأكثر متعه على مستوى العالم . وقد تتم ترسية مخططات البناء بالكامل على المعماريين في القطاع الخاص من قبل المصممين في القطاع العام دون العناية باحتياجات التصميم من الداخل إلى الخارج وبقدر ضئيل من الفهم للاحتياجات من الخارج إلى الداخل . (٣١)

ضوابط وموجهات التصميم قد تنقصها الحنكة فيما يخص التاريخ والنظريات ، لكن الأسواء بالنسبة للمصمم الذي يتعامل معها يكمن في افتقارها في الغالب لفهم المتطلبات الوظيفية لنوع المباني التي صيغت الموجهات من أجلها . ففي أحد المشروعات بمدينة بوسطن ألزمت الموجهات والضوابط الخروج ببناية كان دورها الأرضي عريضاً جداً كي يستجيب لمحددات الارتفاع وللمساحة المطلوبة ، مما يقضي بوجود عدد من الشقق في كل دور من دون نوافذ خارجية ، ولذا صرفنا النظر عن المشروع .

وخلال عملنا على المشاريع في عدد من الجامعات ، رأيت ، على سبيل المثال ، موجهات تصميم عمراني تحدد بناء معمل لعلوم الحياة على موقع شديد الانحدار وتظهر " مخططاً توضيحياً " لعدد من المباني المربعة المتصلة والمتدرجة ، مما لا يتيح إمكانية وضع المرافق والتجهيزات المطلوبة لإجراء البحوث الحديثة في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

علوم الحياة ضمن هذا المخطط . لقد وجدت أن مخططات الجامعات تتجه لتحديد الارتفاعات وعلاقات الكتل ببعضها ، وتحديد مواد البناء ، وخطوط الرؤيا والمناظر الطبيعية ، ولكنها نادراً ما تتعامل مع أنماط الأنشطة التي تتم في الحرم الجامعي و المدينة القريبة منه ، التي لا بد أن يقع فيها مشروعنا ، كما أنها في الغالب لا تتعامل مع أنماط حركة المشاة وسيارات الركاب والنقل الثقيل والتي يمكن أن تساعدنا على تحديد مداخل الأبنية . وحينما طلبت في إحدى المرات معلومات عن هذه المتغيرات ، أخبرت بـــ " أننا لا نقوم بهذه الأمور " . وكان بوب فنتوري يسمِّي تلك الموجِّهات بـــ " تجميل الحرم الجامعي " ، ويصفها بأنها مثل " زراعة نبتة البتونيا أمام مبنى الكلية " .

ولكنني كمخططة للحرم الجامعي ، عندما أقوم برسم المتغيرات ، وأنماط النشاطات التي يجب أن تؤخذ في الاعتبار وتوفِّر لمعماريي المشاريع الفردية البيانات التي يحتاجونها عن تخطيط وتصميم الجامعات ، يجيبونك بازدراء " إنك لا تستطيع أن تملي علىَّ ما تراه " ، ويبقى السؤال المطروح : كيف يمكن إقامة علاقة منسجمة وخلاقه بين المصمم والمدينة ؟

في عام ٢٠٠٤م ، بعد أن تمت مزاحمتنا واستبعادنا من عدة مشاريع كبيرة في المدينة من قبل حشد من الجماعات المتنافسه يحومون حولها كما النحل حول العسل ؛ كتبت حينئذ " صراع المصالح حول جرة العسل من المشاريع العمرانية إشكالية لا يمكن تدبيرها أو التحكم بها . أيمكن أن نجعل منها إشكالية خلاقه ؟ قد يكون ذلك ممكنا فقط في بعض الأحيان "[٣٢] ... في قصيده إيميلي فيرهارن بعنوان " السفينة " ، يغدو المعماري بحَّاراً في عاصفة عاتية ، فهو مجازاً :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الذي يقود السفينة بعكس اتجاه الرياح العاتيه..
ويشعر بها تتأرجح بين يديه ...
هائم في أتون الرعب والموت والهاويه ..
وفق النجوم والمشيئة والإراده..
متحديا بذلك القوى مجتمعه..
يبدو وكأنه نال الخلود !! [٣٣]

هذه هي النظرة المعمارية التقليدية للتخطيط العمراني العام . فالإشكاليات العمرانية ما هي إلا تحديات يتم " تطويعها " والسيطرة عليها . وكان أن أثارت هذه العبارة في الستينيات من القرن العشرين إحساسا بالامتعاض في أوساط المخططين الاجتماعيين ، ولكن حتى الأكثر حنكة ممن حضروا المؤتمر ــ تشارلز أبرامز مثلا ــ بدأ يشعر أن التنظيمات الفيدرالية المتعلقة بالتجديد العمراني قد هدَّأت الوضع وصوَّرت الإشكاليات العمرانية على إنها قابلة للتطويع بواسطة التخطيط .

وبعد خمسين سنة من العمل الدؤوب ، أصبحت أقل طموحا في أسلوبي وتوجهاتي . وأتساءل فيما إذا كان بإمكان المرء أن يكون على قدر أكبر أو أصغر من الوضوح في هذا اليمِّ المتلاطم الأمواج . " أيمكن لمعماري بحَّار صغير أن يدرك معنى الكل بجهده الذهني أم سيكون ذلك ضرباً من أوهام العظمة ؟ التساؤل الثاني هو الأقرب للاحتمال".[٣٤] ويرد في ذهني مبنى مركز التجارة العالمي .. من حيث إغفال بعض القضايا العمرانية وفشل إنتاج تصميم متسق برغم النوايا الحسنه واعتزاز المدينة بنهجها في المشاركة الديمقراطية . لربما كان هناك

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تصميم متسق ، لكني لم ألحظ مخططا للدور الأرضي للمشروع ، ولا مخططا لأنماط الأنشطة ونظم الحركة في المدينة مرتبطاً من حيث الفكرة باقتصاد المنطقة . لم تكن هناك تحليلات للأماكن التي يتحول عندها ركاب وسائط النقل المختلفة لمشاة ؛ ولم يكن هناك تفكير في كيفية ربط تلك الأماكن مع نمط الأنشطة والمباني ومداخل المباني المنفردة . فإن تكن هذه الأنماط في بناء المدينة غائبة عن تصميم المجمع ، فأنّى له أن ينجح؟

في عام ١٩٨٥ كتبت موجزة هذه المشاكل كالتالي : "يمكن للمصممين على اختلاف مستوياتهم أن يشعروا بأن لهم الحق في مشروع بعينه أو في منطقه عمرانية محدده. ويحدث الاضطراب والحيرة لقلة إلمام المعماريين في القطاعين العام والخاص بطبيعة وحدود دورهم ، وعدم تفهمهم للإجراءات القانونية والنظامية (أو في الحقيقة لقواعد اللعبة) المتبعة في عمليات التصميم العمراني المستمرة في المدينة". (٣٥)

باختصار ، لقد كان الألف مصمم موجودين هناك .. ولكن أين كان التنسيق والتحكم ؟ كما أضحت شبكة الأصول أضغاث أحلام . فجوهر القضية ليس فيما إذا كان مصمم المطور قد وضع حواجز أسمنتية تضر بالعامة أو تحجب الشمس عن مرتادي الحديقة اللذين اعتادوا التشمس فيها ؛ وانما في عدم وجود قدرة مضادة قويه بحد كاف ، ولا مخطط مدروس بشكل كاف ، ولا إجراءات داعمة بشكل كاف كي نحصل على منتج متوازن . لا بد من الاعتماد على حكم القانون عند الفصل في قضايا الاختصاص أو المفاوضة على مناطق السلطة والسيطرة ، ويجب على الإداره الحكومية (إدارة المدينة) ، بصفتها المخطط المفوض للجميع،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أن ترعى إيجاد طرق تعامل متماثلة ، " لكن الحكومة بدلاً من ذلك (هي هنا تتحدث عن الحكومات المحلية كالبلدية مثلاً) تكلف لجان مراجعه ، ما يعني تجاهلها للقضية وعدم استعدادها لإعادة التفكير في حل المشكلة . وفي كل الأحوال فان تجنب الإلزام غير المبرر وإضعاف الناحية الجمالية من جهة وانحلال القيم الجمالية من الناحية الأخرى ستتطلب من معدِّ الأنظمة المتعلقة بالنواحي الجمالية أن يكون بحكمة سليمان ." [٣٦]

لقد كانت كتاباتي منذ الستينيات بمثابة منبِّه للتطورات القادمة في مجال التصميم العمراني إلى حد ما . ومع أنني كنت أنتقد إلا إنني آمل أن تكون كتاباتي قد أوضحت بأني لم أقصد القول بأن التصميم العمراني مجال عديم القيمة ، ولكني أردت الإيحاء ، في ضوء صعوبته ، بأن لا بدَّ من تحسين ممارسته ليتسنى التعامل مع طبيعته المعقدة ، وليتمرس المصممون أكثر بالحياة الحضرية ، ويكتسبوا مبادىء ومعارف أكثر عمَّا كتب في مجال العمارة .

دليل للقلقين أو المُحبَطين

في وضعنا الحالي هناك شك ، سواء للأفضل أو للأسواء ، في عودة السلطات والصلاحيات التي كان يتطلع لها أعضاء المؤتمر - كتلك التي منحت لـــ : ايدموند بيكن مثلا . لهذا ، علينا أن نوجد طرقاً للعمل بالأدوات المتاحة لدينا.

لقد اقترحت عبر السنين لراكبي حصان السيرك ، والبحَّارة ، والحياديين ، وهم شخصياتي المجازية التي استخدمها في ممارستي للتصميم العمراني- قائمة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

معايير متعددة لنقلل الإساءة ونحسن الإبداع في توجيه التنمية العمرانية . إثنان من تلك القائمة الطويلة يرتبطان بما قلته هنا :

(الإرشادات التصميمية) يجب أن تكون محفزة وباعثة على الإبداع، لا إملائية ، وأن تتيح الفرص وتحثُّ على الاندفاع والحماس بدلاً من تضييق الخناق والحد من قدرة المصمم وإبداعة ، تشجِّع على التنوُّع والتباين في التكوين عوضا عن الإلزام بتكوينات محددة ، وأن توصل الصور الذهنية عبر الكلمات والرسوم ، فالرسم بالكلمات يتطلب كتابة شعرية وتلميحية . فالرسومات ينبغي ألا تبدو كالرسومات المعمارية ، بل أولية وأكثر حرية ومرونة كي يتسنى استكمالها من تخطيطات الآخرين . ومع ذلك ، ينبغي أن تفرق رسومات التصميم العمراني بوضوح بين نيَّة مُعلنة ، و رد فعل متوقع على التدخل العمراني من قبل إدارة المدينة ، و رؤية مطروحة ! وبالإضافة لشرح الطابع العام المرغوب فيه لمنطقه معينه يجب أن توضح الإرشادات التصميمية ما تقدمه المدينة أو تتطلبه ، وعليها أن تتوقع رد فعل القطاع الخاص المحتمل إزاء ما هو مُقدَّم أو مطلوب . فالحاجة لإيضاح الفعل ورد الفعل تتضمن مستوى من الحركية (وجود بعد حركي) في إعداد التصميم العمراني ، كما تتطلب القدرة على وصف ردود الفعل المتوقعة ، دون تصميم مبان محددة بعينها – وهذا ليس بالأمر العسير! [٣٧]

وبالنسبة للمعماريين قد يتطلب الأمر سيادة فلسفات أخرى عندما لا تتاح لهم الفرصة للتحكم في الأمور وضبطها : " وللتغلب على سلبيات أي انتصار باهظ الثمن ، فلا بد للمعماريين أن يكونوا على دراية بالأمور التي يمكن التحكم بها وبفن التعامل مع بعض ما لا يمكنهم التحكم به من الأمور، وأن يتشاركوا مع الآخرين في السلطة .... فالبحَّار حسن الفهم للقواعد والنظم والأدوار التي يمكن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أن يلعبها ، يمكن أحيانا أن يتحول إلى متزلج على الأمواج ، ويجد في المنظمة (أو الحكومة المحلية) قوة دافعه ، ربما تكون مؤقتة وهشَّه ، ولكنها تجعل الأشياء تتم وفقاً للمنطق (ويتساءل الجانب الآخر مني وهو المخطط ، " منطق من ؟") بالرغم من وجود الآلاف من المحيطين للمساعدة – حظاً سعيداً ، دانيال و نينا ليبسكند ."[٣٨]

تعليم التصميم العمراني في وقتنا الحاضر

حمل العام ١٩٥٦ معه الآمال بحدوث تحسن حقيقي في تعليم التصميم العمراني والتخطيط ومناقشة ما يمكن أن يحويه هذان المجالان . وفي الستينيات بلغ التحسن فيهما ذروته في أقسام التخطيط ضمن مدارس العمارة متخذا شكل نهضة فكرية كبيرة حول المدينة الاجتماعية والاقتصادية . وكان ذلك أقصى تحسن تم بلوغه ! ثم تلاشت القوة الدافعة لهذا التحسن حينما قل التمويل من واشنطن . ولكن حتى في ذلك الحين، ومع بذل جهود قصوى من جانب مدارس العمارة لتغطية كافة العوامل المعنية بالتنمية العمرانية بشكل مسئول ، بدا أننا لم نكن قادرين على تطوير برامج لتدريب مصممين عمرانيين مبدعين يتمتعون بمخزون فكري كاف .

قدم برنامج جامعة بنسلفانيا درجة الماجستير من سنتين في " التصميم المدني "، وذلك بضم المواد المطلوبة لدرجتي الماجستير في العمارة والتخطيط العمراني ، ودمج متطلبات أحدهما مع المواد الاختيارية من الآخر . وكان ذلك هو ما حاولت من خلاله مساعدة المعماريين الشبان في اكتساب معلومات غير معتادة لهم ، على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سبيل المثال في مجالات علم الاجتماع الحضري وتخطيط المواصلات، لكن هذا التعليم ، بكل الأسف والحزن ، لم يسفر عن كثير من التقدم في مجال التصميم العمراني الجيد ولا في مجال التطور الفكري في المجال نفسه . ربما لأنهم ، عندما دخلوا في البرنامج ، كانوا حديثي عهد بالعمارة وغير متمرسين في مجالها المهني . وحتى تدريبهم في مجال التصميم العمراني لم يضف كثيراً لخبرتهم ، كما أن المواد المقدمة من البرنامج المشترك كانت ضحلة بحيث لم تمكنهم من الفهم العميق لقضايا التخطيط العمراني . كما لم يتم صقل تدريبهم التخطيطي بشكل جيد ضمن هويتهم المعمارية ، وذلك بسبب ندرة المعلمين الماهرين في التفسير والشرح وإيصال المعلومة أمثال كرين .

أعتقد بأننا لا بدَّ أن نعترف بأن طريقتنا لم تكن بالمثلى لتعليم المصممين العمرانيين. وقد تدهورت أكثر حينما فقدت أقسام التخطيط ناشطيها و مفكريها الاجتماعيين ، وفقد المعماريون اهتمامهم بالقضايا الاجتماعية ، مما أبقى تدريب المصممين العمراني محصورا بشكل رئيس في مجال العمارة ، وأعتقد أن هذا هو السائد في وقتنا الحاضر.

نادراً ما نتعاقد مع شخص مؤهل في مجال التصميم العمراني في مكتبنا . فأنا أفضُّل المعماريين اللذين لديهم قدرات تعبير بصريه وبراعة في التحدث ، بالاضافه لثلاث أو أربع سنوات من الممارسة في مجال العمارة . عندها ، أقوم بتدريبهم في مجال التصميم العمراني ، ومع أن ذلك لا يمثل تدريباً متكاملاً في مجال التخطيط أو التصميم العمراني ، لكنه يكفي أعمالنا في تخطيط الجامعات والمشاريع الحضرية الكبيرة في مجال العمارة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هل التصميم العمراني مجال قائم بذاته؟

رؤيتي للتصميم العمراني أنه يفتقر لغطاء من التخصص ، والنظريات والمبادئ ، ومجموعة طرق العمل المعترف بها بشكل عام ، كما أنه يفتقر للتنظيم المؤسسي، والعدد الكبير من الممارسين ، ما يشكل بمجموعه " فرعاً من فروع المعرفة " . ولنقص هذه العناصر يلجأ المصممون العمرانيون لاستعارة قواعد وطرق وأفكار من العمارة، لكن ذلك لا يحدث إلا في وقت متأخر من اللعبة . وإن استعاروا ، فهم يستعيرون على المستوى النظري الأحدث من حركه ما بعد الحداثة مع كونه مبتذل ومستهلك – الكسوة القديمة للعمارة – وقبل ذلك كانوا يستعيرون من ميثاق أثينا ، كما يستعيرون نماذج من المدينة الأوربية . وعلى أي حال ، فان خصائص المدينة الأمريكية ، بمكامن القوة والضعف فيها ، نادراً ما تؤخذ كأساس للمصادقة على توصيات التصميم العمراني المعلنة من قبل القطاع العام ." [٣٩]

إنني لا أقرأ كثيراً في مجال التخطيط هذه الأيام ، ولكن عندما أنظر لتغطية التصميم العمراني في مجلات التخطيط ، أراه مقتصرا على التحضر الجديد – ترى .. ما قول جانز في ذلك ؟

ان ما قمت به انا وروبرت فنتوري من بحث في مجال العمران والتصميم العمراني يقع اليوم ضمن اهتمام المعماريين الشبان وطلاب مدارس العمارة في أوروبا والولايات المتحدة ، بما في ذلك البعض من جامعه هارفارد . انهم يدرسون أفكارناالعمرانية وبالذات تلك التي تخص مدينه لاس فيجاس . كما أن طلاب العمارة والأكاديميين المهتمين بمجال الاتصالات والخرائط العمرانية يرجعون

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لعملنا وأفكارنا حول الرمزية والنظم والأنماط العمرانية ، ولكننا لا نسمع من المصممين العمرانيين. في اعتقادي ، فان القليل من التشكيل الفلسفي في مجال التصميم العمراني ، كما أعرفه قد تم من قبل مصممين عمرانيين ، وذلك منذ كتابات ديفيد كرين ، واستمر هذا التشكيل الفلسفي لحين صياغة نظرية التصميم العمراني ، ولكن هذه المرة من قبل أشخاص لهم خلفيه معمارية . مثال ذلك عمل رم كولهاس ، ويشمل ما أنجزه في هارفارد ، والذي يتبع فيه نفس خطوات بحثنا في لاس فيجاس ، موثقا المكان بعد خمس وعشرين سنه ، ومستخدماً أيضاً طرق بحث مماثلة لما استخدمناه في العمران الأفريقي- من لاس فيجاس إلى لاجوس . في موضوع تأسيس و بناء التصميم العمراني ، يمكن أن يكون هناك فريق إنشاء جديد متاح للتصميم العمراني – انهم المختصون الجدد في مجال العمارة . فلقد شهد التعليم المعماري في العشرين سنه الماضية نمواً كبيراً في برامج الدكتوراه ، مع تأسيس فروع أكاديمية موازية للبرامج المهنية التقليدية . وحسب خبرتي ، فقد أضافت تلك الفروع النظرية بعدا عميقاً جدا على المجال المعرفي المعماري- لقد بنوا المجال و أسسوه . ترى .. كم من هؤلاء سيوجه اهتمامه للتصميم العمراني؟ .. هناك بوادر من هذا القبيل بدأت تظهر بين أوساط المعماريين الأكاديميين في أوروبا . وهنا يأتي دور كتاب الرسائل النشطين للمساهمة في بلورة مجال التصميم العمراني .

ماذا عن المستقبل ؟

لم يتحقق الكثير مما تكهن وبشَّر به مؤتمر ١٩٥٦م ، وكذلك تكهناتي لم تكن بأفضل حالاً من تكهنات المؤتمر . كان حريا بنا مناقشة ما كان من مستلزمات أساسية ، والخوض فيما هو مطلوب أساسا بدلاً من مناقشة الإتجاهات المحتملة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أو المأموله للتصميم العمراني . وتتمثل الصورة الايجابية التي يمكن استخلاصها لمستقبل التصميم العمراني في أنه :

- مجال واسع ومتقاطع مع العديد من المجالات الأخرى؛
- يبدأ العمل فيه من ركن الشارع حتى الإقليم بكامله وما يتعداه؛
- ذو مدد متفاوتة لمشاريعه ، أقصر وأطول من تلك التي تحتاجها المشاريع المعمارية ؛
- يشمل العديد من متخذي القرار، والمصممين ، والثقافات المتعددة ، يتطلب فهما لطرق اتخاذ القرار ولقيم الجماعات التي ينشرونها؛
- يخلق اتصالات وروابط متعددة على مستوى التكوينات العمرانية وعبر التخصصات المختلفة؛
- يقدم تعبيرات معقدة، تختلف عن تلك في مجال العمارة، لوصف التكوينات العمرانية. هذه التعابير المنتقاة من تعريفات كرين ، لنش ، نحن أنفسنا ، وآخرين، تعرِّف وتجمع التكوينات العمرانية بطرق مختلفة تتعلق بالمقياس والموضوع ذاته ؛
- يتطلب فهماً للتنظيم الإداري المحلي والأدوار العديدة المتاحة للمصمم العمراني ضمن هذا التنظيم؛
- ويشتمل على جدل وحوار حول كل الأشياء ــ من المساواة وحتى الأيقونات والأشكال الرمزية- ونأمل أن يكون جدلاً وحواراً ودياً .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لا بدَّ أن يعمل التصميم العمراني على التوفيق بين احتياجات المستعملين للمباني وعامة السكان . فالفراغات الخارجية للمبنى لم تصمم لمجرد النظر إليها ، كما أن الفراغات الداخلية ليست من اختصاص ملاكها وحدهم . تقاطع الفراغات الداخلية والخارجية هو مكان اهتمام كل فرد في المجتمع ، فالأمر أكثر من مجرد ناحية جمالية ؛ ولابد أن يحل الفرد والجماعة بعض العوامل المتضادة أحياناً ضمن احتياجاتهم من خلال التصميم العمراني .

كيفية إعداد وتهيئة الناس لتقبل هذه المهنة الصعبة كان محل اهتمام المشاركين الأساسيين في المؤتمر ، كما أنه مثل حلقة الوصل في هذه المقالة . وبالرغم من نقدي لبرنامج التصميم العمراني في جامعة بنسلفانيا ، فإنني لا أزال أعتقد أن أفضل طريقة لتدريب المصممين العمرانيين هو أن تضعهم ضمن برنامج قوى في تدريس العمارة ، وعند ذلك تعرضهم "لضغط خلاق وشديد التوتر .. في قسم تخطيط عمراني ذي قاعدة علوم اجتماعيه تأخذ بمبدأ الشك والانتقاد ." [٤٠]

أعتقد أن طريقه كرين في التدريس التي تعلمها في هارفارد وطريقته في تدريس الأستوديو ، وطريقتنا التي تطورت من طريقته جيدتان لإبقاء التركيز قائما على الجوانب التصميمية في التصميم العمراني ، وإبعاد المصممين عن إهمال المحتوى الاجتماعي الشامل ، وهو محتوى هام لهم خلال الممارسة ، ومحوري في تطوير مجال التصميم العمراني . وهنا في ذهني ربما اثني عشر من الاستوديوهات الممتعة التي تنطوي على أبحاث ملهمة تستحوذ على اهتمام الطلاب وفي نفس الوقت تتعامل مع القضايا التي وصفتها سابقاً. البعض من هذه الأستوديوهات يعتمد على نماذج عمرانية شاهدتها حديثاً في مجتمعات أخرى ، كنموذج بيت

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الليولنج وحدائق العلماء في شنغهاي . ولكني أود أيضاً أن أقوم بدراسة تحليليه وتصميميه لمباني ومواقع النظام الصناعي المهجور التي تتبع خطوط القطار الرئيسة في فيلادلفيا ، أو دراسة إقليميه لـــ " الأراضي الصناعية المهجورة " في ولايتي بنسلفانيا ونيوجيرسي لمعرفة ما هي الأفكار التي يمكن تطويرها لإعادة استغلال تلك الأراضي المهجورة آخذين في الاعتبار المحيط الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والبيئي لكل منها .

وينبغي في هذه الأستوديوهات أن توفر للمصممين الطموحين الفرصة لتعميق معرفتهم في المجال الذي يعشقونه – مثلما فعلت أنا في لاس فيجاس . هناك العديد من الطرق لرعاية وتطوير المحبة أو الشغف في شئ أو مجال ما . وقد يشكل الإهتمام بالأراضي الصناعية المهجورة جزئياً مصدرا لظهور المشاكل ، ولكنها مشاكل من النوع الذي يمكن تحويله إلى شئ جيد وجميل . وكما يقول ممفورد في مؤتمر ١٩٥٦" إبدأ من الخصائص الحميمة للمجتمعات كشيء لا بد أن تتم المحافظة عليه بكافه الوسائل المتاحة ؛ ومن ثمَّ ابحث عن التكوينات الحديثة المماثلة لها والمجدية اقتصادياً كي تكون متاحة لأصحاب المحلات والسكان الآخرين ."[٤١] فحل المشكلة بالنسبة لممفورد لا بد أن ينبع من الواقع (المتواضع) للمشكلة ، وأضيف بأن مهمتنا هي استخلاص القوة والمنفعة والجمال من ذلك الواقع المتواضع .. وكلما عظمت المشكلة ، زادت الفرصة في خلق جمال (حقيقي) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ملاحظات

١- ``Urban Design,`` Progressive Architecture, August1956,101.

٢- المرجع السابق ، ١٠٤

٣- المرجع السابق ، ١٠٨

٤- المرجع السابق ، ١٠٦

٥- المرجع السابق ، ١١٠-١١١

٦- المرجع السابق ، ١٠٤

٧- المرجع السابق ، ١٠١

٨- المرجع السابق ، ١٠٠-١٠١

٩- المرجع السابق ، ١٠٠.٩٩

١٠- المرجع السابق ، ٩٩

١١- المرجع السابق ، ١٠٥

١٢- المرجع السابق ، ١٠٧

١٣- كونت استنتاجاتي عن المتحدثين المختلفين من قراءة وثائق المؤتمر التي سبق أن تم فرزها وتحريرها . ومن المحتمل أن بعض الفجوات التي أشرت لها ربما تكون ناتجة من التحرير.

١٤- سبق أن كتبت عن الأفكار وطرق التعليم لما أعتبره مدرسة فيلادلفيا الحقيقية في ``Paralipomena in Urban Design`` (1989), Urban Concepts: Denise Scott Brown (London: Academy Editions, 1990) , and in`` Between Three Stools: A Personal view of Urban Design Practice and pedagogy,`` Education for Urban Design (Purchase, NY: Institute for Urban Design, 1982),132-172 ,
أعيدت طباعتها في Urban Concepts. المدى الواسع لما كتب في مجال التصميم العمراني عنا ومن قبلنا موجود في قائمة مراجع في موقع مكتبنا على الإنترنت : <www.vsba.com>

١٥- ``Urban Design,``100-101.

١٦- ``The Public Realm, the Public Sector and the Public Interest in Urban Design, ``a paper presented for a symposium, `` The Public Realm: Architecture and Socity,``1985, at the College of Architecture of the University of Kentucky.
وسعت ونشرت في Urban Concepts

١٧- Peter Shedd Reed, ``Towards Form : Louis l.kahn``s Urban Designs for Philadelphia,1939-1962
Philadelphia: Fisher Fine Arts Library, University of Pennsylvania, April 1989,passim.
رسالة دكتوراه غير منشورة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

-١٨ Walter lsard, Location and Space Economy: A General Theory Relating to I Theory Relating to Industrial Location , Market Areas, Land-Use, Trade, and Urban Structure (Cambridge : MIT Press, 1956).

-١٩ Patrick Geddes n India, Jacqueline Tyrwhitt, ed.(extracts from official reports on Indian cities, 1915-1919)(London: Lund,Humphries,1947).

-٢٠ ``The Meaningful City,`` Journal of the American Institute of Architects, January 1965,27-32, reprinted in Harvard's Connection, Spring 1967.

-٢١ Kevin Lynch, `` Environmental Adaptability, `` AIP Journal 1(1958).

-٢٢ David A. Crane, ``The City Sumbolic,`` Journal of the American Institute of Planners, May 1960,32-39. `` Chandigarh Reconsidered : The Dynamic City, ``Journal of the American Institute of Planners, November 1960,280-292.

-٢٣ Denise Scott Brown,`` Learning from Brutalism, ``The Independent Group: Postwar Britain and the Aesthetics of Plenty, David Robbins, ed.
(Cambridge, MA: The MIT Press, 1990),203-206.

-٢٤ ``Between Three Stools,`` and ``Team10, Perspecta 10, and the Present State of Architectural Theory,`` Journal of the American Institute of Planners, January 1967,42-50.

-٢٥ Robert Venturi, Complexity and Contradiction in Architecture (New York: Museum of Modem Art and Graham Foundation , 1966).

-٢٦ Robert Venturi, Denise Scott Brown , and Steven Izenour, التصميم Learning from Las Vegas,(Cambridge, MA : MIT Press , 1972 , rev. edition 1977).

-٢٧ Complexity and Contradiction in Architecture. Learning from Las Vegas, ``
On Architectural Formalism and Social Concern : A discourse

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

for Socia
l Planners and Radical Chic Architects ,`` Oppositions 5, Summer 1976,99-112,``On Pop Art, Permissiveness and Planning,`` Journal of the American Institute of Planners, May 1969,184-186.

-٢٨ Robert Venturi and Denise Scott Brown, Architecture as Signs and Systems: For a Mannerist Time (Cambridge, MA : Belknap Press of Harvard University Press, 2004), 103-217.

-٢٩ ``Between Three Stools,``19.

-٣٠ المرجع السابق،١٩.

-٣١ ``The Public Realm,The Public Sector and the Public Interest in Urban Design,`` Urban Concepts: Denise Scott Brown, 28 .

أنظر أيضاً ``With the Best Intentions: On Design Review,`` Harvard Design Magazine, Winter/ Spring 1999,37-42.

-٣٢ Architecture as Signs and Systems: For a Mannerist Time, 216.

-٣٣ The Oxford Book Of French Verse, St. John Lucas,ed. (London: Oxford University Press, 1907; rev. 1957), 516-517. My rough translation.

-٣٤ Architecture as Signs and Systems, 216.

-٣٥ ``The Public Realm, the Public Sector and the Public Interest in UrbanDesign,``28.

-٣٦ المرجع السابق ،٢٨.

-٣٧ ``With the Best Intentions,``42.

-٣٨ Architecture as Signs and Systems, 216.

-٣٩ ``The Public Realm, the Public Sector and the Public Interest in Urban Design,``28.

-٤٠ ``Between Three Stools,``20.

-٤١ ``Urban Design,``103.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التفتيت والإختلاف(في وجهات النظر) كتهديدات عمرانيَّة: مدينة ما بعد ١٩٥٦م

فوميهيكو ماكي

بناية موري ، مرتفعات روبونجي ، طوكيو ، اليابان، ٢٠٠٣

Copyright, Mori Buliding/ courtesy, Maki+Associates.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التساؤل المطروح يدور حول ماهية تلك القضايا التي جرت مناقشتها في مؤتمر هارفارد الأول للتصميم العمراني قبل خمسين سنه مضت ولا تزال حاضرة بيننا بذات الزخم والأهمية .. ترى ، ما هي مظاهر تداعيات استمرارها وتجليَّاتها في أوضاعنا الحاضرة ؟

إجابتي على هذا التساؤل ستكون من وجهة نظر شخص ولد وتربى في مدينة طوكيو ويمارس العمارة فيها. وفي نفس الوقت لا يمكن لي أو لأي مجتمع محلي أو دولة الفكاك من العولمة أو تجنُّب تأثيراتها التي طالت السياسة والاقتصاد وكافة مناشط الحياة . لقد تشكلت بذلك علاقات جديدة متبادلة ، بات فيها وجود أكثر من مائة مطعم سوشى (من المطبخ الياباني) في منهاتن أو ازدهار حركة بيع في ضواحي طوكيو لبيوت ذات طابع معماري إسباني ساد أمريكا في فترة الهيمنة الإسبانية على أمريكا من الأمور العادية التي لا تثير الإستغراب . وأضحى فهمنا وإدراكنا للواقع الاجتماعي والمادي في طوكيو لا يمكن أن يتم بغير المقارنة والتحليل لظواهر مشابهة في المدن الكبرى في الولايات المتحدة وأوربا وآسيا . كما أننا نلج الآن حقبة بات فيها وجود وجهتي نظر على الأقل – إحداها محلية والأخرى عالمية- يشكل ضرورة حتمية للدراسات العمرانية مثلها مثل الانثروبولوجيا الثقافية. والفقرة التي تلي هنا ، كمقدمة، مقتبسة من التمهيد لكتاب "المدن غير المكتملة" لـــ يوسوك هيرایاما ، وهو كاتب ياباني في مجال التحضر. يحدد هيرایاما هنا حالة عامة تشترك بها المدن المعاصرة وذلك عبر تحليل عمليات إعادة إعمار منفصلة عن بعضها البعض عاشتها ثلاث مدن بعد معاناتها دماراً جزئياً أو كاملاً : مدينة كوبي اليابانية بعد زلزال ١٩٩٥م، ومناطق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

منهاتن السفلى السكنية على مدى العقود المتعددة الماضية ، وشرق وغرب برلين خلال إعادة توحيدهما بعد ١٩٨٩م .

تفتح المدينة المدمرة باب المنافسة على مصراعيه ، وهنا يثار التساؤل عمَّا سيتم تعميره ، ومن الذي سيقوم بأعمال البناء والإعمار ، ومن المستفيد من هذا الإعمار والغرض منه ما يؤدي لظهور علاقات تنافسية على الصعيد السياسي والاجتماعي ؛ فالأرض التي كان يرتفع عليه فيما مضى مبنى ما دُمِّرَ وتمَّت إزالته ليست بعذراء ما يثير سلسلة تساؤلات من نوع : من يملك هذا المكان ؟ وماذا سيتم إنشاؤه هنا ؟ وبماذا سيسهم الإنشاء الجديد ؟ .. سلسلة تساؤلات باعثة على الاحتكاك والإنشقاق والصدام والتحدي .. والتعقيد والتناقض .

ففي أي تجربة لـ " الدمار و/ الإعمار " يثار السؤال : كيف يمكن في بيئة عمل تنافسية احترام وجهات النظر المتعددة والمختلفة ؟ ذلك أن التركيز على أي اتجاه، وتحديداً في ضوء عدم اكتمال المدينة سيثير نوعا من الإنشقاق والصدام والتحدي ؛ ما يفتح بدوره إمكانات وفرص جديدة . فإذا ما كان وجود أعداد كبيرة من الناس يعتبر حالة ضرورية لتشكُّل المدينة ، عندئذ يكون لجميع الأشخاص ، في جو المنافسة والتحدي هذا ، الحق في أن يُستمَع لوجهة نظرهم، فتقبل وجهات النظر المختلفة يعتبر من الخصائص المميزة للمدينة . [١]

وبعد مضي نصف قرن على الصورة التي رسمتها مجموعة سيام للمدينة الفاضلة ضمن ميثاق أثينا ، ها نحن أمام صورة عمرانية أخرى .. أكثر تعقيداً وتناقضاً !

ميراث مؤتمر ١٩٥٦ للتصميم العمراني

في عام ١٩٥٢ غادرت اليابان ، التي ما تزال تعاني تأثيرات الحرب العالمية الثانية، للدراسة في الولايات المتحدة الأمريكية .وبعد أربع سنوات من ذلك التاريخ- وكنت لا أزال طالباً في برنامج الدراسات العليا في هارفارد ، حضرت المؤتمر الأول للتصميم العمراني ، وتمكنت من المشاركة في عدد من المؤتمرات السنوية اللاحقة ، ولكن مؤتمر ١٩٥٦ ترك الانطباع الأكثر عمقا في نفسي.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

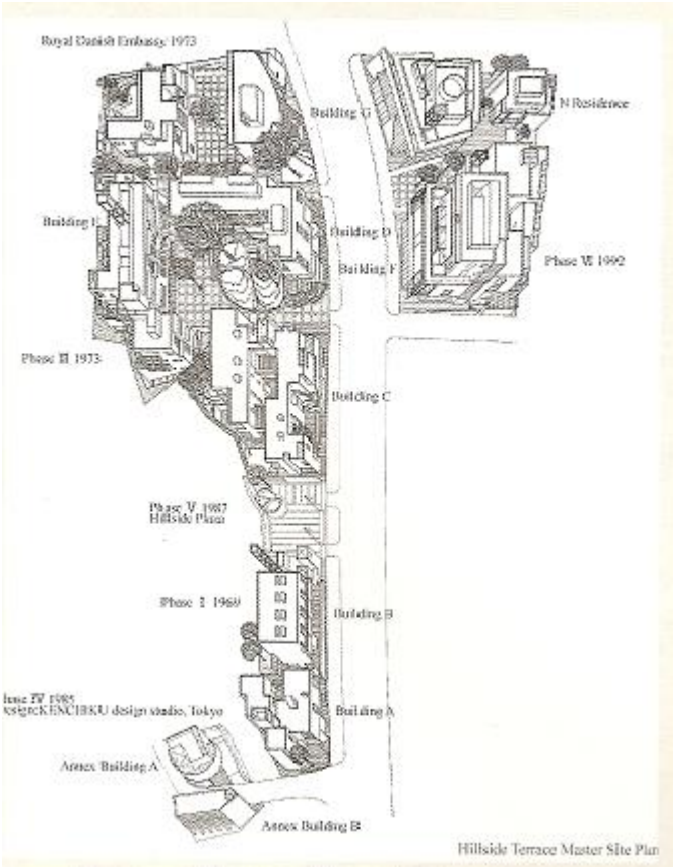

ماكي ومشاركوه ، مخطط مجمع هيل سايد تيراس ، شيبويا ، توكيو ، اليابان ١٩٩٢

المصدر : النسخة الانجليزيه ، ص ٤٦. Courtesy , Maki + Associates

أحد الأسباب كَمُنَ في الجو البهيج للمؤتمر وحضور قادة الفكر في العمارة والتصميم العمراني مثل ريتشارد نيوترا ، والسبب الآخر في الشعور المشترك في أوساط الجميع بأننا بحضورنا للمؤتمر الأول من نوعه في الولايات المتحدة فإنما كنا على الأرجح نشارك في حدث بالغ الأهمية . لقد انبهرت بنداء جين جيكوبز

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العاطفي نيابة عن مناطق الأحياء المهددة في نيويورك، وبحيوية ونشاط نحيل الجسم إدموند بيكن وهو يشرح مخطط تطوير فيلادلفيا .

إن لمؤتمر ١٩٥٦ أهمية تاريخية بالغة :

١- ففيه استخدم تعبير "تصميم عمراني" بشكل مكثَّف للمرة الأولى ، وجرى الاعتراف به كمجال هام يضم تخصصات متعددة ويركز على تشكيل الفضاءات العمرانية بأبعادها الثلاثة ، وليدرج بعد ذلك بفترة قصيرة في برامج الدراسات العليا لعدد من المؤسسات التعليمية .

٢- مثَّل المؤتمر فرصة ممتازة للمضيف خوزية لوي سيرت كي ينقل للولايات المتحدة الأسس الفكرية والمهنية لمجموعة سيام التي رأسها والتي كانت حينئذ مهددة بالانقسام والانحلال ، كما خلق المؤتمر الفرصة لتبادل الأفكار بين فريق العشرة الذي يمثل جيل ما بعد سيام والأكاديميين الأمريكيين . وقبلت برامج التصميم العمراني الجديدة في الجامعات الكثير من الطلبة ، ليس فقط من أوروبا ، ولكن أيضاً من آسيا وأمريكا الجنوبية والشرق الأوسط ، وبادرهؤلاء بعد عودتهم لبلدانهم إلى تأسيس مراكز دراسية في هذا المجال . كما أن تطوّر علاقات دائمة بين هذه الجامعات عبر المؤتمرات المشتركة أمر يستحق الإشادة؛ أضف إلى ذلك أن استخدام المدينة التي تقع فيها المؤسسة المضيفة كموضوع لحلقات النقاش قدَّم للطلبة منظورا إضافياً جديداً للتصميم العمراني .

٣- شهدت خمسينيات القرن الماضي تفاعلاً وتواصلاً نشطاً في الولايات المتحدة بين الأكاديميين والمعماريين ومخططي المدن والإداريين والمطورين العقاريين. وقد أدى تراجع سياسات الإسكان العام التي كانت متبعة منذ برنامج الاتفاق أو

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الصفقة الجديدة New Deal ، والطفرة الهائلة في أعداد المواليد في أمريكا عقب الحرب العالمية الثانية مباشرة والمد الواسع للضواحي ، وتدفق المهاجرين نحو أواسط المدن إلى إعادة تقويم شامل للإشكاليات العمرانية .

ومن بين القضايا التي عمل مؤتمر ١٩٥٦ على تسليط الضوء عليها قضيتان من المفيد مناقشتهما اليوم ، وهما : أهمية المنطقة المركزية في المدينة وأهمية المجتمع ، لا أقصد هنا "إحياء المنطقة المركزية" و "بناء وتعزيز الروح الجماعية" ، لأن إمكانية لابل والحكمة من وراء ذلك إعادة إحياء المنطقة المركزية وتعزيز التوافقية والإنسجام الجماعي أصبحتا محل تساؤلات وشكوك في يومنا هذا . مردّها الاشكاليات والتي أثيرت لهما بالفعل في مؤتمر ١٩٥٦. مثل اشكالية تزايد عدم المساواة بين سكان المدن و اشكالية تأثير السيارة في أسلوب التحضر .

ثورة مايو وسقوط جدار برلين

هذان الحدثان كانا مفاجئين وسريعين ــ أحدهما في نهاية الستينيات والآخر في نهاية الثمانينيات من القرن العشرين الميلادي ، وعملا على إحداث تطورات وتحولات هامة في الأفكار وفي ممارسة التصميم العمراني ، إذ أجبرت ردود الحرب في فيتنام ، والحركات الطلابية في جميع أنحاء العالم ، وثورة مايو في باريس كثيراً من الناس على إعادة النظر في النظم الاجتماعية والأفكار السائدة .. وكان في ذلك الوقت – العام ١٩٦٥ تحديداً - عندما غادرت الحياة الجامعية في الولايات المتحدة وباشرت ممارسة عملي في مجال التصميم العمراني في طوكيو .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وبعد ذلك بسنتين ، حينما عدت إلى مدرسة الدراسات العليا في التصميم كأستاذ زائر ، واجهتني طرق تفكير مختلفة تماماً من الطلاب ، حيث رفض الطلاب البرنامج الذي أعددناه مسبقاً وأصرُّوا على أن يبدأ العمل في تطوير مقترح مشترك لبرنامج ماجستير العمارة ذاته . ومع أنهم كانوا يدفعون رسوماً دراسية عالية ، إلا أنهم تبنَّوا موقفاً يرى بأن إجراء مناقشات مكثفة حول قضايا معاصرة في التصميم العمراني يعد أكثر أهمية من إكتساب مهارات في المجال نفسه. دعونا نستحضر ونستعيد مقالة هيرايامًا "للجميع الحق في سماع وجهة نظرهم في أجواء من المنافسة ، فتقبل وجهات النظر المختلفة هي الخاصية المميزة للمدينة ." وقد كانت الأستديوهات الجامعية في الستينيات نموذجاً لما يصفه هيرايامًا هنا بـــ" أجواء المنافسة ." فمنذ الحادي عشر من سبتمبر ، أوضحت لنا عملية إعادة بناء وإعمار قلب مدينة نيويورك بشكل حي طبيعة المشروع الذي تختلف حوله وجهات النظر وما تمثله حقيقة هذا الاختلاف.

لقد ساعدت مشاركة عدد كبير من الناس ذوى الآراء والاتجاهات المختلفة في إيجاد تحول كبير في فهمنا للمدينة في الستينيات من القرن العشرين الميلادي . و تزامن ذلك مع الأفول التدريجي للصورة الحضرية- الذاكرة الجمعية (تجارب وجماليات وابداعات المجتمع) وفهم أسباب ظهور المدن باشكالها الحالية- وبخاصة في المدن الكبرى . وقد عجَّل أفول المعنى في تحول المدينة عملياً إلى أشياء مجردة. واليوم فان كل ساكن من سكان المدينة الكبرى لديه صورة ذهنية خاصة لها ، بدءا ببيئتهم القريبة ، ثم للأماكن التي يرتادونها باستمرار. كما أن الصورة العامة المجردة وغير الواضحة للمدينة الكبيرة ، المكتسبة من خلال وسائل الأعلام ، تطفو عفوياً فوق الصورة الجماعية لدى السكان .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

توافق ظهور كتاب كيفن لينش صورة المدينة **في عام ١٩٦٠ مع التجريد المتنامي في تشكيل المدينة . وكنت ضمن أولئك اللذين رحبوا بطباعه تلك الدراسة التي تمثل طريقة جديدة لفهم واستيعاب تشكل المدينة ، ولكنها أيضاً أذنت بل وساهمت بتحول المدينة إلى مجرد إشارات لا أكثر . واليوم أصبح البعد الزماني والمكاني للأنشطة اليومية عند معظم الناس يتسم بضحالة غير مسبوقة، فالمدينة تبدو وليدة اللحظة وتفتقد للعمق التاريخي .**

الشبكة ذات المراكز المتعددة ، التي اقترحها كل من لينش ولويد ردوين - زميله في معهد ماساشوستس للتقنية ، كنموذج لمدينه المستقبل القريب ، أصبحت اليوم النمط الواقعي لكثير من المدن الكبرى .[٣] هذه المراكز ، التي تستجيب لظواهر إجتماعية- سياسية أو عرقيه محددة ، ليست بمناطق مركزية ، فهي لا تعدو أكثر من بدائل يمكن للسكان الذين يعيشون بطرق حياة مختلفة الاختيار من بينها ؛ كما أن تشكيلاتها العمرانية متعددة ومختلفة .

وماذا عن المجتمع العمراني ــ هل لا زال موجوداً ؟ .. ذاك النموذج العمراني الذي كنا نتشاركه بغير ما وعي قبل خمسين سنه ــ مجموعة متوافقة ومتزنة من الأماكن المتمركزة حول المساكن وخدمات الحي - آخذ الآن في الاختفاء بسبب ظواهر الحراك الجغرافي المستمر لسكان الحضر ، وعدم المساواة المتنامي بين المواطنين الذي يغذى هذا الحراك ، والتعامل المتزايد مع الأرض كمجرد سلعة .. وجاء سقوط جدار برلين في نهاية الثمانينيات ليعجل من تلك الظواهر ، وبخاصة تحول المدن إلى سلع قابلة للتسويق في مختلف أرجاء العالم خصوصا بعد تطوُر مفهوم السلعة التي لم تعد تقتصر على المادة الغذائية بل أصبحت تشمل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المدن بكافة مرافقها وخدماتها .. فهدم جدار برلين أعطى للناس في الأقاليم المحيطة به حريات جديدة ، إلا أن إلغاء شبكة الأمان التي كانت توفرها الدولة الاشتراكية أذكى أيضاً الإنتقال المفاجئ لرأس المال والمعلومات والأماني والرغبات إلى ما وراء الحدود الدولية ، كما أن سقوط وتفتّت الاتحاد السوفيتي ــ المفترض آنذاك بأنه العدو اللدود للغرب ، تسبب في تحرير الاقتصاد الصيني وقاد إلى تغير مفاجئ في توازن السوق الدولية .

تاريخياً ، كانت المدينة عبارة عن وحدة عضويه يقطنها أناس من شتَّى المنابت والأصول . إلا أن الناس من الأصول المتماثلة نسبيا يميلون بشكل طبيعي لتكوين جماعات مميزه يسهمون من خلالها في بقاء وإثراء المدينة ككل ، وتجمّعهم على هذا النحو هو ما يمكن تسميته بـــ "التمنطق" في مناطق خاصة بهم ، تستمر المدينة فيه متوازنةً طالما بقي الاتزان قائماً بين المناطق المختلفة وقل الإحتكاك والتشاحن على تخومها !

فديناميكية الاحتكاك يمكنها أن تقوِّض المناطق الحضرية والجماعات التي تتعرض لها . فالمنطقة المحيطة بمركز مدينه فلادلفيا ، التي تحدث عنها بـــيكن بحمـــاس بالغ في مؤتمر١٩٥٦م ، في وضع سيئ ، وهي من بين المناطق الأكثر تـــدهوراً في أمريكا اليوم ، وذات الإشكالية موجودة في ديترويت ولوس أنجلوس . مـــع ذلك نرى في الوقت نفسه المجمعات المسورة ذات البوابات آخذة فـــي التوســـع والامتداد في المدن على المستوى الوطني .

ويعتبر إعطاء المدينة شكلها العمراني وصيانة هذا التشكيل من المهارات الأساسية للمصممين العمرانيين ، وهي مهارات قابلة للتطبيق فقط في حال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اشتراك السكان الحضر بخصائص معينة يندر وجودها في مجتمعنا الحاضر بسبب التباين الهائل في ظروف واحتياجات كل منا عن الآخرين .. فالمهارة القابلة للتطبيق في وضع معين لا تصلح لوضع آخر مختلف . وهذا ينطبق أيضا على المدن اليابانية وهو ما سأناقشه بمزيد من التفصيل . أنا أرى أن مدن سنغافورة في آسيا وربما كوبنهاجن و برشلونة من بين المدن الأوربية هن الوحيدات اللائى يشكلن أمثلة لمدن ناجحة . وإذا ما أخذنا في الحسبان توسُّع الإتحاد الأوروبي ، وازدياد الحركة السكانية بين المدن والأقاليم وتعميق الهوة التعليمية بين الفئات السكانية ، وتنقلات العمال بين أسواق العمل العالمية ، فسوف يتعذر تحقيق مجتمعات مستدامة حتى على المدن الأوربية الناجحة .

يقابل ذلك المدن المهولة ذات المقياس المختلف كلياً في البلدان النامية والمقسمة بين بلدان غنية وأخرى فقيرة ! ثم هناك شنغهاي ، المدينة ذات الستة عشر مليون نسمة، والتي يعتمد نموها الهائل على عمالة ريفية مستوردة للمدينة لا تتمتع بنفس الحقوق التي يتمتع بها السكان الآخرون.

ومن الجهة الأخرى ، قادت الزيادة الكبيرة لتركز رأس المال إلى تنمية مشوهة بشكل متزايد مثل ناطحة السحاب بارتفاع ألف متر في دبي .. وهو ما يمكن اعتباره خلايا غير مألوفة تدمر المدينة بتركيزها غير الطبيعي لذات متطلبات السوق (من مكاتب أومتاجر أو فنادق) في موقع واحد ، ذلك أن الاستثمار الكبير جداً لرأس المال في أماكن أقل فيها معنى المدينة إلى درجة الصفر ينتج رؤى مهووسة لمدن شبيهة بمدن الخيال العلمي ، مما يعتبر تسطيحا للأهداف التي سعت إليها مؤتمرات التصميم العمراني .. ولأن كان هدف التصميم العمراني منذ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خمسين سنة مضت إيجاد فراغات متوازنة بين مركز المدينة والجماعات التي تعيش فيها ، تأتي مثل هذه الظواهر العمرانية لتمسخ تلك الجهود !

إيجابيات وسلبيات التصميم العمراني في طوكيو

ربما تكون مورفولوجية طوكيو نادرة بين الحواضر الكبرى : فهي تشبه لوحة الموزاييك، حيث القطع منفردة ، صغيرة جداً ومختلفة عن بعضها ، وما يصلها ببعضها خفي وغير مرئي . ولا توجد حاضرة كبيرة أخرى في العالم بحجمها يمكنها الإبقاء على توازنها مع هذا النوع من التكوين. إنها القطب المعاكس للمدينة المثالية ذات النمط الواضح التي نادى بها ميثاق أثينا .

كيف أتى هذا النوع من الحاضرة الكبرى إلى الوجود ؟ تنظيم طوكيو تشكل من خلال الإضافات وإعادات الأعمار المتعاقبة على مدى مائة وخمسين سنة من التحديث ، ويظهر هنا مدى تأثير العوامل الخارجية (بما فيها الكوارث) في الخروج بنمط معقد يستند بشكل رئيس إلى عامل الطوبوغرافيا .

واليابان واحدة من الدول الحديثة القلائل التي نجحت في تحقيق مجتمع قليل الفروق نسبياً بين الأغنياء والفقراء ، مع أنها تحظى بثاني أكبر اقتصاد في العالم. إذ أمكن من خلال التناسق العرقي والديني والاجتماعي تحقيق حالة من التفرد لا احتكاك بين طبقاتها . ففي المجتمعات التي تتسع فيها الفجوة بين الأغنياء والفقراء ، تكون التقسيمات المكانية فيها كبيرة للتقليل من الاحتكاكات الحدودية ، كما في المدن الأمريكية التي تعتبر مثالا جيدا في هذا الصدد .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

خاصية نادرة أخرى تتميز بها حاضرة طوكيو وهي اقترابها جدا من النموذج العمراني المقترح من قبل لينش ورودوين : المدينة ذات المراكز المتعددة. لكن في ضوء امتدادها الحضري (أفقيا) لم يعد التفريق الكلاسيكي المتعارف عليه بين المركز والضاحية (تركيبها الداخلي) واضحاً ، فالحضرية منتشرة في كل مكان بحيث يصعب تحديد مركز لها (لامركزية في العيش والعمل ، وفسيفساء اجتماعية وثقافية تضم المراكز والضواحي معاً) ، فالمراكز العديدة داخل المدينة مربوطة بنظام مترو أنفاق وقطارات كهربائية سريعة لا يماثله أي نظام في العالم من حيث كفاءة التشغيل ، والالتزام بالوقت ، والنظافة ، و الأمان وتوفير الخدمات. وهذه البنية التحتية هي التي تجعل العديد من معالم طوكيو وكأنها وحدات منسجمة وكلٌ متناسق برغم التباينات .

هذه الخصائص تمثل الجانب الإيجابي للتصميم العمراني في طوكيو ، فماذا عن الجوانب السلبية ؟ أولاً : صاحب مسيرة التحديث لدى جميع المدن اليابانية تقريباً بما فيها طوكيو فشل ذريع من الناحية العملية في تطوير بنية إسكانية حضرية. فقد تشاهد العديد من البنايات الفردية الممتازة والشيقة ، لكنها تبقى في معظمها حالات منفردة لا تسهم في تلبية الاحتياجات الأساسية للأفراد أو المجتمعات أو الأجيال القادمة ومع أن اليابانيين يعيشون مدة أطول من الشعوب الأخرى في العالم ، لكنهم ينجبون عددا أقل من الأطفال ، مما يقود إلى نقص في عدد السكان وفائض في الإسكان ، كذلك الأمر بالنسبة للضواحي التي كانت فيما مضى مزدهرة، لكنها اليوم تعاني تقادم الزمن عليها وسوء الأوضاع والهجران وبخاصة التي لم تكن موفقة في اختيار مواقعها .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

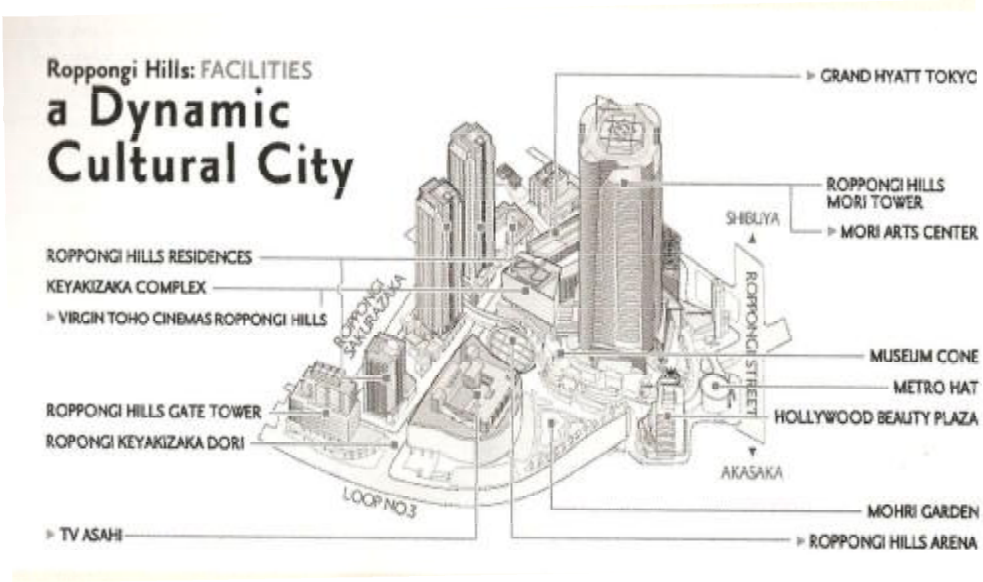

تلال روبونجي(هيلز) ، طوكيو ، اليابان ،٢٠٠٣ .

المصدر:www. roppongihills .com

(من الأصل بالانجليزيه ، ص ٤٩).

ثانياً : مع غياب التخطيط العمراني الفاعل في الحواضر الكبرى ، قادت مشاريع التطوير مختلفة الأحجام التي تقيمها جهات ذات مصالح متباينة بما فيهما المؤسسات المالية الدولية ، إلى اختلال جزئي في المجتمعات المتوازنة وتصاعد اشكالات حادة بين السكان والمطورين الذين يميلون لرفع كثافة المناطق المركزية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

على حساب الرؤية والإنارة الطبيعية . وتلاحظ هذه الظواهر طافية على السطح بالذات في المدن التي يقل عدد سكانها عن ٢٠٠.٠٠٠ نسمة ولا يتوفر لها نظام نقل عام ملائم ، وتعتمد بشكل أساسي على السيارة. في أوضاع كهذه فقدت مناطق التسوق القديمة في مراكز المدن بريقها وجاذبيتها لصالح مراكز التسوق في الضواحي ، وتحولت إلى أشباح . وهناك العديد من المناطق المركزية وتردت حالتها العمرانيه وأصبحت مناطق مهجورة.

الدروس المستفادة من مشروع مجمَّع هيل سايد تيراس

يعتبر مجمع هيل سايد تيراس ، على صغر مساحته (١.١ هكتار) ، واحداً من أفضل أمثلة التصميم العمراني بمدينة طوكيو في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية ، فهو مشروع ارتفاعاته منخفضة ، وكثافته متوسطة (نسبة البناء/مساحة الأرض ١٥٠%-٢٠٠%) ، واستعمالاته خليط من السكني ، والمكتبي ، والتجاري ، والثقافي بامتداد ٢٥٠ متراً على شارع في منطقة يامانوت السكنية في طوكيو . بداية المشروع كانت من ١٩٦٩ واستغرق تنفيذه قرابة خمس وعشرين سنة على ست مراحل ، اتسم فيها بالقدرة على احتواء الوظائف المتغيرة والسيطرة على الوسط المحيط به (التغيرات السريعة في البيئات العمرانية وطابع الحياة في مدينة طوكيو). تدل على ذلك أعمال البناء والتنمية التي مرت بها المنطقة المحيطة به خلال تلك السنوات الخمس والعشرين تمكنت خلالها من خلق فضاءات عمرانية جذابة وشكلت بمجملها منطقة فريدة في طوكيو لها طابعها المميز . مشروع هيل سايد كان محل إعجاب وإشادة منح في إثرها جائزة أمير ويلز للتصميم العمراني لعام ١٩٩٣ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مجمع هيل سايدتيراس. الصوره : توشيهارو كيتاجيما

Courtery, Maki+Associates

(المصدر : النسخه الانجليزيه ، ص ٤٧)

مع ذلك ، لم يتم إنشاء مشروع تصميم عمراني بذات السمات المميزة لمشروع هيل سايد في اليابان برغم سهولة هذا الأخير وإمكانية محاكاته ، وإبداء كثير من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الجماعات والحكومات المحلية رغبتها في عمل ذلك . لماذا ؟ الجواب يكمن جزئياً في الوضع الفريد لهذا المشروع . ففي طوكيو نسبة البناء على قطع الأراضي (إجمالي مسطح الأدوار : إجمالي مساحة قطعة الأرض) تتناسب طردياً مع عرض الشارع ، وفي هذه المنطقة تحديداً هناك شارع بعرض ٢٢ متراً مزدان بصف من الأشجار يمر عبر الموقع ، ومثل هذا الشارع عادة ما تكون نسبة البناء عالية على جانبيه ، والمنطقة مصنفة "سكني أ " بارتفاع عشرة أمتار كحد أقصى ونسبة بناء ١٥٠% فقط . يشار هنا إلى أن وجود هذه الضوابط مجتمعه في موقع واحد أمر نادر الحدوث في الحواضر اليابانية .

ووجودها هنا مصادفةً أدَّى إلى ظهور بيئة عمرانية مميزة بارتفاعات منخفضة ، فضلا عن انتماء ملاك العقار هنا إلى عائلة من الملاك القدماء ، إذ يندر أن يمتلك شخص ما مثل هذه القطعة الكبيرة المترابطة من الأرض في منطقه سكنية على شارع عام في طوكيو ! يذكر أن أعمال البناء والتطوير هنا استغرقت خمساً وعشرين سنة بسبب عدم قدرة الملاك على توفير المال في وقت قصير. وكان هذا يصبُّ في مصلحة المالك والمصمم من حيث إتاحة المجال لهم للتكيف مع التغيرات السريعة في الوسط المحيط وفي أسلوب الحياة في طوكيو، وفي تقديم تصاميم جديدة . ولو قام بهذا التطوير مالك مقتدر ماليا لما حدث مثل هذا التنفيذ البطيء ، فالتكوين العمراني كان يتشكَّل بتدرُّج مستمر كجزء من النشاط العام في المنطقة ، كما هو حاصل الآن حتى لو ترك المشروع لنفس المعماري المصمم ! ربما تكون هناك عوامل أخرى مواتية أسهمت في نجاح هيل سايد تيراس ، ولكن الحالتين السابق ذكرهما كانتا فريدتين في هذا المشروع ، إذ لم يتم تكرارهما بعد ذلك أبدا . وهذا يوضح أن إطار العمل في مجال التصميم العمراني في حاضرة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

طوكيو يختلف كثيراً ، وأن التصميم العمراني كمهارة يتطلب دقة وحساسية عالية مع كثير من الحظ !

وفي السنوات الأخيرة ، خرج أصحاب أعمال كبار بمشاريع إعادة تطوير كبيرة مدفوعين جزئيا بالانتعاش الاقتصادي ، كما في مشروع المجمَّع المكتبي والسكني والتجاري في منطقة روبونجي هيلز في وسط مدينة طوكيو الذي شيد خلال سبع عشرة سنة . وعلى عكس الإحساس بالهدوء الذي يقدمه هيل سايد تيراس ، يخلق مشروع روبونجي هيلز والمشاريع المماثلة نوعا من الحراك العمراني الجديد ، فلقد أصبح المجمَّع مكاناً مفضلاً بفضل الموقع المميّز والبنية التحتية السابق ذكرهما ، وجذب خمساً وعشرين مليون زائرا في الشهور الأربعة الأولى من افتتاحه ، ما يعادل حجم سكان خمس وعشرين دولة عضو في الأمم المتحدة. ممايجعل هذه المراكز الجديدة مشابهة لدزني لاند من حيث القدرة على جذب هذه الأعداد الضخمة في وقت قصير .

ما هو التصميم العمراني ؟

باستخدامي حاضرة طوكيو كمثال ، أكون قد أوضحت تفرُّد وخصوصية الحواضر الكبرى من حيث وضعها وأهميتها الخاصة على المستوى المحلى ، وارتباطاتها بالظواهرالإقليمية والوطنية والعالمية على المستوى الشمولي ، وأقول بأنه مهما تشابكت وتعقدت الظروف والعوامل يبقى التصميم العمراني في واقع الأمر مهارة تحتاج منا وضع هذه العوامل والمؤثرات في تصميم فراغي ثلاثي الأبعاد ضمن زمن وميزانية وبرنامج محدد .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويمكن هنا إعادة صياغة الرسالة الهامة التي طرحها سيرت ضمن خطابه في المؤتمر:

يجب أن يكون الإنسان هو الشغل الشاغل للتصميم العمراني ، فنحن هنا لا نصمّم لأشخاص بعينهم ، بل لعموم الناس ، نصمّم لهم .. وبالتعاون معهم ، وعلينا التفكُّر في الانسان يسير في الشارع ويتلمَّس جماليات المباني من منطلق تجاوبه ونظرته لها والحس البصري لديه ، ما يملي علينا أن نستخدم خيالنا ونوظف قدراتنا الفنية في صناعة المكان الجميل .

لقد تمت مناقشة إعادة بناء متحف الفن الحديث الذي أنجز أخيراً في نيويورك على نطاق واسع . ومصممه المعماري هو يوشيو تانيجوتشي . لقد نجح شكله الخارجي الحداثي المهذب في احترام الأشكال الخارجية للمراحل السابقة من تاريخ المتحف وكذلك في احترام حديقة التماثيل وفي إضفاء بيئة عمرانية جديدة على مدينة نيويورك . فالمعماريون والنقاد والفنانون والعامة كلهم تقريباً أعجبوا ببراعة التوزيعات الداخلية ، مع تحييد للعناصر المعمارية للمتحف بشكل كبير ، فالزائر يحس بمتعة بالغة في حضرة العديد من الأعمال الفنية الراقية ، مع قوالب جمالية من نسيج مانهاتن العمراني وحركة الزائرين الآخرين في الفضاءات الداخلية. ولا يسعني هنا إلا أن أصفه بأنه واحد من أفضل أعمال التصميم العمراني في زمنه! فهذا المبنى يجسِّد روح التصميم العمراني التي استحضرها سيرت عام ١٩٥٦: التعاطف مع التكوينات المتجاورة في المدينة ، إحساسك بالسعادة والراحة وأنت تتنقل من مكان لآخر (مثلما تكون في الشارع) ، وتشجيع الناس على التفاعل مع بعضهم البعض والتواصل فيما بينهم .

لقد أصبح متحف الفن الحديث ملاذاً روحيا ، يؤمه الزائر ليمتع ناظريه وروحه بمنأى عن صخب وأضواء المدينة ، فالمبنى الجديد لمتحف الفن الحديث تحفة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بصرية وعلامة مميزة في مدينة نيويورك تعكس حضرية حقيقية وجمالا داخليا لم يتضح بعد كنهه لدى النيويوركيين ولا تحس به بسهولة و وضوح في معمار متحف جوجنهايم الشهير في بلباو الأقل حياديَّة .

ولعل مردّ شعبيه منطقة هيل سايد تيراس على امتداد عقود طويلة بين العامة يعود إلى إشباعها لرغبة جماعية ، ما يجعل الفضاءات العمرانية تكتسب صفة العموم بمعناها الحقيقي، على أساس أن العامَّة هنا تشعر بالبهجة والرضى ما يزيد قناعتها بالمنطقة وانتماءها وولاءها لها . إن إدراكنا وتذوقنا لفن وجمال المعمار وفق العناصر التكوينية لرؤية فيتروفيوس (المعماري الروماني) في الجمال إحساس متجذِّر في دواخلنا لوجوده في صميم تكويننا الجيني . وفي مقالي هذا أرى بأني أسهبت كثيرا في شرح كيف أصبح التصميم العمراني أكثر صعوبة وتعقيداً في نصف القرن الماضي، مع ذلك تبقى حاجة الانسان الفطرية للبهجة والإرضاء البصري هي نعمل به نحن المعماريِّين والمصمِّمين العمرانيِّين.

هناك مشروع جديد في نيويورك لعمارة عالية للشقق السكنية تحوي وحدات سكنية كل منها تتكون من أربعة أدوار ومصعد خاص بكل وحدة مسنود كابوليا كزنبق الوادي . هذا المشروع أعلن وأصبح موضوعاً لمناقشات كثيرة تزامنت مع مشروع مبنى متحف الفن الحديث تقريباً . ويقال هنا أن سعر الوحدة السكنية في حدود ٣٠ مليون دولار في دلالة واضحة وصريحة على مبلغ الاستهلاك المظهري التفاخري الصارخ الذي يأنفه العالِمْ الاجتماعي والاقتصادي فيبلين . وبغض النظر عن الجرأة في طريقة إنشائها أوالأبعاد الجمالية البصرية الكامنة فيها ، يبدو أن المشروع يفتقد إلى الحسِّ الأخلاقي ، فالتصرف الفاضل ميزة أخرى مطلوبة من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التصميم العمراني ، وأيضاً النظر إليه نظرة أخلاقية لا مظهرية وتفاخرية بحتـــة ، وهو ما لم يكن ماثلا على نحو صريح في وثائق مؤتمر ١٩٥٦ الذي عقـــد قبـــل خمسين سنة مضت ، ولكنه - في رأيي- ماثل في إشارة تشارلز أبرامـــز لعـــدم العدالة والمساواة التي يعاني منها فقراء المدن ، وفي مناداة جين جيكوبز نيابـــة عن المناطق المهددة في شوارع نيويورك . فهما هنا إنما ينشدان المبدأ الأســـمى في نشأة وقيام المدن . هذا على الأقل هو تفسيري لوجهة نظرهما .

ملاحظات:

١- ترجمة ماكي من النص الياباني الأصلي لـــ:

Yosuk Hirayama, Fukanzen tosbi, Kobe, Nyuyoku, Berurin(Kobe, New York, Berlin: Gakugei Shuppansha, 2003), 3

٢- على سبيل المثال ، المعماري جيانكارلو دي كارلو كان مدعواً لمعهدد ماساشوستس للتقنية ولجامعة كاليفرونيا بيركلي في ذلك الوقت، تلى ذلك تنظيم ورشة صيفية حول دي كارلو ودونلين ليندون ، استمرت في سيينا . وفي عام ٢٠٠٣ عقدت ورشة تصمم عمراني دولية حضرها باحثون شبان في جامعة بوسان ، في كوريا الجنوبية ، كما عقدت مدرسة الدراسات العليا للتصميم (هارفارد) وجامعة كيو ورشة دراسية مشتركة خلال السنوات العديدة الماضية حول إعادة تنظيم طوكيو . كما أسست جامعة واشنطن في سانت لويس إستديو طوكيو الذي يتم دعمه بالكثير من الأكاديميين اليابانيين .

٣- The Future Metropolis, LIoyd Rodwin, ed(New York,Co.Brazilkr ,1961)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تخفيف أثر الأعمال الطائشة في فترة الشباب
"العودة إلى التحضّر القديم"

أندري داوني

عن ماذا يدور مؤتمر ١٩٥٦ للتصميم العمراني ؟ على ما يبدو أن مجموعة من الرجال في خريف العمر تجمعت في محاولة للتخفيف من زلتها والتكفير عنها حيث أقدموا قبل بضع سنوات في المؤتمر العالمي للعمارة الحديثة(سيام) على تنحية موضوع التحضر والعمران جانباً وعدم الخوض فيه .

في عام ١٩٥٦ أصبحت التبعات السيئة لهذا التصرُّف واضحة للعيان ، وقرَّر سيرت وجوب معالجة الخطأ وأنْ على هارفارد قيادة عملية التصحيح . وكان له ما أراد إذ سارت المناقشات في الإتجاه المرغوب. فهارفارد ستدرِّس قريباً علم تحضر أفضل – وإن ليس بجودة تدريسه في جامعة كورنيل ، حيث يعيد كولن رو هناك إكتشاف تعريف الفراغ . وفي أوروبا ، حيث يقوم فريق العشرة بصعوبة بالغة ، في ضوء من فقدان الذاكرة بإعادة تثبيت نظام الشارع ، كما يعيد روسِّي منهج النمذجة في التصميم ، ومن ثم يتغلب ليون كرير على ظاهرة التردد والحيرة المستشريه ويقترح المدينة التقليدية مرة أخرى بكل نقاءها وتجلياتها. إن نزع كرير للغشاوة عن العقول مكَّن مجموعة منظمة من الشبان الأمريكيين من تطوير أساليب تقديم التحضر والعمران برؤية حداثية، والقيام بما كان يمكن أن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يفعله سدنة المؤتمر العالمي للعمارة الحديثة (سيام) في شبابهم لو أنهم كانوا يفكرون بشكل واضح غير متأثرين بتبعات الحرب العالمية الأولى .

يمثل ظهور المؤتمر العالمي للعمارة الحديثة (سيام) ومن ثم انقسامه وتفككه الحدث الأعظم للعمارة في القرن العشرين ، ولكن الضرر المصاحب الذي تحملته مدن العالم وانخفاض المستوى المعيشي لأجيال من سكان هذه المدن لم يكن يستحق أو يستدعي كل هذه الضَّجة العمرانيَّة. فجميعنا كنا سنكون أفضل حالاً وأهنأ بالاً من دون أولئك السياميين وملتقاهم .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عالم عمراني لم يكن متوقعاً : ظاهرة ما بعد ١٩٥٦

بيتر جي رو

القول بأن المنظمين والمشاركين في مؤتمرهارفارد للتصميم العمراني عام ١٩٥٦ لم تكن لديهم أي فكرة عن معدل وطرق وظروف وتوجهات ومنطق التحضر الذي ساد العالم منذ ذلك التاريخ . ربما يكون مجافٍ للحقيقه. و للإنصاف فقد كان هدفهم العام كما وضعوه ميَّالاً نحو إيجاد " قواعد عامة للعمل المشترك للمعماري ولمنسق المواقع ولمخطط المدن في مجال التصميم العمراني" وخاصة في ضوء "الغياب المتكرر لمظاهر الجمال والبهجة في المدينة المعاصرة" و" الحاجة للمعرفة الجيدة بالتشكيلات العمرانية المتوقعة للمدينة" [١] ، بيْد أنهم كانوا سيفاجئون ، وربما يصعقون أمام المعدل والوتيرة القوية للتحديث والتحضر الذي حصل في شرق آسيا في الفترة الأخيرة ، وبالحجم والمكانة الاقتصادية لمدن اليوم ، وأمام التغيرات الجذرية التي حلت بالتوزيع الجغرافي (المكاني) للوظائف والتشكيلات العمرانية في البيئات الأوروبية والأمريكية المألوفة كثيراً . وبالنسبة للمشاركين عام ١٩٥٦ فقد كانت المدينة الأمريكية هي مركز إهتمامهم، إذ يقول خوزي لوي سيرت "بعد فترة من النمو السريع والأنتشار العمراني غير المنتظم صوب الضواحي عادت مدننا الأمريكية لسابق عهدها وأخذت مسئولياتها التي لم تعرفها مدن الطفرة الماضية مطلقاً ". لقد كانت لمدينتهم (لمشاركون في المؤتمر) الأمريكية تشكيلات عمرانية خاصة : قلب مركزي ومناطق داخلية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

محاطة بحلقات من الضواحي . لقد كان المشاركون في العموم يشجبون التوجه للضواحي واعتقدوا أن المناطق المركزية في طريقها للأفول .

في السابق لم يكن التركيز في المشهد العمراني على شؤون المدن الأمريكية بباعث على الدهشة والاستغراب . لكن في أعقاب الحرب العالمية الثانية - وقد أضحت الولايات المتحدة الأمريكية قوة مهيمنة- نرى ريتشارد نيوترا وهو أحد المشاركين في المؤتمر يذهب بعيدا في وصفه للمشهد العمراني الحالي حيث "الأمركة" كما يقول هي السمة الغالبة والطاغية عليه "[٣] ، فضلا عن أن المشاركين - سواء بوعي أو بغير وعي منهم - وجدوا أنفسهم يعيشون في جزء من العالم موسوم بالفكر السياسي والاقتصادي الكينزي من حيث الرفاهية وبمبادئ الفوردية من حيث وسائل الإنتاج ، ومع ما ينتج عن هذه التوجهات في مجال التنسيق والعمران .الواقع أن الدول كانت ملتزمةبتحسين الدخول وتخفيف تأثيرات التقلبات في النشاط الاقتصادي ضمن حدودها. [٤] بالإضافة لذلك ، وخارج ما يسمى بدول العالم الأول بما في ذلك الدول المتقدمة في أوربا – ولمَّا تكن اليابان بعد قد لحقت بالركب – كانت هناك دول العالم الثاني العاملة بالاقتصاد الموجه (الاشتراكي) على الطريقة السوفييتية المركّزة على التصنيع السريع ، ودول العالم الثالث الساعية لتوِّها نحو التنمية . وبسبب اشتداد حدة التوترات الدولية في أعقاب الحرب العالمية الثانية وجدت معظم دول العالم الأول والثاني نفسها في ١٩٥٦ في أتون حرب باردة ، بينما العديد من بلدان العالم النامي منشغلة بتصفية النظام الاستعماري بعد الحرب الثانية وبمشكلة التنمية وتخطي عقبة التخلف ، وبدا أن المستقبل سيحمل معه الصعود الكامل للنظام الاقتصادي الغربي الحر، مع أن بعض الدلائل كانت قد بدأت تشير إلى ذلك . تلى ذلك تحول

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في الوظائف وطبيعة الدول ، وصعود ملحوظ للمنظمات الدولية الخاصة والمؤسسيَّة ، وتحولات جوهرية أيضا في تعقيدات وقوى التقنية المتاحة. الواقع أن خمسين سنة من عمر الدول التي تتبع التخطيط المركزي قد إختفى، بينما أخذت دول الرفاه الشامل والدول الساعية للتنمية الاقتصادية تتحول لجهة ما يسمى بـ " الدولة التنافسية" من حيث توفير الرفاه وأساليب الدعم للمواطنين ومؤسساتهم في إطار من المنافسة الدولية.[٥] الأكيد في الأمر أن الجدل لا يزال قائما حول : الفاعلية النسبية للنظم الليبراليه الأنجلو – أمريكية، والسياسات الأوروبية التي تركز أكثر على الرعاية الإجتماعية ، والممارسات النقابية الآسيوية الدامجة للقطاعين العام والخاص والمهمِّشة نسبيا لدورالعمَّال في صنع السياسات والقرار . مع ذلك ظل الاستمرار قائما نحو التحول للدولة التنافسية .

ثلاثة منعطفات هامة على مسرح تشكُّل الخبرة الجماعية في الغرب:

إمعاناً في تبسيط مسرح الأحداث في الغرب ونظرته لها ، مع التذبذب الحاصل في المشهد العمراني في مسيرته االمعاصرة ، هناك على الأقل منعطفان جوهريان شكلا مجرى الأحداث الحاضرة ، ومنعطف ثالث حديث التكوين.[٦] المنعطف الأول حدث تقريبا في نهاية الستينيات وعبر السبعينيات الميلادية. فخلال هذه الحقبة أصبحت قضايا من مثل الحقوق الأساسية للإنسان والعدالة الإجتماعية والوصول للسلطة الشغل الشاغل للمجتمع ، كما كان هناك أيضاً إهتمام إجتماعي واسع بمشاكل استدامة الموارد والحد من التوسع الحديث . بالإضافة لذلك ، كان حال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السوق متداعيا بسبب عوامل منها وقف الإمدادات النفطية عام ١٩٧٣ وبداية التضخم الاقتصادي المصحوب بركود الطلب على الاستهلاك وتزايد نسبة البطالة. ونتيجة لهذه السلسلة من الأحداث كان هناك اهتمام متزايد على الأقل من جانب رجال الفكر والمثقفين والعلماء المختصين بمشكلة التنوع ، وتزايد تيَّارات التعددية الإجتماعية والحركة البيئية ، وتدني الثقة بقطاع الأعمال وقلة الإيمان بالحكومات ، وتساؤلات جادة حول التفسيرات التي يطرحها المفكرون الوضعيون فيما يخص الناس وعالمهم الذي يعيشون فيه . وفي مجال الشئون العمرانية تحديدا ، فإن ما أسقطته هذه الحقبة أو أضعفته بشكل لا يستهان به هو مرحلة المخططات والبرامج الحكومية الكبيرة – أو في الأقل طموحها واعتقادها الراسخ لجهة إمكانية الهندره الإجتماعيه والإداريه . والواقع العملي أن فكرة " المدينة الحديثة" عند الكثيرين – مدينة مؤتمر ١٩٥٦ – قد توقفت إلى حد ما .

جاء ذلك متزامنا مع تحولات إقتصادية حقيقية ملموسة لصالح ما بعد الفوردية ، ومع نمو وافر في قطاع الاقتصاد الثالث (الخدمي والإداري) ، والاتجاه نحو نمط تعددية المراكز الحضرية خارج المدن مما يرمز له في بعض الأحيان كـ " حزمة مبعثرة."[٧] ترافق مع ذلك إزدياد مشاركة المواطنين والمستخدمين في الشئون البلدية والمواضيع الأخرى ذات الصلة ، وتضاعف أعداد مؤسسات المجتمع المدني (الأهلي) وإمتداد تأثيرها ليشمل تنامي تدقيق الأفراد والمجموعات للخطط العامة والخاصة ، والاهتمام بالمحيط المحلي وظهور الإتجاه للخصوصية والتمايزية الانتمائية (تربية وتعليم وتوكيد الهويَّة والروح المحلية) في تشكيل البيئات العمرانية.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وحدثت الحقبة الثانية حول نهاية الثمانينيات وفي التسعينيات من القرن العشـــرين الميلادي . فقد أنهى تفكك وسقوط الإتحاد السوفيتي المنافســـة المحمومـــة بـــين قطبي العالم الساعيين للتحديث في القرن العشرين ، وجاء الانتهاء بالتأكيد لصالح الغرب . وقد أفسح إنحلال الترتيبات الإقتصادية العالمية الســـابقة والمعاهـــدات الأخرى ، التي أملت شكل ومسيرة النظام الاقتصادي العالمي لفترة طويلة جـــداً ، المجال أمام تنامي التجارة الحرة ، وتبادل السلع ، ووفرة الموارد . إذ تضـــاعف عدد الشركات متعددة الجنسيات العابرة للحدود وتوسع نطاقها ، وظهرت وســـائل وأدوات وسياسات جديدة مبتكرة بمتناول الأفراد للمشاركة في الإقتصاد والتمويـــل لجهة مضاعفة وإستغلال الفرص الاقتصادية في فترة اتسمت بـــالتحرر .[٨] كمـــا يسَّر التقدم في تقنية الحاسب والمعلومـــات ، خاصـــة وصـــول العامـــه لشـــبكة المعلومات العنكبوتية (الإنترنت) والمواقع العالمية في عام١٩٩٣ مهام وعمليات معالجة المعلومات التي كانت تُعَّد في السابق ضربا مـــن الخيـــال ، وزاد نطـــاق وكثافة الإتصالات والتبادلات بشكل كبير عبر الفضاء الالكتروني الواسع مما أتاح الفرصة لتفعيل التجارب الفردية إن لم يكن على صعيد الممارسة العملية فمن حيث المبدأ في الأقل.

كذلك شهدت هذه الفترة التوجه للخصخصه والشراكة بين القطاعين العام والخاص في مجال المرافق والخدمات العامة ، والتفكك الكبير في علاقات وبيئات العمـــل ، وظهور العديد من المنظمات غير الحكومية التي تمارس وظـــائف مدنيـــة وشـــبه عامة تحت مظلة المجتمع المدني والدولي .[٩] ووسط هذه التوسعات الجغرافيـــة والهيكلية لإمكانات ومجالات التبادل ، وتلاشي مظاهر الاحتكاك المباشر ، ظهرت فكرة "المدينة العالمية أو الكونية" المكتسحة للحدود بين الدول، حيث ستتركز فيها

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البنى الأساسية للتجارة العالمية ، وبخاصة وسائل الإتصال ومؤسسات المال والأعمال ، أي أن المركز سينتقل من الدول إلى المدن ، ومدن مثل نيويورك ولندن مرشَّحة للقيام بهذا الدور بوصفها مراكز تحكم وسيطرة في الشبكة الأساسية . كما قامت تكتلات عمرانية حول المناطق المواتية لصناعات التقنية المتقدمة ،حيث ينبغي أن لا يغفل هنا دور الحكومات واستثماراتها في هذا الجانب . وبرغم إنخفاض نسبة النمو السكاني في أماكن كثيرة من العالم ، والصعود الثابت في مستوى الثراء (للبعض في الأقل) ووفرة البناء لمجتمع منطلق يتمتع بمدى واسع من الخيارات في أسلوب حياته – بصرف النظر عن ذوى التوجهات المحافظة في المجتمعات المحليه – هناك عودة واسعة لتأهيل المنشآت العمرانية القديمة للقيام بأدوار أخرى ، والمحافظة على المباني والمعالم التاريخية ، وإستصلاح وإعادة إستعمال المواقع المهملة وغير المستغلة جيدا، والبلدات القديمة أيضا . وفي شأن تحسين البيئة العمرانية ، أخذت مهمة الدور البلدي تتعدى مجرَّد توفير الخدمات إلى الانخراط في تعزيز مظاهر الرفاه السكاني وطبع المدينة بهوية واضحة تميزها ، ورفع قدرتها التنافسية على الجذب السكاني والاقتصادي والحضاري . وبالرغم من الأرتفاع الملحوظ في الإنتاجية ، والإهتمام بالمجتمعات المحلية ، والرفاه المعيشي ، وسهولة الاتصالات وتبادل المعلومات والمشاركة السياسة فإن إشكاليات المساواة والعدالة الإجتماعية لا زالت ، لسوء الحظ ، باقية ومستمرة .

هناك مشهد عالمي آخر آخذ في الظهور ، يتباين الموقف فيه حسب القراءت والتحليلات للأحداث الأخيرة. يتضمن المشهد ظهور الكتل المناهضة للعولمة والمؤيدة لقوة وحقوق الأفراد ، والقلق المتزايد حول ظاهرة الإحتباس الحراري ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والتخلف الاقتصادي والتقني ، واللوم الموجه للشركات الكبرى عابرة القـــارات ، وأحداث الحادي عشر من سبتمبر وتبعاتها و تزايد وتيرة الإرهاب فـــي العـــالم ، والنزاعات والمواجهات المتجددة حول القـــيم والمعـــايير الثقافيـــة الأساســـية ، والفضائح المالية ، وإثارة صدام الحضارات ، والتوجه القـــوي نحـــو الإنضـــمام للإتحاد الأوروبي ، وهكذا دواليك – فإذا ما أخذت هذه الأحداث مجتمعة فســـتكون هناك ردود فعل واسعة على الصُعُد السياسية والاجتماعية والثقافية إزاء مـــا هـــو قائم حالياً . والزمن فقط كفيل لينبئنا عن مدى وأهميـــة ردود الفعـــل تلـــك . إن طبيعة ما ظهر في الغرب خلال الخمسين عاماً الماضية ما هو إلا إعـــادة تشـــكيل للخبرات الجمعية والحضرية لأبرز وأهم أحداث تلك الحقبة ؛ وهذا راجع للتبـــاين والتفاوت في أوضاع وأحوال المراحل التي تشكلت فيها تلك الخبرات والتجـــارب الجمعية وفي مدى تأثيرها في الناس . وليس معنى هذا أن مفعول تأثير كل مرحلة كان يتوقف عند المرحلة التالية ؛ فالتحديث وتجاربه عملية تراكميـــة ، والمجـــال مفتوح أمام الكثير للممارسة والمشاركة الجمعية ، مع فرص بناء وتشكيل هويـــة محلية وعالمية . لقد تجاوز مفهوم ومدلول التحضُّر "المدينة الحداثيَّـــة" وتعـــدَّاها إلى "مدينة ما بعد الحداثية" ، والآن إلى "المدينة الكونيَّة" حتى وإن كانت الأنشـــطة في معظم المدن لا زالت تحتفظ بأشـــكالها ومظاهرهـــا واســـتعمالاتها ونظمهـــا وأمورها السابقة.

مسرح تشكُّل الخبرة الجماعية في منطقة شرق آسيا

خلافا لطبيعة مجريات الأحداث في الغرب ، وإمعاناً أيضا في التبسيط فـــإن مســـار الأحداث في شرق آسيا على مدى الخمسين سنة الماضية (أو أقل) أخذ منعطفـــا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مختلفاً . ففي نفس الوقت الذي عقد فيه مؤتمر ١٩٥٦ ، كان شرق آسيا أقل أهمية في تأثيره الخارجي مما هو عليه اليوم . فجميع الأقطار هناك كانت بطريقة أو بأخرى خارجة إما من دمار واسع أو من أزمات تتعلق بفقر مدقع ، وأوضاع إجتماعية وسياسية رثَّة وتخلف إقتصادي . ففي المدن ، شكلت الموجات العارمة من الهجرة الخارجية أو الداخلية عبئاً كبيراً على الإسكان والخدمات والبنية التحتية غير الكافية أساساً . وبالنسبة للأنظمة الجديدة الحاكمة في جميع دول المنطقة تقريباً ، كانت الرغبة للتحديث السريع ملحة، ليس لمجرد اللحاق بركب الدول المتقدمة فقط ، بل لاستعادة البعض منها مثل اليابان لمكانتها المرموقة في العالم ، ولتؤكد عيش و إستدامة أنظمتها السياسية الوليدة والحس القومي الآخذ في التنامي . وكانت ايدولوجية دعم السلطة السياسية والتقدم الحديث المركَّز - اللذين أصبحا سريعاً متلازمين – هي التنمية والتهليل لعقود اجتماعية شمولية من مثل تأمين الدكتاتورية الحكومية في الصين للعمل طيلة الحياة والعناية بالفرد من المهد إلى اللحد، ووعود القادة السياسيين مثل هاياتو إكيدا بمضاعفة الدخل في حكومة الأقلية ذات الحزب الواحد في اليابان .[١٠] وكان من هم في السلطة يدفعون بقوة لجهة التحديث التدريجي المضطرد الموجه نحو الإنتاج مستفيدين بشكل سريع من التقنيات العالمِّية المتاحة والتي كانت في معظمها من مصادر وأصول غربية . ونتيجة لذلك ، نمت إقتصاديات تلك الدول بمعدلات مذهلة وبالنسبة للصين فلا يزال اقتصادها مذهلا في نموه . كما تحسنت معدلات المعيشة لكثير من السكان على الأقل وكذا معايير الصحة العامة والتعليم وأشكال الرفاه المادي الأخرى . وهذا الدفع الأحادي نحو التقدم ، مترافقاً مع خلفية ثقافية تنحو للجماعية (سيطرة الشعب على جميع وسائل الإنتاج والتوزيع)،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وتقدر الروابط الإجتماعية ، والفهم العضوي للمجتمع ، تضافرت معا في صياغة ميثاق إجتماعي شامل جاء متسقاً مع الأهداف العامة للتحديث وبقى محافظاً عليه برغم المعارضات المتفرقة والجوهرية في الداخل . والواقع أن بناء المدينة تبع نفس التوجه، فالطابع العام لتقنيات التخطيط العالمية ، الممارسة بشكل واسع مع بداية هذه الحقبة ، تطابقت تماماً مع تنظيم إجتماعي يتجه من القمة إلى القاعدة و إستمرت كذلك دون مقاومة تذكر حتى وقت قريب حين بدأت ترتفع الأصوات المتذمرة المشابهة لردود الفعل الغريبة السابقة تجاه "التخطيط الضخم." وكانت النتيجة ظهور نظام مركزي غير واضح المعالم لإنشاء وإدارة المباني الحضرية مقترن بتحقيق أهداف إنتاجية ، أقل إنفتاحاً للمشاركة العامة أو الأخذ بتوجهات متعددة خلافا لما في العالم الغربي . ويقع الإستثناء في المدن المتطورة بشكل كبير مثل طوكيو وسنغافورة التي كانت شؤون إدارتها وتحسيناتها العمرانية ، الممتازة غالبا ، تنفذ من القمة نيابة عن المعنيين ضمن نظام تخطيط مركزي عتيد . وكالشخصيات التي تعيش مع بعضها في الأسطورة القديمة ، يبدو وكأن الغرب تشبَّه بالثعلب في الإدعاء بمعرفة أشياء كثيرة وبقدرته على متابعة وتحقيق أهداف مختلفة ، بينما اتَّخذت دول شرق آسيا مسار القنفذ في معرفتها لشيء واحد مع مثابرتها على متابعته دونما كلل . ويمكن للمرء أن يستمر في هذا النوع من السرد لطبيعة مسرح الأحداث الذي تشكلت فيه الخبرات الجماعية في مناطق أخرى من العالم كما في مجتمعات آسيا الوسطى وأجزاء من أفريقيا التي تعايش لسوء حظها مشاكل وظواهر البؤس والتخلف الاجتماعي والاقتصادي والتدهور العمراني !

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في إطار الارتباطات الحتمية بين ديناميات (قوى) التحضر والظروف الإقتصـــادية والسياسية الدولية تكون نتائج هذه الارتباطات متباينة من منطقة لأخرى في العالم من حيث نشوء ظواهر من التحضر في المدن الكبرى مختلفة عما كان قائماً فـــي عام ١٩٥٦ . نطالع هنا خمس ظواهرعمرانية متباينة في التشكيل :

الأولى : ظاهرة المدن والحاضرات الكبرى تامة النضج وغالبيتهـــا فـــي العـــالم المتقدم حيث يرصد فيها انخفاض سكاني وتنمية راكدة كما فـــي مدينـــة رومـــا ؛ والثانية : ظاهرة المدن والحاضرات السريعة النمو مثل شـــنغهاي حيـــث وتيـــرة التحضّرعلى أشدّها ؛ والثالثة : وجود أقاليم حضرية متنوعة ومنتشـــرة ، علـــى الأغلب في دول العالم المتقدم، يتناقص فيها سكان وسط المدينة بينما وظائفه في ازدهار كما في مدينة برشلونة ؛ والرابعة: ظاهرة المناطق الحضرية الآخذة فـــي التوسع السريع ولكن دونما اتساق ، وغالباً في دول العالم المتخلف مثل لاجـــوس في نيجريا ؛ والخامسة : ظاهرة الحاضرات الناضجة والمستقرة ، أيضاً فـــي دول العالم المتقدم ، وقد تردت أوضاع أواسطها كثيراً وباتـــت تعـــانى مـــن التـــدهور العمراني كالحال في حاضرتي ديترويت وسانت لويس . ويأتي بين هذه الظـــواهر النمطية التوزيع المكاني والوظيفي لما يشار له بـــ " البوتقة العمرانية الحضـــر - ريفية "، في دلتا نهر تشانج يانج ، وكمثال فـــإن – ريـــف شـــنغهاي - مختلـــف نوعاً، خاصة فيما يتعلق بمشاركة العمالة والاستيطان المرتبط بها ، عن الأرياف المتماثلة شكلاً للحاضرات الكبرى في أماكن أخرى من العالم كالأريـــاف المحيطـــة ببرشلونة مثلاً . أيضاً يقع بين هذه الظواهر العمرانية "المدن الداخلية" لبلـــد مـــا مثل إيطاليا - التي كانت تدعى فيما مضى بلد المائة مدينة – ومثل هذه المدن مـــا زالت محافظة على هويتها العمرانية التقليدية وزاهدة في مظاهر العصرنة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في عام ١٩٥٦ لم يكن واضحا للعيان من هذه الاوضاع العمرانية سوى القليل، فروما كانت تتعرض لموجات متلاحقة من النزوح السكاني إليها وتشهد أعمال بناء وتشييد كبيره ؛ وبعد أكثر من عشرين سنة من النزاع وإنعدام الإستثمار وجدت مدينة شنغهاي نفسها تعاني من ركود كبير؛ وكانت برشلونة مدينة صغيرة نسبيا واهنة ومتداعية خارجة لتوها من مجاعة مزرية ؛ ولم تعدو لاجوس عن كونها معسكرا للمستعمرين قبل طفرة الزيت والصراعات الأهلية ؛ أما ديترويت وسانت لويس فكانتا مدينتان أمريكيتان صناعيتان تتمتعان نسبيا بوضع سليم ؛ كما كانت المدن الصغيرة في العمق الإيطالي زراعية وفقيرة ومتخلفة .

هناك تبعات أخرى متوقعة لهذا التباين في هذه الأوضاع العمرانية والتي على تغيرها ربما تحتاج إلى أطر ومهارات فنية جديدة ومختلفة كي يتسنى فهم وإستيعاب التصميم. فمثلاً :

معدلات التحضر المتراجعة المصحوبة بوفرة نسبية في الموارد والامكانات لدى البعض وشحها لدى البعض الآخر وذلك في البيئات العمرانية المتقدمة و الأخرى المتخلفة تعد مختلفة ومتغيرة جداً عما درج عليه المخططون والمصممون في معظم القرن العشرين . ويقترن مع هذا التغُّير تأكيد على التكيُّف وإعادة الاستعمال والحفاظ على الأوضاع الراهنة غالبا ما يثير في المقابل قضايا هامة كثيرة حول الأصالة الثقافية . ثم أن هناك أيضا أحجام وتكوينات التنظيم الفراغي (العمراني) غير المتأتية بالضرورة عن النظم الغربية أو تلك المغربَّة . وهنا يقفز للذهن مثلاً ، غياب " المشهد البانورامي" في الأنماط العضوية المعاصرة الثابتة للتشكيلات العمرانية في منطقة شرق آسيا . ومن الجانب الأنثروبولوجي ، فإن تقاليد وعادات الإحتياج

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

والوفاء لـ "الجماعة والخصوصية" و "الإستعمال الخاص مقابل الإستعمال العام" و "الملكية وحق الإنتفاع" أيضاً يمكن أن تتباين كثيراً، ويكون ذلك مصحوبا بنتائج حقيقية ومباشرة تطال التخطيط والتصميم . بالإضافة لذلك فالنتاج العمراني الضخم ، الذي تشهده حالياً منطقة آسيا وبلدان نامية أخرى ، ربما يفوق مثيله في أزمنة وأماكن أخرى ، ويثير في أقل الأحوال ، أسئلة جدٌ حقيقية حول كفاية خطط العمل الشمولية الدخيلة عبر مخططات عامة أو استراتيجية أو هيكلية – وحول الأنماط المحلية المألوفة أكثر للبناء في المدن . واقع الخبرة يتحدث عن وجود خيط رفيع بين الاوضاع المحتومة والتخلف الاقتصادي اللاحق والعكس – أي الاوضاع اللامحتومة وتأثيراتها البيئية السيئة العامة . هناك أيضاً قضية قديمة ومعاصرة وهي قضية الفراغات (الزوائد) المتروكة بين المباني ، والتي غالباً ما تقرن مع البنية التحتية وشكل الأرض . يبدو أن القضية لم تعالج برغم أعمال التنسيق الرائدة مرورا بـ كريستوفر تونارد وفن تنسيق المواقع الحديث ، والقائمة قد تطول و تستمر . الطرق المختلفه للتنظيمات وتقسيمات الأراضي ، وحتى الإحلال وإعادة الإعمار وكذلك الحفاظ ، وصولاً إلى التكوينات المعاصرة المهجنة ذات الأنواع المختلفة – كلها يمكن إستعمالها حالياً ، ولكن تطبيقها بشكل ملائم سيتطلب عناية فائقه وخيالاً خلاقاً. بإختصار ، فالتحضر العالمي ، خاصة إذا ما نظرنا له من نقطة كوننا أكثر تفاعلاً على المستوى العالمي وأن بحوزتنا وسائل تقنية أفضل ، يضع عدداً أكبر من القضايا أمام المخططين والمصممين عما كان في الغالب موجوداً في السابق ، وبالتأكيد عما كان في عام ١٩٥٦.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولا ريب أن جميع عمليات التخطيط والتصميم العمراني – من الإجراءات الخاصة بوضع القوانين والتقسيمات البلدية – عبر أعمال الإحلال والتجديد والحفاظ العمراني ، إلى مظاهرالتنوع المعاصرة - موجودة الآن ويمكن استعمالها ، لكن تطبيقها السليم يحتاج لمزيد من التحليق في فضاء الإبداع والابتكار. مجمل القول أن التحضر العالمي ، خاصة إذا ما نظرنا له من موضع قدرتنا على المشاركة على المستوى العالمي وحيازتنا لوسائل تقنية أفضل ، يضع أمام المخططين والمصممين قضايا تزيد عما كانت عليه في الماضي، وبالتأكيد عما كانت عليه في العام ١٩٥٦.

وفي نأينا هنا عما هو مختلف إلى ما هو ثابت اليوم من بين القضايا التي أثيرت في مؤتمر ١٩٥٦، تبرز أمامنا عدة قضايا ، على الأقل في الخطاب العمراني المعاصر. أولها معاودة الزعم بـ "خلو مدن اليوم من عنصري الجمال والبهجة" (١١)، وكان ذلك مدار بحث ونقاش رئيس في مؤتمر ١٩٥٦ ما يزال صداه يتردد إلى اليوم في الخطاب المهني وأحيانا السياسي . ونحن بدورنا لا نرغب بأن يصار إلى إغفال مسألة الجمال والبهجة في المدينة المعاصرة ، أو المبالغة في فكرة أن الجمال يكمن في عين الناظر . إلا أن على المرء أن يعي بأن تشكّي وتذمُّر وضجراليوم ليس بالأمر الجديد ، ولم يكُ بجديد في زمن عقد المؤتمر، وهناك ما يكفي من الشواهد التي تشير إلى أن المسؤولين في إيطاليا إبان القرنين الثاني والثالث عشر لم تسرُّهم نوعية التنمية في الضواحي خارج أسوار المدن . يمكن أن نقول نفس الشئ عن الرومان ، ولو نظرت إلى وجوه المسؤولين وهم يقفون أمام أحياء الفقراء في لندن وباريس ونيويورك لوجدتها عابسة!

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

جانب الإثارة في ردود الفعل والمواقف تلك ، قديما والآن ، يكمن في غرابتها وتضادِّها ، فهي حفاظيَّة من جهة وإصلاحيَّة من جهة أخرى – حفاظيَّة في حمايتها ودفاعها بشدَّة عن المظهر الحضري لنمط بعينه من الحياة ، وفي نفس الوقت إصلاحيَّة لارتباطها بإجماع كاف على أنها توجُّه إيجابي نحو الأمام . وعن كونها كذلك فهذا بحدِّ ذاته موضوع آخر . علاوة على ذلك فإن بروز تلك التوجهات غالباً ما كان يميل لمقارنات ومقاربات متعصبة جرت في الماضي في وقت كان يفترض فيه أن تكون أشكال ومظاهر التعبير الحضارية (جماليات المدينة) في وضع أفضل ، وأكثر إستقراراً أو كمالاً أو وضوحاً وجلاءا. السمة الأخيرة على الأقل كانت موجودة، خاصة إذا ما أخذنا في الحسبان طريقة الإسترجاع المبتورة بحذق وابتداع في العادة . لا ريب أن مظاهر الجدة والحداثة وتجنِّب الماضي لعبت دوراً في السعي وراء الجمال العمراني . فمعظم المخططات والرسومات العمرانية كانت تباع للعامة بناء على الجمال العمراني . و واقع الأمر أن معظم المخططات العمرانية كانت تباع للعامة بناء على وعود بأنها مختلفة عن الممارسات السابقة ، وأنها بشكل أو بآخر تتعامل مع واقع جديد . فحركة المدينة الجميلة ومخططات أولمستد الحدائقية كلاهما يلعب فيه هذا العامل دوراً هاماً ، أما اختلافهما فموضوع آخر . وبالرغم من ذلك ، فحينما ينظر للخطط بشكل عام على أنها مرتبطة بالابتكار والجدة و المعاصرة نجد أنها ، في الغالب ، يتم إستبعادها ورفضها بعد فترة قصيرة لعدم قدرتها على الإستجابة للتوقعات فيما يخص إرتباطها ببعض عوامل الماضي . ويبدو أن هذه النزعات قد حدثت للإسكان العام في الولايات المتحدة وفي أماكن أخرى من العالم .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويبدو أن الحالات التي يتفق دوماً على جمالها وبهجتها بسهولة ، في حالة التنسيق العمراني هي التي تحدث بشكل طبيعي في لحظات التجلي والإلهام الإبداعي والشعور بالمسئولية المجتمعية من قبل النخب القوية ،وهنا يرد للذهن البابا سيكتوس الخامس. أو في أوقات يطلق فيها العنان لممارسات إنشائية مترسِّخة ثقافيا ولكنها محدودة الإنتشار ، وهنا ترد للذهن تنظيمات سيهيوان وهوتونج للحياة اليومية في الإمبراطورية الصينية .

واضح أن هذه الأوضاع من الإتفاق العام والمستمر تغفل الكثير مما يمكن أن يكون مخفياً فيما بينهما – ولكن هذا الإعتراف ، على أي حال ، لا يستبعد الحالات التي لا يتفق بسهولة على جمالّياتها وبهجتها الدائمة ، خاصة تلك التي يتوقع أن تنتج في البيئات الذهنية التعددية وما بعد البنيوية المعاصرة ، كما أنها لا تستبعد العمل ضمن التوجهات المتفق عليه والمقبولة بشكل واسع . وإن كان هناك من إشكال فهو في الموقف الذي تم تبنيه عام ١٩٥٦ للأخذ بحل يعتمد على الجمع بين وجهات نظر التخصصات في المجالات المختلفة ، في حين يفيدنا التاريخ العالمي بأن تثبيت وجهة نظر خاصة بشكل جيد أو تركيز للوسائل المعتادة قد يأتي بذات التأثيرات المرغوبة .

القضية الثانية التي في الأقل تتماشى مع بعض جوانب الجدل المهني المعاصر هي في خطر الاستثمارات العقارية غير المنظمة ، التي وصفت عام ١٩٥٦ بأوصاف متعددة منها أنها أنتجت " تحسينات مفيدة لكنها تخلو من الذوق" وأنها " نظام ربحي يتقاضى سعر ما ينتجه من التحسينات الأخرى" . معنى ذلك جعل البيئات العمرانية المنتجة خالية عن عمد من مثل تلك التحسينات . (١٢)

من الواضح أن هذا التوجه في التطوير العقاري يمثل في الحقيقة خطراً جليا وقائما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إن ترك الحبل على الغارب ، برغم ندرة التحكم به في أجزاء كثيرة من العالم حالياً وكما في السابق . فالرقابة الحكومية والتخبط المؤسسي في مجال التحضر ، بما في ذلك تحولات السوق ، قد إزدادت في أماكن كثيرة ، لدرجة جعلت العاملين في صناعةالعقار يتململون من فرط التنظيمات وإساءة استخدامها . وبالمقابل ، فالتخطيط المركزي والتجهيز العمراني ، مع غياب التطوير العقاري المؤسسي للملكيات الخاصة ، نتج عنه أيضاً شح وفظاظة وسوء في المظهر في البيئات العمرانية في مناطق أخرى من العالم ، على الرغم من الإنطباع بوجود قدر لا بأس

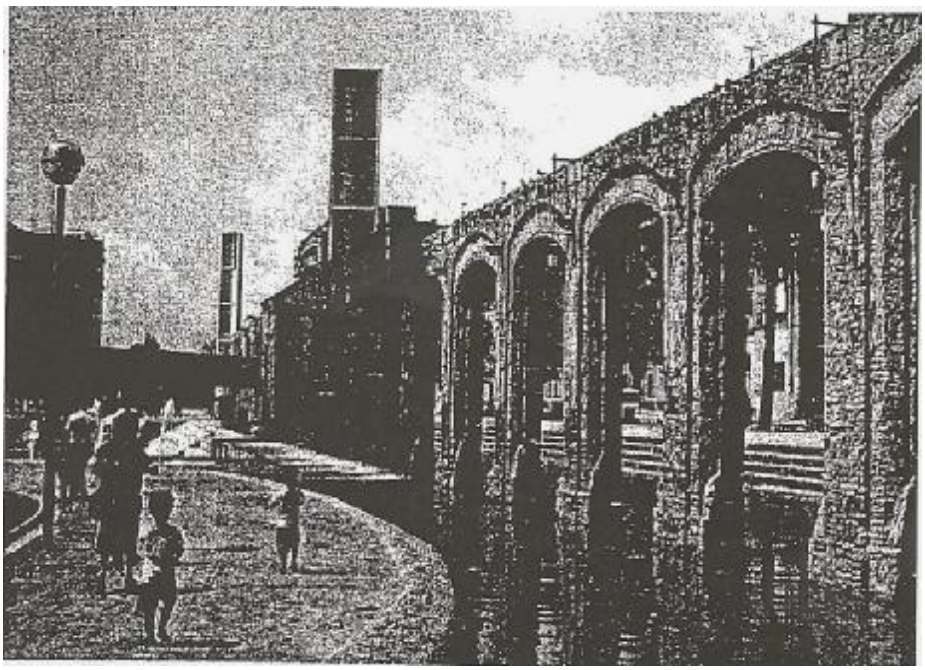

داني فريكسزهيجوشي . وفيسنت ميراندا ، برشلونه ، أسبانيا ١٩٨٥

من كتاب : برشلونه : الفن البيئي ، لـــ : شوشيروهيجوشي" بالرغم من تناقص سكان المركز إلا أن أنشطته تنمو وتزدهر .(من الأصل بالانجليزيه ، ص٥٦)

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

به من المساواة والعدالة في تلك المناطق . وتقع نقطة التعادل المقبولة بين هذه المواقف ، في حال وجودها ، ضمن الكيفية التي ينظر ويفسر بها المجتمع تنمية الملكيات في المدن ومدى رحابة هذا التفسير كي يستوعب ويوائم في آن واحد بين مجموعة عريضة من رغبات واهتمامات ومصالح التعاونيات الاجتماعية والحريات الاختيارية . فمثلاً حرية التعبير في البناء ينبغي ألا يصار إلى ربطها بلائحة الحقوق الأولى في الدستور الأمريكي ، ومن البدهي كذلك ألا يستبعد التجهيز المركزي مظاهر التفرد والتمايز الشخصي . ومع ذلك ، فمنذ ١٩٥٦ ، وكما ألمحنا سابقاً ، كان التقاء المصالح والاهتمامات المؤسسية مع السياسة يقف دون تحقيق أو الوصول لنقطة التعادل المقبولة بسهولة إلا فيما ندر . وردود فعل من مثل " ليس في الفناء الخلفي من منزلي" و " مقاس أو حجم واحد يناسب الجميع" تشير إلى ضيق أفق المشروع الاجتماعي . كذلك مقولات "لا نريد نمواً بأي ثمن" بما في ذلك إحتمال خفض حجم الاستثمار أو الانصراف عنه ، يمكن لها أن تتسبب في نشوء اختلالات بنيوية مماثلة . وهكذا يمكن للقائمة أن تستمر. وما يلفت النظر هنا ويستوقفنا هو الدور المُحرك لأصحاب المصالح الخاصة على اختلاف فئاتهم على مستوى رأب الصدع والإنقسام الواضح بين القطاعين العام والخاص الذي كان محل نقاش بين المشاركين في مؤتمر ١٩٥٦. إحدى نتائج ذلك أن إدارة شئون التنمية العمرانية في جانبها الثقافي وفي الجوانب الأخرى يمكن أن تكون مختلفة تماماً ، ونتيجة أخرى هي أن الحملة لدعم تصميم عمراني "جيد" من مجموعة بعينها ، سواء من داخل الحكومة أو من خارجها ، تواجه في الغالب شكوكاً في نتائجها أكثر بكثير مما كانت تواجهه في الماضي وبالتأكيد أكثر مما كانت تواجهه في ١٩٥٦ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

القوس الشامخ وساحته ، باريس ، ٢٠٠٥م

المصدر / Http://en.wikipedia.org/wiki/ file: Grande_ arch_de_la_defense.jpg

القضية الثالثة التي ظهرت خلال مؤتمر ١٩٥٦ وبدت واضحة في إستنتاجات سيرت هي إشكالية "الصراع " أو " عدم الإتفاق" بين المخططين والمعماريين . وهي إشكالية قديمة جديدة بانقساماتها واختلافاتها حول ذات المفاهيم والمقولات والذهنيات التي تم التعبير عنها في ١٩٥٦ مثل "الهواجس والشكوك التي تساور

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المعماريين بأن المخططين يجهلون "العالم ثلاثي الأبعاد "، وتلك التي تساور مخططي المدن بأن المعماريين لا يعرفون شيئاً عن تخطيط المدن ". [١٣] وكي نكون منصفين فإن المواقف في وقتنا الحاضر نادراً ما تكون مجزئة ومنقسمة على نفسها إلى تلك الدرجة. وبالرغم من ذلك ، فإن الإنسان غالباً ما يفاجأ بالمدى الذي بلغته مناقشات النواحي الجمالية والاعتبارات السياسية- الإقتصادية في بناء المدن ، إلى حد اعتبارها سفناً عابرة في الظلام . وللشروع في معالجة هذه المشكلة علينا أن نعاين طبيعة ما يحدث لدى تعريضنا أناساً لـ "أنماط معيشة" مختلفة – مستخدمين هنا تعبير وتجنستين – ومن ثمَّ محاولة تقصِّي وتبيُّن تلك السُبل التي يمكن أن تحقق المزيد من المصالحة والمشاركة والتقارب . هناك توجه سائد يؤخذ به ضمنا في التخطيط والتصميم العمراني المعاصر في مجالات العلوم المترابطه وهو نوع من المعايشة أو "القراءة" في أشكال مختلفة من الحياة تكسب المخططين لغة تخطيطية ناقدة ، والمعماريين الجاهزية في الأنواع المختلفة من المعاييرالإجتماعية. وهناك سبيل آخر غير شائع يتمثل في استعراض أشكال مختلفة من المعيشة ومن ثمَّ البحث عن حالات أو مناهج ترتبط مبادىء ونتائج إحداها بصلة إلى الأخرى. فمثلاً ، تسلك الدراسات المكانية الحديثة حول إقتصاديات التجمعات العمرانية هذا الاتجاه في تحليلها لدور الخدمات وجودة البيئة في إجتذاب وتشكيل الإستثمار ، مما يجعل أسلوب التحليل لنمط ما من أنماط الحياة واضحا أمام اهتمامات نمط آخر والعكس صحيح. السبيل الثالث قوامه كشف ما يحدث لمباديء وجوهر"أنماط الحياة" حينما تحيد أساليب استخدامها ومناقشتها عن النمط "المعتاد" بشكل جذري. وهنا تحضرنا على سبيل المثال حكاية معلم الحساب الذي لا يواجه أدنى

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

صعوبة في إقناع الطلاب بأن ٢+٢=٤ ، لكنه يكتشف لدى ولوجه عالم السياسة أن تأويل النتيجة من قبل زملائه (السياسيين طبعا) يتراوح بين ٣,٥ إلى ٤,٧. مغزى الحكاية توضيح أن ما هو ثابت في مجال ما قد لا يكون كذلك بمنظار آخر . وهذا يعني إمكانية النقاش المتبادل بين التخصصات المختلفة ، وهو ما يتأتى بتلافي وضعنا وجهة نظر تحت أخرى أو وضعهما معا تحت ما يفترض أن يكون عباءة جامعة لم يحسن نسجها كما حدث في ١٩٥٦.

يعتبرالتصميم العمراني في أساسه نشاطا يستخدم فيه التصميم كطريقة تعامل فعّالة مع اللاقياسية الواضحة للمحددات التي تنجم عن القضايا والمشكلات التنافسية في أعمال الإنشاء وإعادة الإعمار شاملة الموارد ، والقيم المثالية ، واعتبارات الإستعمال الملائم . وهو ليس تخصصاً مستقلا بذاته أو شيئاً قريباً من ذلك كما كان متخيلاً في ١٩٥٦، كما أنه لا يحتاج ولا ينبغي عليه أن يستبعد المشاركين من تخصصات غير تخصص التصميم ، كما ينبغي ألاَّ يقود لتفريقات عشوائية بين المعماريين ، ومنسقي المواقع ، ومصممي البيئة ، والمخططين العمرانيين . وإضافة لذلك ، يبدو أن التصميم العمراني لديه خاصيَّة تواصل أكثر – كاحتياج إجتماعي مرغوب – في فترة التحولات الفردية التي (صاحبت) التنمية العمرانية السابقة ، مع تكرارنا لعدم حاجته في أن يكون كذلك. كان هذا بالضبط نوع القضايا التي واجهها المشاركون في مؤتمر ١٩٥٦ حينما أدركوا خطأ إعتقادهم باتساق التكوين العمراني للمدن الأمريكية . وما يسترعي الاهتمام أيضاً أننا بتنا نلحظ وجود تعابير من مثل "التوجيه، بانوراما المدينة (جمالية المنظرالعام للمدينة) في قاموس وفكر ونقاش العامة في شرق آسيا، حيث ظهرت الموجات الأولى من التنمية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

العمرانية الجديدة أو أنها في طور الإنتاج حاليا . وفي هذا الشأن ، فإن التصميم العمراني كدائرة نشاطات سيصبح أكثر إنتشارا و تقدما وازدهارا ، إن لم يكن أكثر أهمية ، حيث العالم مقبل هذا العام (٢٠٠٦) ، على وضع يشكل فيه سكان المدن وللمرة الأولى في التاريخ الغالبية. بالإضافة لذلك ، فإن الجوانب الشمولية للتصميم العمراني ، خاصة مع الإنتشار النسبي للممارسة على المستوى الدولي في وقتنا الحاضر ، تظهر إحتياجاً استثنائيا لتحليلات وتفسيرات ثقافية ناقدة . ويرد التوجه النقدي هنا لكون معظم تطلعات وأماني وطموحات المجتمعات في حراك دائم يلزم معها أن تكون هناك مسايرة مدروسة و واعية للمواقف الاجتماعية والسياسية وأساليب إنجاز الأعمال . نحن نشهد الآن تركيزا ثقافيا يكرِّس للتباين والاختلاف وليس للتماثل في مناطق مختلفة من العالم ، ندرك بعضه بحواسنا ، لا بل ويزداد ضراوة في مناطق أخرى من العالم برغم محاولات وجهود التخفيف من حدته عبر العولمة.

بالإضافة لذلك ، لا بد لتقنيات العرض ، التي تعتبر ضرورية في مجال التصميم كما هي في "أساليب الحياة " الأخرى ، أن تواكب التنوع الحر في آفاق التحضر وكذا الظروف الباعثة على التحضر في أنحاء مختلفة من العالم ، وذلك بالمزيد من العمل والتطوير . وما من شك في أن بعض إشكاليات التصميم العمراني معروفة بشكل جيد، ولكن البعض الآخر ليس بالضرورة كذلك ، فضلا عن أن البيئة العالمية والأوضاع المختلفة القائمة توحي بتجنب أي طرح مرتجل لوجهات نظر و نظريات غير واقعية ، وتشير إلى دائرة عملاء مختلفة جدا وأكثر إتساعاً مما كان هناك في

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١٩٥٦ ، عبر التوسع في المصالح والاهتمامات المتناسقة التي صاحبت التحولات والتغيرات في المجتمعات ، ونشوء دولة المجتمع ، والتطور العالمي. وأخيراً ،

مركز لوجيزوي التجاري والمالي ، شنجهاي ، الصين ، ٢٠٠٦م

الصوره : إليكس نيدهام

المصدر:

Http:// en, Wikipedia.org/wki/Lujiazui

فالتصميم العمراني ، كدائرة نشاط ، يحتمل أن يستمر في الاتجاه الإصلاحي المحافظ – حسب الدلالات التاريخية – على الأقل ، فيما يخص الإبقاء على الأساليب القائمة المتبعة في بناء المدن والقيم المجتمعية والقيام في ذات الوقت بتحسينها وتوسعتها وتعزيزها. حتى في الحالات التي يكون فيها التغيير هدفاً – كما في أجزاء من شرق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

آسيا – فإن من الصعب إستبدال مجموعة قيم بأخرى بشكل كامل أو تـام ، خشية ألا يذهب السيئ – في غمرة الاستبدال والتغيير – بالراسخ من الطيِّب والجميل !!

مـــــلاحظـــات :

١ - (ترجمة ماكي من النص الياباني الأصلي).
YosukHirayama,Fukanzentosbi,Kobe,Nyuyoku, Berurin(Kobe, New York, Berlin: Gakugei Shuppansha, 2003), (my translations from the original Japanese).

٢- مثال ، المعماري جيانكارلو دي كارلو كان مدعواً لــ إم آي تي (معهد ماساشوستس للتقنية) ويوسي (جامعة كليفرونيا) بيركلي في ذلك الوقت . تلى ذلك ورشة صيفية ، نظمت أساساً حول دي كارلو ودونلين ليندون ، استمرت في سيينا . في عام ٢٠٠٣ عقدت ورشة تصميم عمراني دولية ، حضرها باحثون شبان في جامعة بوسان ، في كوريا الجنوبية . كما عقدت مدرسة الدراسات العليا للتصميم (هارفارد) وجامعة كيو ورشة دراسية مشتركة ، خلال السنوات العديدة الماضية ، تتعلق بإعادة تنظيم طوكيو . كما أسست جامعة واشنطن في سانت لويس إستديو طوكيو الذي يتم دعمه بالعديد من الأكاديميين اليابانيين .

٣- The Future Metropolis, Lioyd Rodwin , ed. (NewYork, G.-٣ Braziller, 1961) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كيف كنّا ... وكيف أصبحنـــــــا !

النظرية والممارسة في تصميم المدن منذ عام ١٩٥٦

جوناثان بارنت

" قيام برلمان (كونجرس) الولايات المتحدة الأمريكية بتخصيص بليون دولار أمريكي لتوفير بيئات عمرانية جديدة يضع على عاتقنا مسؤولية لا يمكننا التخلي عنها. "[١] تلك كانت بداية حديث إدموند بيكون في مؤتمر التصميم العمراني الذي عقد بكلية الدراسات العليا بجامعة هارفارد في عام ١٩٥٦ حاثاً إيَّانا على التأمل في تاريخ التجديد العمراني ..في ضعف قوة ذلك البليون من الدولارات في عرف النقد الحالي .. وفي الافتقار الراهن لمثل ذلك الالتزام من جانب الكونجرس ، فغياب المعونة الاتحادية لتمكين المدن من شراء الأراضي والمباني يؤثر كثيرا في تصميم مدن اليوم ، لهذا شكل تدفق الأموال الاتحادية محورا رئيسا في معظم جلسات مؤتمر ١٩٥٦ في هارفارد حول الدور الإرشادي للمصمم العمراني . ففي خمسينيات القرن الماضي دأب المطورون والنواب المحليون على الاستماع لمديري إدارات التجديد العمراني ومديري شؤون الإسكان ومديري تخطيط المدن و المصممين العمرانيين العاملين معهم ، حينما كان بإمكان هؤلاء المديرين فتح باب تدفق الأموال الاتحادية والمساعدة في تحديد كيفية إنفاقها . أما وقد توقف الدعم الاتحادي وبات على المدن الاعتماد على مواردها الخاصة فقد أصبحت قضية تخطيط المدينة إحدى جوانب إدارة وترشيد الأثر التراكمي للقرارات اليومية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المتعلقة بتحديد المناطق والمعونات الإسكانية والأشغال العامة واكتفى مديرو التخطيط والتجديد العمراني أكثر بالإدارة لا المبادأة ، ولينحصر دور المبادأة بشكل رئيس في مصلحة تخطيط النقل والمواصلات بالولاية ــ الذين هم في الواقع مخططوا المدن الثانويه اليوم ــ والمستثمرين العقاريين .

كان رعاة مؤتمر ١٩٥٦ محقين في تحديدهم للتصميم العمراني كعملية تعاونيـــة، لكنهم جانبوا الصواب بحصرهم لهذه العملية التعاونية في المعماريين والمخططين ومهندسي تنسيق المواقع . فماذا عن دور المهنـــدس والمســـتثمر (المطـــوَّر) العقاري والمسؤول العام المنتخب ؟ والمجتمع أيضا ؟ حضـــرت جـــين جيكـــوبز مؤتمر ١٩٥٦ في هارفارد وتقدمت بنقد مقنع للتجريد وللتصـــميمات العمرانيـــة الهندسية في مشروعات التجديد العمراني في المعـــرض المصـــاحب للمـــؤتمر . ومن المثير توافق المفكر الاجتماعي والناقد العمراني لويس ممفورد التام مع جين جيكوبز هنا في مؤتمر هارفارد ثم الشجار العام والحاد معها عقب نشـــرها - بعـــد خمس سنوات لاحقة - لمؤلفها النقدي للتخطيط والتجديد العمراني " موت و حياة المدن الأمريكية العظمى". يقول ممفورد في معرض موافقته : " إن لم يحقق هـــذا المؤتمر سوى أن ننادي عند عودتنا من حيث أتينا بأن تصميم مشروعات كبيـــرة على حساب زعزعة وتدمير حميمَّية العلاقات الاجتماعية للمجتمعات يعتبـــر خطـــأ فادحا وحماقة أكيدة فقد حقق الكثير "[٢]

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ماهيّة المدينة المصممة ، من يقف وراء إحداثها .. ومن يوجِّه تصميمها ؟

اليوم .. تــُجمع غالبية المختصين بالتصميم العمراني على أن المدينة المصممة جيدا تمتلك ثلاثة أسس هي : حفاظها على البيئة الطبيعية وتأقلمها وتعايشها المتناغم معها، تأمينها للخدمات والمرافق العامة وسبل الحياة الفضلى (نقل ، شوارع ، أماكن مفتوحة، تسوق ، ترفيه ، حدائق ، ترويح) ، وتوفيقها بين البشر في مجاوراتهم السكنية وفي أماكن العمل وفي المراكز الحضرية باستعمالاتها المختلطة.

الجماعات الثلاث الرئيسة التي تقف على تنفيذ مفاهيم التصميم العمراني هم : البيئيون الحريصون على تشكيل التنمية بما يحفظ البيئات الطبيعية ونظمها، والناشطون المدنيون الساعون إلى تمييز مدينتهم بحياة مدنيَّة أفضل تجعلها متقدمة في مجالات المنافسة مع مثيلاتها ، ثم الناشطون الإجتماعيون الحريصون على حماية وإحياء أماكن عيشهم والساعون لقراءة العمران الحديث بملامح تراثية (ارتباط إيجابي بالماضي ، واتصال بالمستقبل).

تصميم المدن في الوقت الحاضر تشترك فيه مجموعة قوى متشــابكة ومعقــدة : استثمارات خاصة ، منح وحوافز القطاع العام للتنميــة ، تشــريعات حكوميــة ، مشاركة المواطنين ومعارضة المجتمع . وعلــى المصــمم العمرانــي المحتــرف ضرورة معرفة كيفية التعامل مع هذه القوى وتوجيهها نتيجة الارتبــاط المباشــر لتخصصات التنسيق والعمارة وتخطيط المدن كل بمفرده بإحدى هذه القوى الداخلة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في التصميم العمراني ، ما يعني ضرورة حيازة المصمم العمراني على تأهيل مهني في إحدى تلك التخصصات و إلمام بجميعها . ولكن يبقى السؤال المطروح حول كيفية إشراك المصمم العمراني في عملية صنع القرارات .

التصميم العمراني والبيئة الطبيعية

كان إيان ماكهارج - الخريِّج الحديث من هارفارد في مجال تخطيط المدن وتنسيق المواقع- يُدرس في جامعة بنسلفانيا عام ١٩٥٦ ، وفي السنة التالية بدأ في تدريس مساقه الجامعي بعنوان "الإنسان والبيئة" الذي أفضى لظهور برنامج تلفزيوني تحت مسمى " البيت الذي نعيش فيه" ومن ثم لصدور كتابه "التصميم مع الطبيعة" . ويعتبر ماكهارج البيئة الطبيعية مكافئة للتصميم ومتوازنة في عناصرها من تشكيلات جيولوجية ومطر ومياه فيضان وأحوال تربة وغطاء نباتي وحيوانات. ومن شأن التدخل الفجّ المتلف للأنساق الطبيعية أن يفضي إلى نتائج وخيمة ، وهي شجون بيئية سندركها عندما تستُوعب أطروحة ماكهارج ، التي تدرك ما يهدد البيوت الصيفية المبنية على الكثبان الرملية من زوال وقت الإعصار، وما يهدد شوارع ومساكن مدينة الانزلاقات الأرضية لوس انجلوس من غور في قيعان الأودية ، ومدينة هيوستن من فيضانات ستغمرها !

هناك نقطة لم يستطع المشاركون في مؤتمر هارفارد للتصميم العمراني إدراكها وتمييزها تمثلت في الفشل في ربط البيئة الطبيعية بالتصميم العمراني ، لكن ريتشارد نوترا قدم استثناءا مثيرا بقوله : "جمال المدينة الذي نصبو إليه ينبغي فهمه في المقام الأول على أساس المحيط الحيوي" [٣]، وهو ما تدعو إليه آن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سبيرن ، على خطى فلسفة ماكهارج ، في كتابها "الحديقة الجرانيتية: الطبيعة في المدن و التصميم الإنساني." [٤] (سبيرن كانت إحدى تلامذة ماكهارج في جامعة بنسلفانيا وعملت رئيسا لقسم تنسيق المواقع بجامعة هارفارد) . وقد أسهم ماكهارج في تحديد الحاجة لما يعرف اليوم بنظام المعلومات الجغرافية باستخدام الحاسب الآلي عوضا عن الأوراق الشفافه التي كانت ترسم باليد وتستغرق وقتا وجهدا كبيرين . تحليلات ماكهارج من خلال تلك الأوراق كانت توضح أكثر المواقع ملائمة للبناء ضمن البيئة الطبيعية.

واليوم يعتبر نظام المعلومات الجغرافية بما يوفره من تحليلات مكانية أداة فاعلة تمكن المصمم العمراني من فهم ووصف النظم الطبيعية بمقاييس متعددة وتوضيح التأثيرات المحتملة للبدائل التخطيطية في مكونات النظام البيئي. كما يتيح مناقشات تفاعلية لقرارات التصميم الاقليمية بعيدة المدى كاختيار مسارات الطرق الخارجية ، وهذه إحدى الوسائل التي توفر للمصمم العمراني مقعداً بين صناع القرار .

التصميم العمراني كرؤية مدنيّة

نقرأ في مقدمة مؤتمر ١٩٥٦ التي أوردتها مجلة بروجريسيف آركيتيكتشر Progressive Architecture بأن رعاة المؤتمر تفادوا استخدام عبارة التصميم المديني لما فيه ، برأي العديد ، من إضفاءات وإيحاءات مغالية في التخصص أو التكلف".. واختارت كلية الدراسات العليا للتصميم بجامعة هارفارد عبارة "التصميم العمراني" كمسمى لمؤتمر١٩٥٦ و " للعمل المشترك بين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المعماري ، ومنسّق المواقع ومخطط المدن." وبرفضهم الصريح لمسمى التصميم المديني فهم ينكرون توجهات حركة المدينة الجميلة بحدائقها وشوارعها المزدانة بالأشجار - والتي هي تكرار لتصميمات هاوسمان لمدينة باريس و المعرض الكولمبي العالمي في شيكاجو (بتشكيلاته المبالغ فيها ..)- وتوكيده على تجميع المباني العامة في مركز مدني (حيث المغالاة في التخصص) . وبتحديد التصميم العمراني كتعاون بين المختصين وليس مجرد سلسلة من أهداف تصميمية بعينها لم يعد ينظر إلى تخطيط المدن على أنه منتج نهائي، وإنما عملية ونشاط مستمر.

بفضل مؤتمر هارفارد عام ١٩٥٦ أصبح مصطلح "التصميم العمراني" هو المقبول والمتداول، وبات من المتعذر تغييره أو حتى التفكير بذلك . لقد ناقش المشاركون في المؤتمر العديد من القضايا الحالية التي تواجه التصميم العمراني ، كما ساعد المؤتمر كذلك في صياغة التصميم العمراني بطريقة جعلته يسهم في خلق المعضلات الحالية التي تعوق الوصول لمدن متناغمة و متوازنة ، وشكـّل التخلي عن استخدام المفردة "مدني" تطورا ملحوظا في أولويات تصميم المدن. وتعبر الرسومات المصاحبة لملخص المؤتمر عن النفعيّة وربما المساواة الاجتماعية ، وعدا رسومات المدينة الحدائقية لـــ راد بيرن و ويلوين لا توحي تلك الرسومات بتطلعات إجتماعية معقده .

وبرغم إستقاء لغة التصميم المدني في الولايات المتحدة الأمريكية من طرز العمارة الكلاسيكية الفخمة في أوروبا ، لم يتقبل الأمريكيون أبدا تلك الطرز التصميمه لأنهم لو تقبلوها فكأنهم يصنعون مكانا يشاهدون منه المركبة الملكية تذرع الطريق الرئيس لحضور مناسبة حكومية . لقد كان معرض شيكاجو ١٨٩٣حفلا شعبيا ممتعاً شهدت فيه محطتا جراند سنترال و بنسلفانيا للنقل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الجماعي أعداداً هائلة من الركّاب ، وفتحت المتاحف والمكتبات الرائعة أبوابها للجميع ، وكذا فعلت المجمعات المدنية الكبرى في غالبية المدن . إلا أن استخدام هتلر و ستالين للغة التصميم الكلاسيكية تلك ولـّد لدى العديد من الناس الإنطباع بأن مثل تلك التصاميم الأوروبية باتت ليست قديمة ولا تناسب العصر فقط وإنما تكرس للغة الظلم والاضطهاد ، ولهذا نأى رعاة المؤتمر بانفسهم عن عمارة أوروبا الكلاسيكية ، وهي العمارة التي رفضتها هارفارد طيـــــــلة عشريـــــن عاما، ولكن الإشكالية هي في الخلط بينها وبين التصميم المدني ، وما تزال هذه الاشكالية قائمة إلى اليوم .

إن رفض الجانب المدني للتحضر يحيل ممرات المشاة والفراغات الأخـــرى إلـــى فراغات بينّيه (بين الأبنية) يقتصر دورها على مجرد تـــوفير الضـــوء والهـــواء ومرور المشاة . ومع أن معظم الساحات في المدن في الخمسين ســـنة الماضـــية تضفى جمالاً على المباني المطلة عليها إلا أنها لا تحظـــى بقيمـــة تـــذكر علـــى المستوى الإجتماعي. لقد جاءت دراسات جان جيل و وليام وايت لتوضـــح لنـــا كيف يستخدم الناس الفراغ العام ، مما ساعد المصـــممين علـــى كيفيـــة تصـــميم وتجهيز ممرات المشاة والفراغات العامة بحيث يستفاد منها عمليا و تعـــود لهـــا أهميتها في حياة المجتمع. أما الدروس الأخرى التي يمكن الاستفادة منها فجاءت من الأساليب التي يتبعها تجار التجزئه لجذب الزبائن في الفراغـــات العامـــة ، إذ أصبح ترويج المكان وتحبيب الناس فيه وجذب إهتمامهم إليه على غـــرار نشـــاط البيع بالمفرق في هذه الأيام . فبائعوا التجزئه يقولون: أنظروا .. كم هـــي جيـــدة هذه البضاعة ! مما أعاد للفراغات المدنية أهميتها كعنصر جـــاذب للنـــاس إلـــى المدينة وإبقائهم فيها . والحاجة ماسة الآن لمصممين عمرانيين قادرين على بعث

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحيـــــاة فـــــي تلـــــك الأمـــــاكن وجعلهـــــا جاذبـــــة للنـــــاس .

لقد أصبح تحديد الفراغات المدنية مع مجموعات من المباني المصممة من قبل عدد مختلف من المعماريين في فترات غير معلومة مهمة رئيسة بالنسبة للمصمم العمراني. ومع إعادة اكتشاف أهمية الفراغات المدنية ، اكتشف المصممون العمرانيون أيضا الوسائل المستخدمة في الماضي لتجميع هذه الفراغات معا : إرشادات بارون هاوسمان في باريس ، وتلك المستخدمة في منطقة باك بي في بوسطن ، ونظام تحديد المناطق لعام ١٩١٦ لمدينة نيويورك حول أسوار وارتدادات الشوارع المستندة إلى الشكل .. وهي عناصر تصميم مدني مستمدة من التراث الكلاسيكي لكنها تجريدية بما يكفي لإدخالها ضمن نظم تحديد المناطق، وهي نظم تحدد دائما شكل المدينة. لكن النظم الحديثة التي استخدمت في ستينيّات القرن الماضي أتت بنسب مسطح الأدوار كضابط أساسي لتوفير مرونة في ارتفاعات المباني والتشكيلات العمرانية للمدينه . إن تدوين الموقع والشكل المفضل للمباني في هيئة نظم يجعل من هذه النظم أداة رئيسة لتحقيق مفاهيم التصميم العمراني . كانت بداية تطبيق نظم تحديد المناطق في مدينة نيويورك في ستينيّات القرن الماضي تلتها إرشادات التصميم الخاصة بمدينة باتاري بارك في أواخر سبعينيّات القرن الماضي و "الخطط التنظيمية" التي استخدمت في سي سايد والمناطق الأخرى المخططة في ثمانينيّات القرن الماضي. والآن يجري تطبيق النظم المستمدة من التكوينات العمرانية في مدن لويسفيل و ناشفيل وفي مقاطعة ميامي – ديـــــد وفي سانت بول .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ناقش فريديريك آدامز مسألة اللجوء لتحديد المناطق لتنفيذ التصميم العمراني في مؤتمر هارفارد ، لكنه افترض بأن مطلب تحقيق تصميم جيد يقتضي توفر قدر كبير من الحنكة الإدارية ، إلا أنه يشك في أن يترك الأمر للتقدير الشخصي للمسؤولين الحكوميين كي يمارسوا هذا النوع من التصرف. إن عدم تفاؤل آدم كان مبرراً ، لكنه قلل من قدرات المصممين على تبيان السمات البارزة للتصميم المدني الجيد وإخراجها بطرق متوافقة مع نظم تحديد المناطق. نعم، لقد مكنت صياغة النظم والتعاطي معها المصممين العمرانيين من المشاركة في صنع القرار !

دور التصميم العمراني في تدعيم التفاعل والتواصل الاجتماعي

تخطيط المجاورة السكنية كما عرَّفه كلارنس بيري و آخرين في عشرينيّات وثلاثينيّات القرن العشرين أعيد إكتشافه في الستينيّات كتوجه مضاد لأعمال التجديد العمراني. دعنا نستعيد ثانية قول لويس ممفورد " الحماقة الأكيدة أن نصمم مشاريع كبيرة على حساب زعزعة وتدمير حميميَّة مجتمعاتنا . " وعندما بدأ المخططون والمعماريون بالإصغاء للسكان والتخطيط معهم أخذوا في تصميم مباني وفراغات تناسب وتتناغم مع الأحياء القائمة بدلاً من العمل على استبدالها . وحدثت إعادة إكتشاف تخطيط المجاورة السكنية للمرة الثانية في ثمانينيّات القرن العشرين للتصدي لنمطية مساكن الضواحي المشيدة في مساحات شاسعة و معزولة عن المتاجر وأماكن العمل ، فقد استبدل ذلك بتنمية سكنيَّة جديدة ضمت مجاورات سكنيَّة متقاربة عمرانيا وفي حدود مسافات سير معقولة وأنماط مختلفة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من المساكن وأعداد من المتاجر والمباني المدنيَّة على غرار الأنماط التقليديَّة التي كانت سائدة في المدن والضواحي قبل الحرب العالمية الثانية . وكانت هناك أيضا محاولات من بعض المصممين لإعادة الطابع المعماري للمجاورات السكنيَّة في فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية ، لكن موضوع استخدام الطابع التقليدي غير مرتبط بفكرة تصميم المجاورة السكنية ولا يعدو كونه مرحلة انتقالية . لقد مثلت مساعدة المطورين في تنمية أماكن جديدة متوافقة مع التفاعلات الاجتماعية التي تعتبر عماد المجاورات السكنية ومساعدة المدن في الحفاظ على المجاورات السكنية التقليدية والمناطق الحضارية ذات الأهمية التاريخية وترميمها أنشطة رئيسة بالنسبة للمصممين العمرانيين، وبذلك أصبح التصميم العمراني جزءا هاما في منظومة القرارات التي تشكل التنمية في المدن والضواحي .

ما من شك في أن رعاة مؤتمر ١٩٥٦ في هارفارد والمشاركين فيه كانوا متفقين على أهمية المجاورات السكنية وهو مبدأ قبلت به مجموعة سيام وظهر حتى في أعمال الرافضين أمثال لوكوربوزيه ، ولكن بدا أن المتحدثين في المؤتمر، بما فيهم جين جيكوبز، لا يرون في المجاورة السكنية عنصرا تشترك به المدينة والضاحية بما يجعله وحدة أساسية في المدينة الحديثة ذات المراكز الحضرية المتعددة . بل كانوا يرون في المدينة والضاحية ضدَّين متخاصمين وأن الضاحية كما في المدينه، ضلَّت وحادت عن السبيل.

عندما تحدث المشاركون في مؤتمر هارفارد ، كان جان جوتمان في بداية بحثه الذي نشره في عام ١٩٦١ بعنوان " المدينة العملاقة"، وهو كتاب يوضح بأن المدن المنفصلة كانت تنمو معاً في السابق معا في تجمعات هائله تنتشر على

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مساحات جغرافية كبيرة . و قد أسهم بذلك في تغيير مفهومنا جميعاً تجاه المدينة الحديثة . ففي العام ١٩٥٦ ، لم يكن وسط البلدة موجوداً إلا في المراكز التقليدية القديمة في المدن الكبيرة أو مدن الضواحي. أما اليوم فقد أصبح مركز المدينة بأنشطته المختلطة مفهوما يأخذ به المطورون العقاريون ويطبقونه في أنواع عديدة من الأماكن ، وباتت مباني المكاتب والعناصر الحضرية الأخرى التي كان وجودها مقصورا على مراكز المدن متناثرة هنا وهناك مشكّـلة ما يعرف بـــ " مدن بلا حدود " . وأصبحت مدينة اليوم كائنا حضاريا معقدا و شائكا ما يزال في طور التكوين تشكل مهمة توجيه تنميتها التحدي الرئيس أمام المصممين العمرانيين. سوف يسعد خوزيه لوي سيرت ومعظم المتحدثين في مؤتمر هارفارد ١٩٥٦ لوجود مئات من الشركات العاملة في مجال العمارة وتنسيق المواقع والتخطيط ، وهي تقدم خدمات التصميم العمراني كجزء هام من ممارستها المهنية، وأنه قد تم تنفيذ العديد من مفاهيم التصميم العمراني. لكن عليهم أن ينظروا إلى هذا العالم الآخذ بالتحضر بشكل متسارع كي يخبرونا عن الكم الهائل من القضايا والمشكلات التي يتوجب على المصممين العمرانيين إيجاد الحلول لها، فخبراء السكان يتوقعون أن يستقر العالم عند عشرة مليارات نسمة في الخمسين سنة القادمة. لو إستطعنا تجنب الحروب والمجاعات والطاعون ، وهي التصحيحات للإنفجار السكاني التي تنبأ بها ثوماس مالثوس، فربما يتمكن الناس حينئذ من إبداع بيئات عمرانية متكاملة ، ومنسجمة مع الطبيعة . والأمل كل الأمل أن تكون هناك مجموعة من المقالات كهذه المقالة تنشر بعد خمسين سنة من وقتنا هذا.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الملاحظات :

١ - ``Urban Design,`` progressive Architecture, August, 1956,108.

٢ - المرجع السابق، ١٠٣.

٣ - المرجع السابق ،٩٨.

٤ - New York: Basic Books,1985.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أين وكيف يحدث التصميم العمراني ؟

أليكس كريجر

في العام ١٩٥٦، نظَّم خوزيه لوي سيرت مؤتمراً عالمياً في كلية الدراسات العليا للتصميم بجامعة هارفارد لإثارة إهتمام فكري ومهني بموضوع خاص بمشكلات المدن و التحضر أسماه " التصميم العمراني" . مشاركون كثر إنكبُّوا على مناقشة الحالة المتأزمة للمدن ومستقبلها من بينهم جين جيكوبز التي لم تكن قد اشتهرت آنذاك ، و البارز إدموند بيكن ، والشخصية الأوليمبية المؤرخ العمراني والناقد الاجتماعي الأمريكي لويس ممفورد ، وبعض قادة فريق العشرة (الوشيك تشكيله) ، ولفيف من أعلام من مهندسي تنسيق المواقع أمثال هيديو ساساكي، و جاريت إيكبو ورؤساء البلديات ممن لهم صلاحية تبني مشروعات التجديد العمراني أمثال عمدة مدينة بيتسبيرغ ديفيد لورانس والمبدعين أمثال فكتور جروين " مبتكر المول التجاري " .

وقد أجمع المشاركون على أن إزدياد الهوَّة الفكرية التي كانت آخذة في الظهورمنتصف القرن الماضي بين فن البناء والطبيعة الممنهجة للتخطيط لم تكن في صالح عمارة المدن أو أعمال إعادة إعمارها في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية . لقد عمَّت الآمال وانتشرت الأفكار في أمريكا وأوروبا بظهور تخصص جديد موجَّه لتصميم المدن ، وقيام مجموعة سيام منذ مطلع أربعينيات القرن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الماضي بالتركيز أكثر على موضوع المدن و التحضر . وكان المشاركون في المؤتمر قد وطدّوا العزم على تقاسم هذا الفكر والعمل على نشره آملين من التخصص الجديد أن يعمل على تجسير الهوة بين التصميم والتخطيط. وفي بضع سنوات شرعت جامعة هارفارد في تقديم أول برنامج لمنح الدرجة العلمية في تخصص التصميم العمراني لتخريج مصممين عمرانيين كان العالَم الذي يشهد تحضرا سريعا في أمس الحاجة لهم.

وقائع جلسات ومحاضرات ومداولات مؤتمر ١٩٥٦ تكشفت عن تعريفين عمليِّين للتصميم العمراني صاغهما منظم ورئيس المؤتمر خوزيه لوي سيرت، حيث نقرأ بأن التصميم العمراني "هو ذلك الجزء من التخطيط الذي يتعامل مع التكوينات العمرانية للمدينة." وهوما يصنف التصميم العمراني كعنصر داخل في التخطيط ، كما يصفه أيضا بأنه " المرحلة الخلاقة في تخطيط المدن ، التي يكون للخيال والقدرات الفنية فيها نصيب وافر." وعليه ، تقدم سيرت في مستهل المؤتمر بهدف طموح وهو " ايجاد الأساس الجامع للعمل المشترك لكل من المعماري ومنسق المواقع و مخطط المدن ... هذا الأساس هو التصميم العمراني حيث أنه الأوسع طيفاً من بين تلك التخصصات المهنية الثلاث. " و ارتأى سيرت أن لدينا تخصُّصاً جديداً وأنَّ على جميع المشتغلين بالتحضر ، بحسب توصيفه ، ممارسته!

و اليوم بعد نصف قرن لا يزال هذان الفمهومان هما السائدان ، إلا أنه لم يتم بعد إرساء تعريف دقيق للتصميم العمراني . كما لا يزال الجدل قائماً عما إذا كان يمكن الإقرار به كتخصص مهني يشار إليه بالبنان أم أنه وجهة نظر عامة يمكن تجسيدها في الأعمال الخاصة بتشكيل المدينة. مع ذلك فقلة هم اللذين يشككون بمدى الحاجة لشيء ما يدعى التصميم العمراني .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

في عالم يقيم مستوطنات غير مسبوقة نوعاً وعدداً وحجماً يزداد الطلب على التصميم العمراني كمهارة (لا يسلم بها على الدوام) . والآمال متعددة وكبيرة لدى من يعتقدون بأنهم يعرفون كيف تصمم المدن ، ومع ذلك فهناك شك وتشاؤم حول كمِّ المهارة والخبرة المتوافرة. وهنا يكون الإدعاء بالمعرفة المتفوقة بموضوع ما معقد وشائك جدا كموضوع التحضر ضرباً من التجاوز ، ولهذا فمن الفطنة هنا أن يصار إلى طرق عدة مجالات لعمل المصممين العمرانيين – مكانية و نظرية ! والواقع أن البحث عن معنى المفرده Territory في القاموس يأخذك إلى ما بعد الجغرافيا إلى " محور أو مجال العمل ." وأرى أن هذه طريقة تفكير عملية ومفيدة في التصميم العمراني " كمجال عمل عمراني " له تأثيره في تعزيز حيوية وجاذبية وشكل المدن . فهناك العديد من مجالات العمل العمراني نستطيع بها وصف مكونات نشاط التصميم العمراني بدلا من الركون إلى طريقة وصف مفردة بعينها .

مصطلح "التصميم العمراني" مصطلح حديث ظهر في القرن العشرين ، لكن ذلك لا يعني أن المدن القديمه لم تصمم فقد كانت بالطبع المكان الذي يمارس فيه التصميم نظرياً وتطبيقياً على مر العصور . إنما الجديد نسبيا هنا هو اعتبار التصميم العمراني نشاطا مختلفا عن العمارة والتخطيط وحتى الهندسة العسكرية والمدنية ، وكذلك ظهور مسمى " المصمم العمراني الذي لم يكن دارجاً . "

فبرغم عمق تأثير البابا سيكتوس الخامس في التشكيل العمراني لمدينة روما إبان القرن السادس عشر إلا أنه لم يدربخلد معاصريه النظر إليه كـــ: مصمم عمراني. كما كان ينظر لفيليب الثاني الإسباني الذي صادق على واحدة من أكثر التنظيمات دقة في مجال تخطيط المدن والمعروفة بأنظمة جزر الهند الغربية على أنه ملك.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أمَّا البارون هاوسمان مدير شرطة السين في عهد نابليون الثالث فكان إدارياً وأقرب في النظرة والمسؤوليات إلى روبرت موسس المهندس والموظف المدني منه إلى المعماريين ريموند أونوين أو دانيال برنام اللذين يعملان كمخططي مدن . أما إيبينتسر هاوارد الذي طرح نظرية جديدة في التحضر والعمران فقد كان متخصصاً في مجال الاقتصاد. كما أن فريدريك لو اولمستيد الذي أثَّر في المدن الأمريكية أكثر من أي شخص آخر في القرن التاسع عشر كان منسق مواقع وقبل ذلك ناشطاً اجتماعياً . وكان لويس ممفورد مؤرخا عمرانياً وناقداً اجتماعياً. كما كان متصدرو عصر النهضة من المنظرين العمرانيين معماريِّين و فنانين ، وكذلك كان لو كوربوزيه الفرنسي معماريا ورساما ونحاتا. ففي الكثير من أحوال و تاريخ تخطيط المدن كانت مهارة المعماري تمتد إلى المسائل المتعلقة بتخطيط المدن وكان الباباوات والحكام والاقتصاديون اليوتوبيون يتحولون بشكل طبيعي إلى معماريين لتحقيق رؤيتهم في التحضر والعمران . فالعديد ممن شارك في مؤتمر ١٩٥٦ كانوا معماريِّين بحيث بدت وجهة النظر المعمارية هي الغالبة على معظم الجهود التي حاولت تفسير ماهيَّة التصميم العمراني – نذكِّر بأنه تغليـــــب وليس احتواء .

إلى ذلك ، سوف أعرض لعشرة محاور للعمل العمراني يرى مـــن يطلقـــون علـــى أنفسهم مسمى " مصممين عمرانيين" بأنها تصب في ميدان مهنتهم ، و الواضـــح أنها لا تبدو جميعها كذلك من الوهلة الأولى ، كما أنه ليس هنـــاك إجمـــاع فيمـــا يخص القائمة الكلية التي تبدأ بمرتكزات مفاهيم للتصميم العمراني حُددت بصيغتها المبدئية في مؤتمر ١٩٥٦ في هارفارد على الأقل : فالتصميم العمراني كما حُدِّد حينئذ يمثل تقاطعا فرضيا بين التخطيط والعمارة ويعمل على سدِّ الفجوات التي قد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تظهر بينهما ، لذا فلا مناص من أن يكون التصميم العمراني في رأي الكثيــرين هو:

١ - الجسر الرابط ما بين العمارة والتخطيط

الإجابة المتداولة للتساؤل عما يفعله المصممون العمرانيون ؟ هي أنهم يوفقون بين المخططات العمرانية والمشروعات المعمارية ، حيث يتمحور دورهم في ترجمة ونقل أهداف التخطيط المتعلقة بالفراغ وأنماط الاستيطان وحتى توزيع الموارد إلى مستوى الإستراتيجيات العمرانية لتوجيه وترشيد أعمال المعماريين والمطوِّرين والمنفذين ، وهو ما نجده لدى العديد من الإدارات والمصالح الحكومية التي تستخدم حاليا واحدا أو أكثر من المصممين العمرانيين للقيام بصياغة الأسس والقواعد التصميمية لمشروعات التنمية فيما هو أبعد من مجرد تحديد مناطق استعمالات الاراضي ، والمساعدة في أعمال المراجعة والتقويم والمصادقة على سير العمل في المشروعات عبر مراحل تصميمها وتنفيذها . وقد باتت عملية مراجعة تصميمات المشروعات اليوم عنصرا مألوفاً ضمن الأطر المنظمة للمدن ، خاصة الكبرى منها ، وذلك لتسهيل مناقشة المسائل الخلافية التقليدية كالنواحي الجمالية. إنها النظرة الثاقبة المفترضة للمصمم العمراني إزاء الهيكل العمراني الملائم لترجمة السياسة العامة أو أهداف البرامج التنموية إلى مفاهيم معمارية أو التعرف على الامكانات العمرانية من خلال التصميم المعماري والدفع باتجاه تحقيقها.

مع ذلك هناك جانب هام في العملية يُساء فهمه غالباً وهو أن ترجمة الخطط العامة أو الهيكلية إلى المستوى التصميمي لا يقصد بها أن تكون تسلسلية -

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

صادرة دائما عن التخطيط لتؤثر في التصميم،وإنما تفاعلية بين المجالين. فمهارة المصمم العمراني في الفكر المعماري ينبغي أن تثرى صياغة المفاهيم التخطيطية، بحيث لا يصار إلى تثبيت هذه المفاهيم قبل دراسة تأثيراتها وإنعكاستها العمرانية . إن دبلوماسية التصميم المكوكّية هذا لقائمةعلى التوسُّط بين الأطراف والمواءمة بين صياغة المفاهيم التخطيطية وترجمة الخطط إلى تصاميم . هامة جداً . إلا أنه لا يمكن الركون إلى التوسط أو الإقناع فقط ليكون التصميم فاعلا، بل على المصممين العمرانيين مساعدة الآخرين على رؤية التأثيرات المرغوب بها للتخطيط ، مما يتطلب وسائل إيضاح بصرية وبرامج تحليلية تعمل على تحويل الأهداف والسياسات إلى خطوط إرشادية عملية للتصميم العمراني أو أحيانا إلى أفكار تصميمية مفصلة. هذا يفضي إلى أن تصبح فكرة التصميم العمراني ضربا إستثنائيا في السياسة العامة ، وتحسينا على صعيد النظم التقليدية لاستعمالات الأراضي التي تنفر من التحليلات و التقويمات النوعية للشكل والتكوين العمراني. لهذا ينبغي اعتبار التصميم العمراني ضربا من السياسة العامة (التي تعني بالشكل والتكوين العمراني) .

٢- التصميم العمراني كسياسة عامة تعني بالشكل والتكوين العمراني.

في كتابه بعنوان " التصميم العمراني كسياسة عامة " في العام ١٩٧٤، ناقش جوناثان بارنيت هذا الموضوع بالذات وغدا من بعد ذلك صاحب تأثير ونفوذ . ولو أمكن للمرء الاتفاق على مزايا محددة للتحضر والعمران الجيد المناسب (في بيئة معينة على الأقل كالتي حاول بارنيت فيها وهي مدينة نيويورك) لتوجب علينا إقرارها ودعمها عبر الوسائل التنظيمية. كان بالأحرى بالردايكالية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

البراجماتية أن تتضمن العديــد من الأحكام الخاصة بالشكل والنواحي الجمالية – أحكام أكثر بكثير مما نمارسه عادة - وأن توجد نظاماً موحداً لتحديد ، بخاصة في عملية الترخيص و التقويم . وبالنسبة للقيود على الارتفاعات أو على (الكتل) والتي تم تحديدها في النظم الأولى لتحديد المناطق - كنظام تحديد المناطق لعام ١٩١٦ الذي يعتبر نقطة تحول في تخطيط مدينة نيويورك- على أسس كمية يمكن قياسها كالحصول على ضوء النهار مثلا ، فيمكن تقديمها الآن في البيئات العمرانية الحالية كقيم مشتركة جيدة تستند إلى الشكل والتكوين العمراني. على سبيل المثال : تحديد إرتفاعات الإفاريز المستمر على طول البلوك البنائي يتماهى مع القيود الخاصة بنسبة البناء على قطع الأراضي برغم أن الأول ، على عكس الأخيرة، لا يصب في خانة الصحة والأمان و الرفاه العام .

ولكن لماذا لا تطمح السياسة العامة ، من منطلق ارتباطها وتعاملها مع البيئة العمرانية المستقرة ، نحوالجودة ونحو الجمال أيضا ؟ وهو ما عبَّر عنه أحد تلامذة بارنت النيويوركيون ميشيل كوارتلر مؤخرا بخاطرة شعرية بقوله " تنظيم تكوين رائع لا يمكن أن يخطر لنا ببال " ، أو قد يستشف المرء بأنه سعيك لتحقق عبر التنظيم ما لا توفره عادة الممارسات العقارية التقليدية . وحيث أن التخطيط الأمريكي متهم غالبا بموقفه الرد فعلي إزاء المصالح العقارية ، وهي مصالح لا تضع دائما الصالح العام في المقام الأول، فإن لدينا هنا طريقة للدفع بمشروعات التطوير العقاري التي يطرحها المطورون من القطاع الخاص نحو تحقيق معايير نوعية عالية الجودة باعتبار أن ما يحقق تشكيلا عمرانيا جيداً وجميلا (أو استعمالات مرغوبة أو خدمة مجتمعية كمحلات البيع بالمفرق في الدور الأرضي أو الأماكن المفتوحة) يحظى برضى وقبول أفراد المجتمع لذا يجب تشريعه

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وصياغته في شكل تنظيم أو قانون . وطبيعي أن يكون المصممون العمرانيون هم أبطال هذا التشكيل العمراني الجميل . ويكمن عامل القوة وراء هذا التحليل للتصميم العمراني في شقين : المحافظة على قيم راقية بواسطة خصائص تصميم نوعية يصار إلى تصنيفها وتدوينها ، والعمل في نفس الوقت على مستوى صناعة العقار بشكل براجماتي للخروج بتنمية عمرانية أفضل . ويعتبر مشروع متنزه ضاحية باتاري بارك البحرية في نيويورك في العموم مثالا ناجحا بهذا الصدد.

هذا بالإجمال شيء جيد وحسن . لكن مثل هذا السعي والتنظيم غير مجز بما فيه الكفاية لمن يعتقدون بأننا نحُّد من الإبداع عندما نضع خطوطاً إرشادية للغير لكي يفسروها ويحللوها ومن ثم يصممون في ضوئها ، ففي ذلك استغراق في الإدارية والسلبية بالنسبة لدور التصميم العمراني الذي يفترض فيه إكساب التحضر والعمران الشكل الراقي ! إنه يُعني بعمارة المدينة .

٣ - عمران المدينه

هذا الفهم للتصميم العمراني أكثر طموحا في الجانب المعماري لكنه أضيق أفقاً حين نفكر في التصميم العمراني كسياسة عامة . وتعود جذور هذه النظرة لحركة المدينة الجميلة الأمريكية في بدايات القرن العشرين ، ولحركة الفنون الجميلة في أوروبا القرن التاسع عشر . ويسعى أنصار هذا الإتجاه من المعماريين - العمرانيين مثل كولين راو و كاميلو زيتي و وليام وايت للتحكم في تشكيل تلك الأجزاء من المدينة التي تمثل المناطق العامة التي هي محل إهتمام كافة سكان المدينة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ويحتل تشكيل الحيز العام بالنسبة للمعماري- العمراني المرتبة الأولى في تخطيط المدن. وهنا يكمن دور التصميم العمراني في تطويرالأساليب والآليات اللازمة لعملية التشكيل فإذا ما تم عمل ذلك بتخصص وحرفيّة (ويضيف وايت- وبرمجة صحيحة واحتياجات مناسبة) أمكن توزيع النشاطات والإستخدامات الخاصة بشكل منطقي وإيجابي في بقية أنحاء المدينة. و كانت قد ظهرت في سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي ، وتحديدا في أوروبا ، فكرة قريبة من ذلك هي: "مشروع التأصيل أو الإحياء العمراني"، وتشمل أعمال البرمجة والتمويل والتصميم لمشاريع تنموية بتضامن القطاعين العام والخاص لتحفيز أو إعادة الحياة لمنطقة عمرانية معينه. هذا التوجه في التصميم العمراني يتجلى بتكوينات وتشكيلات عمرانية ثابتة ، تمد ذلك الجزء من المدينة الذي تقع فيه بخصائص وطابع فريد مستمر مع الزمن ويؤثر إيجاباً في المناطق المجاورة . مثال ذلك " المشروعات الكبرى " المحفّزة على إعادة الأستثمار والتطوير الحضري في مدينة باريس إبان ثمانينيات القرن الماضي .

التصميم العمراني كعمارة للمدينة غالباً ما ينظر له من خلال نموذج مثالي هو مدينة روما كما صوَّرها نولَّي في خارطته أو كما وصفها بيرنيزي في نقشه الرائع لكامبو مارتسيو . ويمكننا الإحساس به وإستيعابه عند تجوالنا كسياح في مدن ما قبل الصناعة (المناطق القديمة في المدينة الأوروبية) وأكثر ما يتجلى في تصميم وتخطيط الحيز العام في المناطق التي نعتاد زيارتها. فمثل هذا التعاطي مع التصميم العمراني يمهد لقراءة العمران الحديث بإيقاع تقليدي هادئ.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

غيامباتيسا نولّي ، خارطة روما ، ١٥٤٣ . من كتاب: روما .....
لـــ : ماريو بيفيلاكوا. (من الأصل بالانجليزيه ، ص ٦٧).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٤- التصميم العمراني كتأصيل أو إحياء للعمران التقليدي

يستحوذ التشكيل العمراني لمدينة ما قبل الثورة الصناعية على ذهن ومخيلة العمرانيين والمجتمع : نسيج متقارب ومتراص ، استعمالات متداخلة ، وإيقاع هاديء ، ما أن تنظر إليه حتى يطالعك على الفور بفضائل وخصائص بيئة عمرانية تقليدية يبدو أنها مفتقدة في المدينة المعاصرة ، تنظيم واضح ومقياس حركة إنساني وإدارة سلسة وتنسيق جميل ! فلماذا لا نتكاتف معاً لتأصيل هذه الخصائص والقيم العمرانية الجيدة؟ العمرانيون الجدد ماضون حاليا في هذا الاتجاه، وجهدهم هذا ما هو سوى جزء من سلوك التقليديين المفتونين بمزايا وخصائص البيئات العمرانية التقليدية . وكما فعل مجادلو حركة المدينة الجميلة في أمريكا قبل قرن مضى ، وكريستوفر اليكسندر في مؤلفه " لغة النمط" الصادر عام ١٩٧٧ يؤيد العمرانيون الجدد حاليا العودة لما يعتبرونه قواعد ومبادىء راسخة في التحضر والعمران أثبت الزمن فاعليَّتها وجدواها ، و يتعطش إليها عمران الضواحي البائس وتلك البيئات التي تعيش تحت هدير معاول العصرنة وتسلطها في وقتنا الحاضر .

اليوم يبدو الأمريكيون متعاطفين مع توجهات التأصيل العمراني لسببين : تعطشهم لـــعمران إنساني صافٍ لا طغيان فيه للماضي ولا للعصرنة المادية مثل " حضرية "رم كولهاس الجديدة المعتدلة - وهذا عائد لطول انفصال أجيال عديدة منهم عن مصدر إلهامهم الحقيقي . لقد حملهم هدير العصرنة وتسلطها على البحث عن الطمأنينة والراحة في المألوف الكامن لديهم، فالمنازل والمجاورات التقليدية إعتادت أن تعزف إيقاعاً هادئاً بمنأى عن صخب التغير اليومي . ولذا

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فإن من الطبيعي أن يقود التسويق الذي لا ينتهي لمنجزات المدينة وتعقد المعيشة فيها إلى إثارة الحنين فينا للأماكن التي ألفنا (أو نعتقد أننا ألفنا) العيش فيها.

ومع أننا نطلب توفير أسباب الراحة في منازلنا – مطبخ حديث ومرآب ملحق بالمنزل مهما نجده في العديد من أعمال التحضر والعمران الجديد بدءا من سي سايد وكنت لاند إلى كروكر بارك بولاية أوهايو ، إلا أن العديد يفضل تغليف هذه الأشكال العصرية بتكوينات وواجهات تقليدية يفترض أنها تبعث على الهدوء و راحة الأعصاب .

لا شك في أن الخصائص الجيدة للمدينة التقليديه ، مدينة المسافات غير المتباعدة التي يمكن قطعها سيرا على الأقدام ، مدينة الشوارع العامة والميادين العامة ، مدينة الارتفاعات المنخفضة والكثافة العالية ، مدينة المجاورات السكنية المحددة المتجمعة حول مؤسسات هامة ، مدينة الاستعمالات المتداخلة الخالية من التكدس والزحام ، لا زالت جذابة في عالم اليوم ، وليس الامريكيون وحدهم من يميل إليها. ولننظر لمثال واحد من أوربا، فإدارة تخطيط مدينة برلين الحالية لديها الآن دليل إرشادي دقيق ذو معايير تنحو تجاه الطابع التقليدي لتصميم مركز المدينة الذي أعيد توحيده حديثاً بهدف تخفيف وتيرة التغيير. فالعديد من المصممين العمرانيين يرون - بحكم تخصصهم – حكمة في إبطاء النمو المفرط ومقاومة التجديد المجهول ، أو على الأقل إحياء مفاهيم تقليدية كمفهوم "المقياس الإنساني"ومفهوم أسلوب" عمارة المكان" ، لذا لا بد أن نفكر في التصميم العمراني على أنه فن صناعة المكان .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٥- التصميم العمراني ومساهمته في تميُّز ورقيّ " صناعة المكان "

يعتبر فن أو التميُّز في " تخطيط وعمارة المكان" بمثابة إنتاج لحركة الأصالة العمرانية الجديدة ، التي ينصب الأهتمام فيها على توفير مناطق عمرانية مميزة ونشطة وجذابة لتجمعات السكان والمؤسسات والخدمات للتخفيف من رتابة المناطق الحضرية الحالية الكبيرة . هناك مؤسسات ومكاتب تصميم معماري وعمراني في الولايات المتحدة الأمريكية تعلن عن تخصصّها وتميّزها في " التخطيط الراقي للمكان كما يظهر في الإعلانات في مجلة " **Urban Land** " . وحيث يسهل خداع المرء ، يمكنك رؤية العديد من مشروعات التطوير العادية التي تفتقر لمعايير فن تخطيط وعمارة المكان تعلن عن نفسها في الصحف والمجلات العقارية بأساليب جاذبة (مضللة) تنتهي بالمفردة " مكان" **Place** (وأكثرها شيوعاً مفردة " أو موقع متميز "**Center Place**) ما يوهمك بأنه يضمن لك بالضبط ما تفتقر إليه وتفتقده مخططات تقسيمات الأراضي الجديدة هذه.

ومع أن تطوير أماكن مميزة وبيئات استثنائية لتلبية احتياجات الإنسان المادية والمعنوية كان على الدوام الشغل الشاغل لمهن التصميم ، إلا أنه لم يسبق أن أطلقنا على أنفسنا أبدا بأننا فنَّانون في تخطيط وعمارة المكان ولم يكن ذلك ليدور في خلدنا ووعينا . الاقتصاديون هم الذين غالبا ما فتئوا يذكّرون المجتمع بأن السلعة النادرة تتعاظم قيمتها بمرور الزمن. وكلما أكتسبت الكثير من التنمية العمرانية المعاصرة صفة العمومية و حفلت بالتكرار أصبح من الصعب إيجاد ذلك المكان المميز سواء أكان قديما أو جديدا ، ما يبرر الاستمرار في دعم حركات التأصيل والحفاظ العمراني . ولكن في عالم يضيف ستين مليونا من البشر في كل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عام لسكان المدن لا يعود الحفاظ والإحياء العمراني هما الحل في صنع المكان المميز . لهذا ينبغي على الكثير من المصممين العمرانيين أن يتفانوا في تصميمهم للأماكن الجديدة حتى ترقى هذه الأعمال لمستوى أعمال السلف الماجد من المصممين . إنهم العمرانيون الأمريكيون الجدد مرة أخرى هم اللذين صاغوا هذا الهدف بكل وضوح ولكن بنتائج متفاوتة و مختلطة . فخطابهم التصميمي يمجّد الحميمية على صعيد المقياس والنسيج العمراني واختلاط الاستعمالات والترابط والاستمرارية الحضارية وإثراء ما هو مشترك وسمات أخرى هي من طبيعة الأماكن الحضرية المتميِّزه . لكن تصميماتهم تجنح لاستخدام أشكال تكوينات عمرانية قديمة مألوفة و مفردات تجميلية تقليدية عادة ما تبدو مقحمة و زائفة وخارج نطاق واقعنا الحالي.

الحديث هنا عن مدى النجاح الذي يمكن تحقيقه في الموائمة بين التقليدية والمعاصرة، في كيفية النسج على الخيط الرفيع بينهما ، فهناك شك في مدى نجاح قراءتنا لتعقيدات الحياة المعاصرة بملامح تراثية . ولكن ماذا لو عزفنا عن تزيين التنميات الحديثة بالمنمنات الحضرية وتفانينا ، عوضا عن ذلك ، في التوزيع الأفضل للموارد أو الإدارة السليمة للأراضي ؟ هذا يعني بأننا ندعو إلى توسعة الأفق المعرفي للمصمم العمراني بحيث يأخذ التصميم العمراني منحى النمو الذكي .

٦- التصميم العمراني كنمو ذكي

لقد كان ارتباط التصميم العمراني بمنطقة وسط المدينة قويا ، إلا أن تزايد الطلب على إدارة النمو في مناطق الضواحي و إعادة توجيه الاستثمارات للطرق الدائرية القديمة حول أواسط المدن أخذ يتعاظم وأصبح له مؤيدون كثر. ولحماية التحضر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

– ناهيك عن تقليل الإضرار بالبيئة واستهلاك الأرض دونما داع – يرى العديد من المختصين وجوب الحد من أعمال الزحف العمراني وجعل الإدارة البيئية الواعية والمسؤولة من المكونات المعلنة في الفكر والخطاب العمراني . وحيث أن ٩٠% من أعمال التنمية تحدث في ضواحي المدن القائمة فيتوجب على المصمم العمراني أن يكون حاضرا هناك ومؤيدا لتخطيط وتصميم عمراني ذكيينَّ. وعلى عكس ذلك، فإن تجاهل أمر الضاحية الحضرية واعتبارها غير جديرة بجهود التصميم العمراني أو قصر هذه الجهود على تنمية الأراضي البيضاء داخل المدن إنما يدخل في باب تفادي المشكلة وعدم التعامل معها أو تجاهلها. ولقد دأب المراقبون الاجتماعيون على الإشارة بأن مناطق الضواحي ، حيث تعيش غالبية الأمريكيين ، تدخل في نطاق الحضرية وأنها تقدم درجات متفاوتة ومختلفة منها.

لقد بات واضحا أن فكر القرن الحادي والعشرين سيكون أكثر توجها نحو الحفاظ، وأن العالم كله لا بد أن يكون أكثر ذكاءً في موضوع إدارة الموارد والأرض .
لهذا يجب توسعة آفاق التحالف التقليدي الوثيق للتصميم العمراني مع المنظور المعماري والإنمائي، وذلك بانفتاح المصمم العمراني موسوعياً على علوم الطبيعة والبيئة وإدارة الطاقة وتحليل النظم واقتصاديات تنمية الأراضي وقوانين استعمالات الأراضي وقضايا الصحة العامة بحيث تصبح مكوِّنا أساسيا في مخزونه المعرفي وبرامجه التدريبية . وما يفعله المصممون العمرانيون اليوم في العموم من دعم وتأييد لبرامج النمو الذكي إنما يصدر عن إعتقاد وإقتناع جاد وأكيد بضرورة الحد من زحف العمران أو الحفاظ على الأماكن المفتوحة ، لكنهم ما أن يلجوا هذا المجال سرعان ما يدركون بأن الحصول على خبرات ومهارات إضافية

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وشركاء آخرين في التخطيط هو أمر ضروري أيضاً. يتطلب التصدي فعليا لإدارة النمو الحضري التعامل مع الاحتياجات العابرة للحدود الإدارية - كالمحافظة على الأراضي وإدارة المياه و النقل - ، ولهذا يرى العديد على نحو متزايد وجوب أن يتعامل التصميم العمراني مع البنى والتجهيزات الأساسية للمدينة.

٧- البنى والتجهيزات والمرافق الأساسية للمدينة

من المؤكد أن تنظيم الشوارع والبلوكات وتوزيع الأماكن المفتوحة والعامة وتحديد مسارات الطرق العامة وتأمين الخدمات البلدية تشكل مكونات أساسية في تصميم المدينة، لكن التركيز هنا ينبغي ألا ينصب على فئة واحدة من المرافق والتجهيزات الحضرية لوجود عناصر أخرى أكثر أهمية للمدن أو لأي شكل من المستوطنات المعاصرة من توفير نظم نقل جيدة ، ذلك أن السعي لتحقيق حركة مثلى كمتغير مستقل بمعزل عن الشبكة المعقدة والمتداخلة لسائر النظم الحضرية الأخرى لن يسهم في إيجاد مجتمعات صحية ، وقد تعلمنا بأن القواعد الهندسية بمفردها أدوات غير كافية لإنتاج المدن .

وإذا ما أغفلنا الجهود القليلة و المتقطعة لـــ " أنسقة" البنية الأساسية كما في الإقتراحات العملاقة إبان ستينيات القرن الماضي (والتي هي مصدر إفتتان في هذه الأيام) فلم يكن للمخططين ولا للمصممين دور يذكر في تخطيط مرفق النقل أو المرافق والتجهيزات الحضرية الأخرى . لهذا أصبح للمصمم العمراني مجال آخر يحاول فيه على المستوى البراجماتي موائمة الطلب على الحركة مع الاحتياجات الاجتماعية الأخرى وكذلك تقديم طرق جديدة (أو إحياء القديم منها) لتحقيق تكامل بين الشكل العمراني ونظم النقل في المدينة. وفي ذلك دعم عادي

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وعملي لكنه هام إذا أنه هو الذي يقود لما يحصل حالياً من هوس بالتنمية المرتبطة بالنقل العام في مناطق التحضر الجديدة وعلى الاستعمال المختلط المكثف الذي غالبا ما يكون في هيئة مشروعات تنموية مشتركة بين القطاعين العام والخاص مجاورة لمراكز تحوي وسائط نقل متعددة في المدن الكبرى .

لقد قلل هوس الناس بالسيارة في القرن العشرين – التي ما تزال تعتبر وسيلة التنقل الشخصي المثالية – من التنظير بشأن الشكل العمراني والنقل . لقد كنا مشدوهين بسحر أفكار المستقبلي الإيطالي سانت ايليا ، وبمشروع لي كوربوزيه في "المدينة المعاصرة " ولكن بعد مضي قرن كامل وجدنا أنفسنا نعيد اكتشاف أن التكامل بين شكل المدينة والحركة يعتمد على روابط ضرورية أكثر تطورا من الطرق المفتوحة. وتأكد ذلك بشكل أكثر مع تحول التركيز في البيئة الهندسية من الوسائل المادية إلى تصميم النظم، وتطبيق تقنيات إدارة المرور عوضا عن إضافة حارات لشبكات الشوارع والطرق . لقد خلصوا إلى أن عوامل مثل جاذبية البيئة العمرانية للسكنى والعمل والإستدامة والنمو الاقتصادي والثقافي – أي التصميم العمراني السليم – هي الأهداف الحقيقية للتخطيط الأمثل للمرافق والتجهيزات الأساسية .

وإتفاقاً مع هذا التوجه في الإدراك والوعي ، قدَّم مؤخراً بعض المختصين في تنسيق المواقع- وهو مجال يأخذ بالأبعاد والمعايير الانسانية في مجال التخطيط - منظورا آخر إلى التخطيط العمراني تحت مسمى:

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٨ - التصميم العمراني كـــ " تنسيق للفضاءات العمرانية "

ظهرت في السنوات الأخيرة مدرسة فكرية جديدة حول المدن تحمل مسمى " تنسيق وعمارة البيئة " يسعى أنصارها إلى إدماج البيئة ، وتنسيق المواقع ، والمرافق والتجهيزات الأساسية في صلب الخطاب العمراني . وتضم هذه المدرسة مفكرين مثل إيان ماكهارج و باتريك جيديس وحتى فردريك لو اولمستيد. ويتلخص موقفها الخلافي في أنها ترى بأن الحيز المتاح للتنسيق المكاني landscape space ، وليس الجوانب المعمارية architecture ، بات يشكل القوة الدافعة في المدينة الحديثة .

ولنعد لبرهة لمؤتمر ١٩٥٦ الذي أفرز جدلا كبيرا حول كيفية إدراج تنسيق المواقع كعنصر أساسي في التصميم العمراني، ولكنه سرعان ما أُدرج ضمن مجال العمارة والتخطيط الذي يحتل التصميم العمراني فيه موقعاً توفيقيا . ولم يترك لمفهوم تنسيق المواقع في ذلك الوقت مجال يختص به . ولنا أن نتصور حجم المفارقة هنا إذا ما علمنا أن الكثير من المستوطنات في أمريكا الشمالية قام بتصميمها مهندسو تنسيق المواقع دون غيرهم من المختصين . وكان الاتهام المستمر (وهو صحيحً في بعض الأحيان) هو أن التصميم العمراني الذي يخرجه مهندس تنسيق المواقع يفضل الكثافات المنخفضة ويخلو من الأشكال والتكوينات العمرانية المعقولة ويعج بالأماكن المفتوحة ، أي أنه ينتج بيئات عمرانية شبه حضرية أو لاحضرية !

التصميم العمراني ليس تخصصا فنيا بقدر ما هو حالة ذهنية مشتركة بين العديد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من ذوى التخصصات المختلفة تسعى لتحقيق مجتمعات عمرانية مميزة . والرباط الجامع للمصممين العمرانيين نابع من وازع أخلاقي والتزام بالرقي بالبيئات السكنية والعمرانية للمدن وتسهيل إعادة الاستثمار فيها وتعزيز حضاريتها (أنسنة المدينة).

أنصار تنسيق وعمارة البيئة أمثال جيمس كورنر يدحضون هذه المقولة ويصُّرون على أن مفهوم المدينة المصمتة المشهورة في التاريخ يرسخ وجهة النظر التي لم تعد ملائمة و مفادها أن البراعة الإنسانية والطبيعة ليسا صنوان ضدان لايلتقيان. وتزعم مشروعات تنسيق وعمارة البيئة بأنها ستتغلب على هذا التضاد بعيداً عن التمسك بأجندة بيئية ضيقة أو الأخذ بالأساليب السائدة في بناء المدن بشكل أساسي. فهم يصرون بأن التصميم العمراني القيِّم يتحقق بتقاطع وتفاعل البيئة والهندسة و التصميم والبرمجة الواعية والسياسات الاجتماعية الملائمة، كما ينظرون إليه على أنه مجموعة قيم أكثر منه مجرد ممارسة ، وأنه قد يثبت أهليته ومناسبته مع تقدم الجهود في مشروعات التصميم العمراني كما في مشروع ردميات فريش كيلز في جزيرة ستاتين.

تأتي هذه الحركة الفكرية في إحدى جوانبها كرد فعل لوجهة نظر المعماري الإيطالي نوللي حول العمران في خارطته الوصفية لمدينة روما المشهورة عالميا بـــ "خارطة نوللي " التي تمثل المفهوم المزدوج لتشكل المدن من وجود و غياب المباني. فالبياض في الخارطة يمثل الفراغ وهو نتاج السواد المصمت الظاهر في الخارطة . وربما هذا تفسير عملي لتشكل مدينة ما قبل الثورة الصناعية - أو الساحة الإيطالية كفراغ متشكل من النسيج البنائي المصمت . ومن المؤكد وجود

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فراغ طبيعي غير محدد الاستعمال خارج أسوار مدينة ما قبل الصناعة ، أما داخلها فالفراغ هو ناتج المبنىً ، ومع ذلك يمكن بنظرة فاحصة لخريطة مدينة ما قبل الصناعة دحض هذه المقولة ، فمن المؤكد أن البياض في خريطة نوللي يحوي فوارق وتدرجات دقيقة في اللون لا تكاد تلحظ لكنها تنم عن معان عديدة. و يتساءل المنسق العمراني : أوليس تنسيق الفضاءات العمرانية هو الذي يشد أوصال المدينة المعاصرة الزاحفة بكثافاتها السكنية المنخفضة إلى بعضها البعض؟ راديكالية التفكيرهذه التي ترى في مجال تنسيق المواقع محدداً أو منظماً للأنماط العمرانية - هي راديكالية يصبح فيها البياض في خارطة نوللي، الذي تحول اليوم إلى اللون الأخضر ، هو المكون الأساسي في التصميم العمراني – وتفضى بنا إلى أن نطلب من التصميم العمراني تقديم يوتوبيا عمرانية .

٩ - التصميم العمراني كعمران فاضل (ذي رؤى طموحه)

لقد إحتفظت بهذا الأمل المنتظر طويلا من التصميم العمراني إلى ما يقرب من نهاية مقالتي، وهو : أن يقوم ممارسو - أو منظّرو التصميم العمراني- بتقديم رؤية ثاقبة ونماذج حول الكيفية الواجب اتباعها في تنظيم وتوجيه المناطق والمجتمعات عمرانياً وعدم القبول ببساطة بالأساليب التي نعمل بها حاليا. فمجال الافتراضات حول مستقبل العمران سيجتذب بالتأكيد مزيدا من الطلبة إلى برامج التصميم العمراني أكثر من أي إغراء آخر . ولقد ارتبط الاشتغال بالإصلاح العمراني بأعلام كبار في حركة الإصلاح الحديث للمدن أمثال بارون هاوسمان ، دانييل بورنام ، إبينتسر هاوارد ، ريموند أونوين، لي كوربوزيه ، وصولاً إلى رم كولهاس و أندريه دواني . ولكن هؤلاء المصلحون العمرانيون الشجعان

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

(كما يصفهم جيديون) يندر مثيلهم اليوم قياسا إلى ما كانوا عليه مع بداية القرن العشرين الميلادي ، أوأننا نعمل برؤيتهم وعلى خطاهم بشكل أقل في معظم الأحيان. قد يظهر جيل جديد من المصممين اليوتوبيين (ذوى الرؤى الطموحة) من الصين أو البلدان الأخرى التي تشهد حاليا تحضرا سريعا ، ولكن شيئاً من هذا لم يحدث بعد .

في الغياب النسبي لليوتوبيين المعاصرين تقدم آخرون لاستكشاف طبيعة ثقافة اليوم العمرانية . عالم الاجتماع أو المنظر الحضري – بدأ من لويس فيرث في بداية القرن العشرين، وهنري ليفبفرو، ريتشارد سينيت و إدوارد سويا و ديفيد هارفي - لا يعتبر في العادة مصمماً عمرانياً ولكن يمكن النظر إليه من زاوية معينة كمصمم عمراني ، ذلك لأننا لم نعد نلتفت في أيامنا هذه لإراء المصلحين العمرانيين السابقين الكبار، ليس على صعيد الأعمال المتعلقة بالثقافة العمرانية فقط وإنما على صعيد فهمنا لهذه الثقافة بشكل عام . قد تكون التقاليد التي تركز على إنتاج التكوينات والأشكال العمرانية في حالة أفول . فقد شهد القرن العشرون حدوث أذى وتلف كبير للمدن تسبَّب به أولئك الذين تقدموا بفكرة فردية أو شمولية بعينها عن ماهية المدينة أو ما يجب على العمران أن ينتجه . المهتمون بالجانب الثقافي يذكروننا بأن البرجماتية و المهارات التقنيه لوحدهما لا يمكن أن يكونا بديلا كافيا كما لا يمكن لممتهني التصميم أن يكونوا مجرد مستوعبين للرأي العام ينتظرون تحقق الإجماع العام ، إذ لا بد من التقدم بأفكار جديدة وخلاقة أيضا. ويبقى اللغز المحير قائما وهو: إلى أي مدى يمكن للتصميم العمراني أن يتعامل مباشرة مع " العالم الحقيقي" ؟ ربما يكون ذلك في التماسّ المباشر مع المجتمع.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١٠ - التصميم العمراني كمناصر ومؤآزر للمجتمعات السكانية:

منذ عام ١٩٥٦ والتصميم العمراني في الأغلب ينمُ عن مدى واسع من التفكير ، ولا يزال كذلك في معظم الأوساط الأكاديمية . وهو في ذلك يتعامل مع قطاعات و مناطق كبيرة من المدينة مع الكثير من مناطق الإستيطان أو يتطرق للتنظير بشأن طبيعة التحضر والعمران. ولكن التصميم العمراني في نظر قاطني المجاورات السكنية الحاليون – وهم هنا المستفيدون الظاهريون من هذا المفهوم العريض للتصميم العمراني – يقترب كثيرا من اهتمامات المجتمع المحلية والعاجلة كتحسين أوضاع المجاورات السكنية ، وتخفيف الازدحام المروري ، وتقليل الآثار السلبية للتنميات الجديدة ، والتوسع في الخيارات الإسكانية مع الإبقاء على أسعار المساكن في حدود المتاح ، وتوفير أماكن مفتوحة ، وتحسين وتجميل وتهذيب الشوارع ، وخلق بيئات عمرانية أكثر إنسانية في العموم .

وإنطلاقا من هذا المفهوم للمصطلح – مفهوم العامَّه - يقترب التصميم العمراني مما اعتدنا تسميته بـــ "التخطيط المجتمعي" ، وهنا تقفز إلى الذهن النقطة التي أثارتها الشابة جين جيكوبز في مؤتمر١٩٥٦ بكلية التصميم العليا بجامعة هارفارد عندما قالت بأن " الدكان هو أيضا صاحب الدكان " ، ثم استطردت مفترضة ضمناً أن زملاءها المصممين في المؤتمر يتذكرون جيدا بأن صاحب الدكان هو أيضا مواطن وأن للمواطنين حق المشاركة في صنع القرار الخاص ببيئتهم العمرانية . لكن ملاحظتها تلك لم تحظ بالمتابعة اللازمة في وقائع المؤتمر، و إستغرق الأمر مقدم جيل آخر لإبراز وجهة نظر جين جيكوبز.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التلازم بين التصميم العمراني ومشاركة المواطن استقر أخيرا نتيجة للتنظيم التدريجي لمهنة التخطيط . كانت هناك فترة من الزمن – عقب القلاقل الاجتماعية في الستينيات من القرن الماضي وتنامي الإجماع حول فشل وعدم جدوى مشروعات التجديد العمراني - تحولت فيها البوصلة التخطيطية بصورة ملفتة من مجرد إعداد مخططات فيزيقيه مفردة إلى صياغة عملية تخطيطية شاملة . واستطردت النظرية في أنه لو اندفع المعماري والمصمم العمراني باتجاه إنتاج رؤى لغد أفضل ، لتوجب عندئذ تمحور دور المخطط في تحديد الإحتياجات والخطوات المنطقية وليس السعي خلف رؤى (غالبا ما تكون خادعة ومشكوك في نتائجها) . لقد أدّى الخوف من إنتاج المزيد من الخطط المركزية الفاشلة وبسطها أمام جمهور كثير المطالب وقليل الصبر أدى ذلك بمهنة التخطيط لأن تأخذ بأساليب المشاركة ومؤازرة المجتمع . المفارقة هنا أن تحلل المخطـِّط من الشؤون والاهتمامات العمرانية عمل على مباعدة النشاطات التخطيطية عن كثير ممّا ترغب به الأطراف المستفيدة من التخطيط من حيث إيجاد مجاورات سكنية راقية ، وسهولة الوصول إلى أماكن أفضل للعمل والتجارة ، وبيئات خاصة جيدة يرتادونها من حين لآخر هربا من ضغوط المدينة وهمومها .

ومع استمرار تحول مهنة التخطيط للعمل في صياغة السياسات بدى التوجه التخطيطي يظهر للعامة على أنه توجه نظري غير مبال بمتطلباتهم العاجلة أو احتياجاتهم اليومية ، وأصبح ينظر إلى المخطّط الذي يتبنى فكر التصميم العمراني و يعالج أمورا عاجلة غالبا ما تكون مترابطة مكانيا على أنه المختص بحل مشاكل المدن ولا علاقة له بالتحولات العمرانية والحضرية الكبرى . فالمواطنون هنا لا يعتبرون الممارسين للتصميم العمراني "مشكـِّلي مدن" نظرا لانعدام الثقة بـ

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مشكلي المدن إن وجدوا، وإنما يرون في المصممين العمرانيين حماة ورعاة للمثل والقيم التي يقدرها المجتمع . واليوم يقف المصمم العمراني – وليس المخطط – شامخا في تخصص "التصميم العمراني" الأكثر قرباً للمجتمع من "التخطيط " .

التصميم العمراني كإطار ذهني:

قائمة المجالات التي أوردناها هنا لا تشمل كافة المجالات التي يمكن فيها ممارسة التصميم العمراني ، فهناك بالتأكيد مجالات تعامل أخرى يمكن إضافتها. ففي المناطق الأخرى من العالم التي تشهد وتيرة تحديث سريعة برز التصميم العمراني كمكـــوِّن هام في حسن إدارة وترشيد أعمال التحديث ، كما في مشروعات الشراكه بين القطاعين العام والخاص السائدة في بلدان أمريكا الجنوبية وآسيا ، ومنها مشروعات خصخصة قطاع النقل والاستعمال المختلط بنظام التمويل والاستثمار BOT (بناء وتشغيل و إعادة مِلـــْكية). (نظام البناء والتشغيل وإعادة الملكيَّة هو شكل من أشكال تمويل المشروعات يبرم القطاع العام فيه عقد إمتياز مع القطاع الخاص لتمويل وتصميم وبناء وتشغيل مرفق عام لمدة محدودة تعاد ملكيته ، بعد انقضائها ، ثانية للقطاع العام) . والقصد هنا من تحديد مجالات التصميم العمراني التي أوردناها – أو حتى المغالاة فيها – ليس في فرض الأعتراف بالطيف الواسع للتصميم العمراني ، وإنما لنؤكد، خلافا لذلك ، أن التصميم العمراني جاء ليمثل سبلا واضحة للتعامل مع المدينة وحل إشكاليتها بدلا من الاستغراق في تفصيلات المهنة . لقد خرج رودولفو ماكادو – زميلي في هارفارد – بتعريف مقبول فيه قدر من البلاغة للتصميم العمراني ، يقول :

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التصميم العمراني هو عملية التصميم (وأضيف .. أو التخطيط) التي تنتج أو تعزز للمدينة حضارَّيتها ورقيَّها ، أليس هذا مجَّرد تعميم ومقاربة مستساغة؟

ربما يشعر خوزيه لوي سيرت باليأس بعد انقضاء نصف قرن على أول مؤتمر للتصميم العمراني كان قد ترأسه ولمَّـــا يتم التوصل بعد لتعريف جامع ومانع للتصميم العمراني . ذلك أنه في المؤتمر الثالث أو الرابع من مؤتمرات التصميم العمراني السنوية التي ترأسها في جامعة هارفارد إبَّان ستينيَّات وبداية سبعينيَّات القرن الماضي، كان سيرت يعبر دائما عن قلقه وحيرته إزاء نتائج تلك المؤتمرات التي أمل أن تضئ مناقشتها " الأجواء السديميَّة لمحاور ومجالات ومرتكزات ومفاهيم التصميم العمراني" لكنها مع قبولنا وتهليلنا لها ، استمرت دونما إضاءات (إلى يومنا هذا).

لقد إستنتجت ، بعد ربع قرن من ممارستي وتدريسي للتصميم العمراني أنه ليس تخصصاً فنياً بقدر ما هو جملة خصائص من الفكر والموهبة لدى أولئك المنتمين لتخصصات مختلفة ، الباحثين ، والمشاركين ، والمتبنين لرؤى وتكوينات ملائمة للتجمعات السكنية ممن يروجون لصلاح وخير المجتمع المديني ! فما يجمع المصممين العمرانيين هو وازعهم الأخلاقي و إلتزامهم الجاد بتحسين وتنسيق البيئة السكنية والعمرانية للمدن وتعزيز حضاريتها والرقي بها . وحاجتنا هنا لتعريف دقيق ومانع لهذه الكوكبة من المصالح ليست غنية عن الإيضاح بحكم أن التعريف غير جليٍّ أو بيِّن. وبسبب إلتزامهم المستمر تجاه المدن يميِّز المصممون العمرانيين بين مهامهم المختلفة ، كما أنهم يدركون بأن التجديد العمراني لمراكز المدن ، وبناء مدن جديدة ، وتأصيل (إحياء) التراث العمراني الجدير بالحفاظ، والبرامج العادلة لإدارة النمو في الضواحي يتطلب العمل بشكل جاد وفق

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

استراتيجيات ونظريات وبرامج تصميم مختلفة . لكن ما يبعث على الفرح حقا وجود مجالات عديدة متاحة أمام أولئك المصممين العمرانيين المتيّمين بحب المدن ورقيِّها .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المشاركون في إعداد هذا الكتاب

- **جوناثان بارنت ، مصمم عمراني يعمل مع شركة والاس روبرتز موتود، ذات المسئولية المحدودة ، فيلادلفيا ، أستاذ ممارسة المهنة في التخطيط ، ومدير برنامج التصميم العمراني ، جامعة بنسلفانيا.**

- **دينيس سكوت براون ، معمارية ومخططه ، رئيس مكتب فنتوري ، سكوت براون ومشاركوهم ، فيلادلفيا.**

- **أندري داوني ، رئيس شركة داوني بلاتر – زيبرك ، ميامي ، شارك في تأليف العديد من الكتب بما في ذلك : دليل النمو (العمراني) المميز ، وسكان الضواحي.**

- **بيتر رو ، أستاذ كرسي ريموندجارب في العمارة والتصميم العمراني ، أستاذ الخدمه المميزه في الجامعه ، جامعة هارفارد.**

- **وليام ساندرز ، محرر مجلة هارفارد للتصميم ، مساعد العميد للعلاقات الخارجيه، وأستاذ في المدرسة العليا للتصميم ، جامعة هارفارد.**

- **أليكس كريجر ، أستاذ التصميم العمراني ورئيس قسم التخطيط والتصميم العمراني سابقاً في المدرسه العليا للتصميم بجامعة هارفارد ، رئيس مكتب شان كريجر ومشاركوه ، عماره وتصميم عمراني ، كيمبردج ، ماساشوستس.**

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

- ريتشارد مارشال ، المدير الاقليمي للتصميم العمراني (آسيا) ،إي.دي. آي. دبليو، أستاذ مشارك للتصميم العمراني ومدير برامج التصميم العمراني سابقاً في المدرسه العليا للتصميم بجامعة هارفارد ، له العديد من الكتابات منها التحضر المعاصر (المنبثق حديثاً) : المشاريع العمرانيه العالميه في منطقة آسيا الباسفيكي، الواجهات البحريه في مدن ما بعد الصناعه، وتصميم المدينه الأمريكيه.

- فوميهيكو ماكي ، رئيس ماكي ومشاركوه ، مكتب دراسات عالمي مقره طوكيو، تعلم ودرَّس في كل من جامعتي طوكيو وهارفارد.

- إيريك ممفورد ، أستاذ مشارك ومدير برنامج الماجستير في التصميم العمراني، جامعة واشنطن ، سانت لويس ، مؤلف كتاب : مناقشات سيام حول التحضر ١٩٢٨-١٩٦٠.

المترجم :

- صالح الهذلول ، ماجستير في التصميم العمراني من جامعة هارفارد ١٩٧٥ ، دكتوراه في العماره من معهد ماساشوستس للتقنيه ١٩٨١، أستاذ مشارك ، كلية العماره والتخطيط جامعة الملك سعود ، وعمل سابقاً وكيلاً لوزارة الشئون البلدية والقروية لتخطيط المدن – الرياض، له عدة مؤلفات منها ، المدينة العربية الإسلامية، والتنمية العمرانية في المملكة العربية السعودية.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التجمع الاستثنائي الذي جرى في (جامعة) هارفارد قبل(أكثرمن) خمسين سنة خلت يستحق التوقف والقراءة ، ... ويتناول (هذا الكتاب) تاريخ وحيثيات ذلك التجمع . ففي العام ١٩٥٦ ، قام خوزيه لوي سيرت بتنظيم عقد مؤتمر كوسيلة لإثارة اهتمام مهني وفكري أكثر بموضوع المدن والتحضر ، و(كان) استمرارا لتحول المناقشات حول التخطيط والتصميم الحديث من أوروبا ومجموعة سيام ، التي كانت توشك على الانتهاء ، إلى أمريكا وجامعة هارفارد . اجتمع المؤتمرون لمناقشة الحالة المتأزمة للمدن بهدف (من سيرت على الأقل) المصادقة على مجال بدأ يظهر في هارفارد تحت مسمى " تصميم عمراني " وهو مجال يركز على إحياء وتحسين المدن،

بالرغم من أن التغيرات في مجال التحضر العالمي منذ منتصف القرن العشرين قد تعدت كثيراً ما تخيله المشاركون في مؤتمر ١٩٥٦ م ، إلا أن قراءة ملخص ما قدم في المؤتمر يبقي مهماً لنا اليوم ، فالمرء يلحظ فيها عزماً أكيداً من قبل المختصين على التعامل مع الأوضاع العمرانية ، وتأكيد الحاجة للتعاون بين التخصصات المختلفة للتعامل مع هذه الأوضاع ، وإيجاد وسيلة أو تخصص يمكن من خلاله المضي قدماً في هذا السبيل . ولقد جاء برنامج هارفارد للتصميم العمراني – الذي شكل بداية و نموذجاً لمعظم البرامج المماثلة حول العالم – نتيجة لذلك العزم والجهد الذي بذله المشاركون في مؤتمر ١٩٥٦ م . وفيما لا تزال طبيعة عمل المصمـــــم العمراني غير واضحة تماماً ، إلا أن قلائل يمكن أن يشكّوا بوجود التخصص ذاته .

Harvard Design Magazine, spring/summer 2006 أليكس كريجر

٩٧٨-٩٩٦-٩٤٢٧-١-١

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

صورة الغلاف الأمامي : بى بودي تيراس ، تصميم خوزيه لوي سيرت .
الصورة : صالح الهذلول ٢٠٠٨م

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com